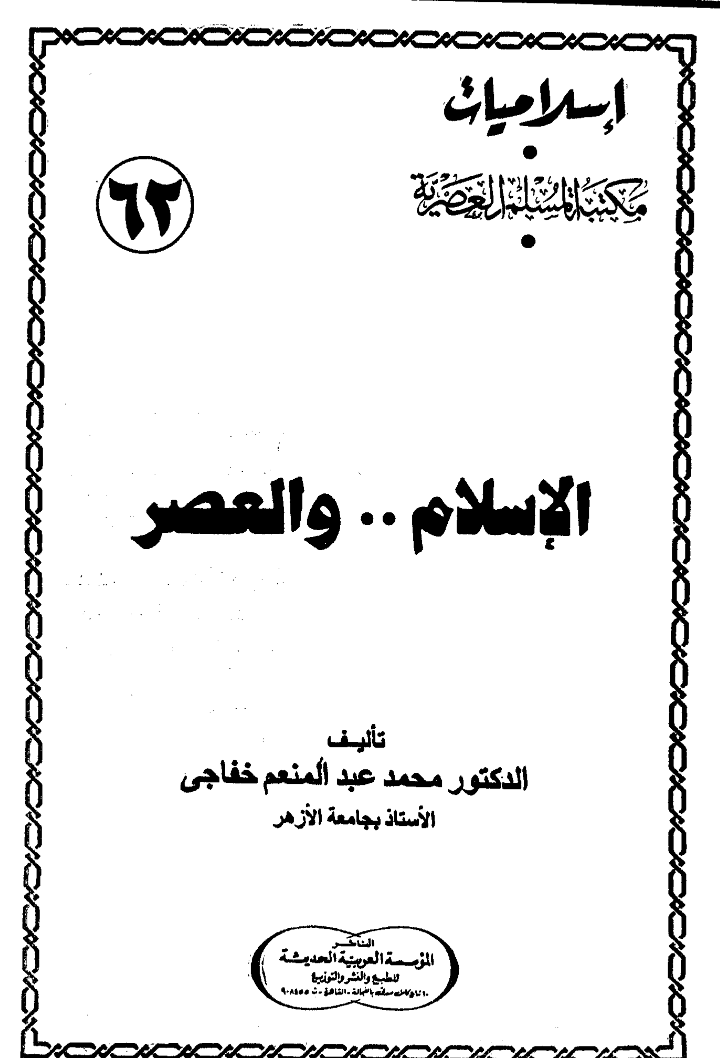


إسلاميات

مكتبة المسلم العصرية

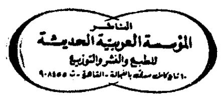
٦٢

الإسلام .. والعصر

تأليف

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ بجامعة الأزهر



الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

سلسلة

مكتبة المسلم العصرية

إسلاميات

●

سلسلة كتب إسلامية دورية تعرف المسلم بكل أمور دينه

○ عقيدة ○ فقه ○ تفسير
○ حديث ○ سيرة ○ ثقافة
إسلامية ○ مشاكل العصر

بأسلوب ميسر يفهمه العامة ، ويسعد به الخاصة

مراجعة هيئة كبار علماء
الجمعية الشرعية للعاملين
بالكتاب والسنة بالقاهرة

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية ـ المكتبات ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقي الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاق منشية البكري روكسي مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٨٢٦٢٨٠ ـ ٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ ج. م. ع

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » .

(صدق الله العظيم)

هذا الكتاب ...

يضم صفحات طوالا عن الإسلام العظيم ، دين البشرية الخالد ، ورسالة السماء إلى الأرض ، وكتاب الله المنزل على خاتم المرسلين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

إنها صفحات موجزة ، كتبتها عن الإسلام الكريم ، ديننا العظيم ، المنزل من السماء ، على رسول الله محمد صلوات الله عليه .

وإني لأرجو أن يكون فيها ما يوقف الإنسان المسلم على أصول دينه وفروعه ، وعلى جوهره ومنهجه ، وعلى كل مايريد معرفته من أمور الدين والدنيا معاً .

وقد سميت هذه الفصول باسم (الإسلام .. والعصر) .

راجياً من الله عز وجل أن يضيء به طريق الحياة ، أمام إنسان العصر ...

انسان العصر

الإنسان .. هذا المخلوق البشرى ، والكائن الإنسانى الحى ، هو إبداع قدرة الله وتكوينه ، وخلقه عز وجل وتقويمه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

والعصر .. عصر الذرة والفضاء والصواريخ الموجهة ، وأدوات الفتك اللامحدودة .. وعصر بلوغ الحضارة الأوربية ذروتها ، وعصر القلق والاضطراب الروحى العظيم ، وعصر الخمر والمخدرات والجنس والفوضى الخلقية اللانهاية لها ، وعصر الأنساب المجهولة ، والأرحام الخبيثة ، واللانتماء لشيء من الأشياء .

الإنسان والعصر مزيج من الكفر والإلحاد وإرسال النفس على سجيتها ، وإطلاق العنان للهوى واللذة والترف المهلكات للإنسان وللأمم وللحضارة .

الإسلام بروحانيته ومثالياته وقيمه ، يختلف عن كل الأديان والمذاهب والعقائد ، ولكنه يحترم الأديان السماوية المنزلة ، ويحترم أنبياء الله ورسله الكرام ويدعو إلى الإيمان والتوحيد ، وإلى كل المبادئ الإنسانية الفاضلة ، وإلى كل تشريع يرفع من شأن الإنسان والحياة والحضارة .

وحضارة الإسلام بنت العصور السالفة بناءاً إنسانياً رفيعاً ، وأكرمت الإنسان ، وحافظت على كل حقوق هذا الإنسان ، وجعلت المحافظة على الدين والعقل والمال والعرض والنفس واجباً مقدساً على كل إنسان وكل مجتمع وكل دولة .

ومن ثم حرمت الخمر والميسر والربا ، وحرمت قتل النفس إلا بالحق ، وحرمت الاتجار فى المحرمات ، الاتجار فى الخمر ، والاتجار فى المخدرات وغيرها مما يضر بالعقل أو بالنفس .

بينما نجد أوربا مسترسلة فى تقرير الفائدة ، وفى صنع الخمر والاتجار بها ، وفى الاتجار بكل ما يدر عائداً مالياً ولو كان حراماً كالأفيون مثلا .

ونحن نعلم مثلا أن دولة كبيرة كانجلترا شنت على الصين حربين طاحنتين من أجل الأفيون وحرية الاتجار به فى داخل الصين ، فالحرب الأولى كانت فى (١٨٣٩ — ١٨٤٢) ، والثانية فى (١٨٥٦ — ١٨٥٧) ، لما يدره الاتجار بالأفيون من أموال طائلة كانت تعود إلى خزائن شركة الهند الشرقية البريطانية .. والأفيون مدمر للإنسان وللشعوب .

حضارة الإسلام حضارة الروح والجسد ، والعقل والوجدان ، والأمل والعمل ، والإنتاج والربح الحلال ، وحضارة الدنيا والآخرة ، وحضارة الزهد والكسب المشروع ، والحق والواجب ، والفرد والمجتمع ، والشعب والدولة .. حضارة تعترف بكل حقوق الفطرة الإنسانية ، وتعالج كل مشكلاتها علاجاً حاسماً ، سواء عند الرجل ، أم المرأة ، أم الطفل ، أم الشاب ، أم الشيخ الكهل ، وسواء عند العامل أم صاحب رأس المال والعمل .

إنها حضارة الإنسانية المثلى ، والحياة الكريمة الفاضلة .

وإنسان الحضارة الغربية اللامنتمى هو اليوم مثال للضياع بكل مقابحه وتشوهاته وقبائحه ورذائله . إنسان يبيح الجنس والإلحاد والكفر بكل المبادئ الإنسانية الرفيعة .. وهو إنسان لايعترف بفضيلة ، والفضيلة عنده هى المال واللذة ، والغاية عنده تبرر الوسيلة ، ولوكانت الغاية شريرة ، ولو كانت الوسيلة القتل والتدمير .

نحن ندعو إلى الإسلام فى عصر ذروة الحضارة الراهنة ، لأنه أصبح ضرورة إنسانية ملحة ، لإنقاذ الحضارة ، وإنقاذ الإنسان ، وإنقاذ الحياة .

القسم الأول

الاسلام .. دين الحياة



الدين ضرورة انسانية

يقول هنرى برجسون : (لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لا توجد قط جماعة بغير ديانة) .

وفى معجم لاروس للقرن العشرين : (إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهى وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية) .

وفى هذا رد على الشيوعيين والملحدين وأشباههم ، والعجيب فى فلسفة (أوجست كونت) أن تذهب مذهباً مادياً حين قررت أن العقلية الإنسانية قد مرت بأدوار ثلاثة : دور الفلسفة الدينية ، ثم دور الفلسفة التجريدية ، ثم دور الفلسفة الواقعية ، وتجعل هذا الدور الثالث آخر الأطوار وأسماها .

وخير رد على (أوجست كونت) وأشباهه هو ما يقوله الدكتور (ماكس نوردوه) : (هذا الشعور الدينى أصيل يجده الإنسان غير المتمدين ، كما يجده أعلى الناس تفكيراً ، وأعظمهم حدثاً .. وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية ، وستتطور بتطورها) ، وما يقوله (أرنست رينان) فى تاريخ الأديان : (إن من الممكن أن يضمحل كل شىء نحبه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى ، الذى يريد أن يحصر الفكر الإنسانى فى المضايق الدنيئة للحياة الأرضية) .

ويقول (محمد فريد وجدى) فى مادة (دين) فى دائرة معارفه : (يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين ، لأنها أرقى ميول النفس ، وأكرم عواطفها ، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان ، بل إن هذا (الميل) سيزداد ، ففطرة التدين ستلاحق الإنسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح ، وستزداد هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه) .

إن عصر الفضاء الكونى الذى بدأت الإنسانية تدخل فيه ، سيعزز فكرة الإيمان والتدين فى النفس البشرية بما تجلى فيه للإنسان من عظمة الكون وجلاله وسعة كواكبه وأقماره وشموسه .

وإذا كان بعض الباحثين قد وقفوا أمام نشأة العقيدة الدينية يعللونها بأن الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية ، وأن الإنسان أخذ يترقى فى دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوجيه ، كما تدرج نحو الكمال فى علومه وصناعاته ، حتى زعم بعضهم أن عقيدة الإله الأحد عقيدة جد حديثة ، وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامى ، فإن هناك فريقاً كبيراً من علماء تاريخ الأديان يقررون أن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت فى البشر ، والوثنيات إن هى إلا أعراض طارئة أو أمراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة ، وهذه هى نظرية فطرية التوحيد وأصالته التى انتصرلها جمهور من علماء الأجناس وعلماء الإنسان وعلماء النفس ، ومن أشهر مشاهيرهم (لانج) الذى أثبت وجود عقيدة الإله الأعلى عند القبائل الهمجية فى استراليا وأفريقيا وأمريكا ، ومنهم (شريدر) الذى أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة ، و(بروكلمان) الذى وجدها عند الساميين قبل الإسلام ، و(شميدت) عند الأقزام وقبائل من استراليا وقد انتهى بحث (شميدت) إلى أن فكرة الإلـه الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية ..

وهذا مصداق قوله تعالى فى القرآن الكريم : « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

خصوم الدين

— ١ —

رسالة الدين فى الحياة هى السمو بالعواطف والمشاعر ، وتهذيب الأخلاق والضمائر ، وتطهير النفوس والعقائد ، ورعاية كرامة الإنسان خليفة الله فى أرضه ، والدفاع عن حقوق الأفراد والجماعات والشعوب .. هى النهوض بالإنسانية ، والسير بها قدماً نحو النور والهدى ، والطهر والخير ، والعزة والحرية ، والأمان والسلام .

الدين هو شريعة الإصلاح ، ينظمها قانون سماوى له فى النفوس الحب والتقديس ، وهو الناموس الخالد لدعوة التجديد والبناء والنهضة والحضارة ، والنبع الأزلى للحقيقة والإيمان والعدالة .

فليس هو مخدراً للشعوب ، كما زعم (كارل ماركس) وأنصاره من دعاة المادية والإلحاد ومحاربة الدين باسم المدنية ، ومن الذين يغالون فى إنكار الروحيات ووجود الله ومعاداة كل ما يمت إلى الدين ، ويزعمون أنه يجافى العقل والعلم والتقدم .

إن الأديان السماوية عامة ، والإسلام من بينها خاصة ،لا تعترف بأية وصاية أو حجر على العقل ، ولا تقر ظلماً أو عدواناً ، ولا تلبس الأهواء والشهوات مسوح الدين ، ولا تشرع ما ينافى ناموس الارتقاء .

— ٢ —

ولقد جاء الإسلام ، فأيقظ الشعوب ، وعزز فكرة الإصلاح ، وحمى الحرمات والحريات وكرامة الإنسان . لم يترك حقاً إلا شرعه ، ولا عدلا إلا فرضه ، ولا فضيلة إلا أوجبها ، ولا خيراً إلا دعا إليه .. وحارب الاستغلال فى شتى صوره ، واعترف بشخصية الإنسان المعنوية ، ومكانته الأدبية فى الحياة ، فجعل له حقوقاً حفلها ورعاها ، وحذر من يعتدى عليها من سخط الله وغضبه وعذابه الأليم ... لم يقاوم الإسلام رغبة جماعة فى الإصلاح ، بل أنكرته الجماعات

المتأخرة لما تدعوا إليه مبادئه من تجديد وتنظيم وإصلاح .. وهذه المبادئ المثلى هى التى كانت تدعو بنفسها إلى الإسلام فى شتى الأقطار والأمصار ، وهى التى مهدت لقيام حضارة زاهية مشرقة ، كانت نواة الحضارة الحديثة .. ولا عجب فللإسلام مآثره الرائعة فى تحرير الشعوب ، والذياد عن الحقوق ، وتنظيم الواجبات ، وفرض العدالة والمساواة والإخاء ، وحماية الفكر ، ورعاية الثقافة :

ولا ريب أن فى اتباع مبادئ الدين ، والسير على منهاجه ، والإيمان بما يدعو إليه من مثل ، عصمة من الزلل ، ومنجاة من العثار . فالمبادئ القوية لا تخلق الجماعات القوية ، إلا إذا آمنت بها ، واتبعتها ، واتخذت منها ناموساً كريماً ، ونظاماً قويماً ، يقيها عواصف الأهواء ، وزيغ الشهوات والعدوان .

وإذا كان هناك من يتجر بالدين فى عصور التأخر الفكرى والاجتماعى ، فليس ذلك ذنب الدين نفسه ، إنما هو ذنب من يريد أن يحيل النور ناراً ، والهدى ظلاماً ، ويعلم الحق ويكتمه ، ويجامل فيه ، ويحاول أن يطفئ نور الله ، ولقد حذر الله تعالى من هؤلاء ، وأنذرهم بعذاب شديد .

وبعد .. فليس أدل على ضلال خصوم الدين من إنكار كثير من الفلاسفة والمفكرين لآرائهم المادية الإلحادية ، وجهرهم بأن الدين شيء مقدس لاتستغنى عنه الإنسانية ولا الحياة . ففكرة الله الذى ليس له نهاية ، وعقيدة الدين ، وقدسية الروح ، وتنظيم العلاقة بين الله وعباده ، كلها أفكار صيغت فى الضمير البشرى الخفى الذى ليس له نهاية ، وإن الإنسان لا يستطيع أن يعيش على الأرض إذا فقد الإيمان بالدين ، والعقيدة فى وجود الله .. ومن آمن بالمادية فقد كفر بالخالق الأعظم ، وأسلم نفسه للحسرة والضلال ، « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً ، وإليه يرجعون ؟ » .

— ٣ —

إن الإسلام لا يزال كما كان حارس المدنية الأمين ، والمنقذ الأكبر للناس من الفوضى والانحلال ، والداعى للنهضة والتقدم والرقى ، والباعث على الخير والبر والإحسان والرحمة ، والمقوِّم لأفكار المسلمين من الزيغ والضلال والهوى والشر ، والحائل بينهم وبين المبادئ الهدامة ، والأفكار الباطلة .

هو الساعد القوى للحكومات على نشر الأمن والسلام والحب ، والتعاون فى

قلوب المسلمين كافة ؛ فهو الذى يثقف العقول ، ويهذب النفوس ، ويحيى الضمائر ، ويرهف الإحساس ، ويحفز إلى الخير ، ويقيم من المجتمع الإسلامى وحدة تامة يسودها الإخاء والمساواة والحب والتعاون .

الإسلام حقائق واضحة ، وروح سمح ، وتجديد مستمر فى بناء النهضة ، ودفاع عن العدالة والحق والسلام .. وهو ليس طغياناً وعدواناً وإزهاقاً للأرواح وسلباً للأموال وحباً للجريمة ورغبة فى الإفساد .

وإذا كانت العامة لم تفهم الدين على حقيقته فى الزمن الماضى ، فما أجدرهم بالوقوف على حقائقه وفهمه حق الفهم فى عصرنا الراهن بعد أن يسرت أسباب الثقافة الإسلامية وفهمها . ولقد كان انحراف العامة من المسلمين عن الدين سبباً فى هذه التهمة الباطلة التى رددها المتعصبون من الماديين مثل الماركسيين ، وهى أن الإسلام يقف فى طريق النهضة والحضارة لأنه دين الجمود والخمول .

ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ، قل لى بربك متى وقف الإسلام فى طريق النهضة ، وهو الذى نشر الحضارة والثقافة فى العالم ، ورعى العلوم والآداب فى عصور الظلام والفوضى ، ومهد لعصر الإحياء ، وساعد على حفظ وتجديد تراث الإنسانية الروحى والأدبى . وقل لى بربك متى كان الإسلام دين الجمود ، وهو الذى دعا إلى أروع المبادئ الروحية والاجتماعية والسياسية والإنسانية منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، ونشر مبادئ الحق والعدالة والإخاء والمساواة والديمقراطية الصحيحة قبل الثورة الفرنسية بأجيال مديدة .

لايزال الإسلام كما كان وكما يصوره أبو سفيان بن حرب عدوه اللدود حين سأله هرقل عن دعوة محمد فقال : (يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف وصلة الرحم) . ولم يكن رسوله الأكبر زعيماً دينياً متعصباً ، بل كان ملكاً رحيماً بالناس والحياة ، فأنقذ البشرية ودعا إلى تحررها وتجديدها ، وكان كما يقول حتى خصومه فى وصفه : (يصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الحق) .

ومع ذلك كله فلابد من أن نفهم ديننا فهماً صحيحاً ، وأن يكون سلوكنا فى الحياة وفق نواميسه ، حتى لايرمى الإسلام بسببنا بتهم باطلة .

ما أجدرنا أن نؤمن بالدين إيماناً صحيحاً ، وأن نفىء إلى الله وإلى الحق والإسلام.

سقوط النظريات اللادينية

— ١ —

النظريات الإلحادية واللادينية ، من وجودية وعلمانية ومادية وسواها، سقطت سقوطاً ذريعاً ، ولم تقف أمام تيار الدين الهادر ، ولا أمام تيار الإصلاح الثائر .

المادية أجريت لها على يدى جورباتشوف عمليات ترقيع وتجديد كثيرة ، وسقط النظام الاقتصادى المبنى على كتاب (رأس المال) لماركس ، فى ميدان التجربة ، وسوف تباح الملكيات الخاصة والاقتصاد الخاص فى روسيا فى ثورة الإصلاح الحالية .

وأغلب دول المحور الاشتراكى أباحت الملكية الخاصة وفتحت باب الاقتصاد والنشاط الاقتصادى للقطاع الخاص بعد أن كان موصداً بالسلاسل والأغلال .

والنظرية الغربية فى الاقتصاد التى تضع الاقتصاد العام فى أيدى الشركات والمؤسسات الخاصة ، تعطى الحرية التامة لكل عمل استثمارى ، وإن كانت تضع نظام الفائدة فى مقام الاعتبار الأول ، ونحن نرى أن نظام الفائدة يتحول إلى (غول) مفترس أصبحت الدول النامية تشكو منه وتعجز عن سداد أموال الفائدة فضلا عن عجزها عن سداد الدين نفسه ، مما يبين عظمة الإسلام فى تحريم نظام الفائدة .

إن النظريات الاقتصادية الغربية ، سواء منها الاقتصاد الحر أو الاقتصاد المقيد، قد فشلت تماماً فى التطبيق ، وعانت منها الشعوب ، بل الإنسانية كلها ، معاناة شديدة ، وأصبحت عبئاً على العالم كافة ، وهى لم تدخل فى ميدان التطبيق إلا منذ أمد غير طويل .

— ٢ —

هذا بينما بقيت النظرية الإسلامية فى الاقتصاد ، التى تنادى بالحرية الاقتصادية ، وبالتزامات اجتماعية على رأس المال ، ممثلة فى الزكاة وفى حق المجتمع ، وبتحريم

نظام الفائدة ، بقيت على مدى ألف وأربعمائة وتسع سنوات ، مثلا أعلى لكل اقتصاد سليم نافع للعالم وللمجتمع وللإنسانية ؟

هذا فى مجال الاقتصاد ، وهو أهم جانب من جوانب الحياة العامة فى الأمم والشعوب والجماعات .

وفى مجال النظام الاجتماعى ثبت صلاحية النظم الإسلامية وفائدتها للمجتمعات فائدة محققة ، فنظام الطلاق بدأت الدول المسيحية تعود إليه وقد كانت تحرمه ، ونظام تعدد الزوجات يثبت صلاحيته دائماً ، وإن كانت أوربا وأمريكا لاتزالان تمتنعان عن التصريح به إلا فى حالات خاصة ، بينما تبيح نظام الصديقات والخليلات إباحة مطلقة .

وفى مجال الأسرة ، ومجال النظام السياسى العام ، يثبت صلاحية النظم الإسلامية ثبوتاً قاطعاً ، وأنها تساير الفطرة الإنسانية ، والمنكرون فى الغرب ، ومنهم جارودى وغيره ، ينادون بأن الحل الإسلامى هو ضرورة إنسانية .

إن ذلك كله دليل على أن الإسلام من عند الله ، وأنه فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وأنه صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ؟

الدين والمجتمع

— ١ —

كيف نربى روح الانتماء فى الجيل الجديد ؟ وكيف ننشئه على القيم الفاضلة والأخلاق الأصيلة ، أخلاق الروح الإسلامية الفاضلة ؟

كيف نضمن سلامة الجيل الجديد من آفات العصر ، وأخلاق النزق والطيش ، وعادات الغرب المستوردة البعيدة عن جوهرنا ومعدننا الفاضل ؟ المخدرات بماذا نحاربها ؟

وجرائم الاغتصاب كيف نقاومها ؟

وروح الاعتداء على العرض والنفس والمال ، كيف نقضى عليها ؟

والاستهانة بحرمات الأسرة بماذا نتخلص منها .. ومن آثارها السيئة التى نقرأ عنها فى جرائم تشيب لهولها الولدان . من مثل قتل الابن لأبيه أو لأمه ، وقتل الأب لابنه ، وقتل الزوجة لزوجها ، وغير ذلك لا نستطيع أن نغفل واجبنا نحو الجيل الجديد وتطلعاته وطموحاته ، ولا أن نتركه وشأنه يعمل ما يشاء دون توجيه وإرشاد .. لانستطيع أن نتركه لأهوائه ولنزقه ولتوجيه الفاسدين والمنحرفين له ..

— ٢ —

ومن الضرورى أن تكون تربية الجيل الجديد وتوجيهه وأهم شىء أمامنا ، وأول واجب علينا من أجل مصر ، ومن أجل مستقبل مصر ، من أجل حاضرنا وغدنا .

وأول شىء نحب أن نلفت النظر إليه أنه بدون الدين لا نستطيع عمل شىء لجيلنا ولا للجيل الجديد ، ولا مستقبل الأجيال الناشئة .

وبدون الدين لن يكون لكتاباتنا ومقالاتنا ونصائحنا فائدة ، وبدون الدين لن نستطيع أن نرد منحرفاً عن انحرافه ، ولا مجرماً عن إجرامه ، ولا ظالماً عن ظلمه.

الدين سيقاوم فى نفوس المنحرفين طبيعة الانحراف ، ويقضى عليها ، لأنه سوف يكون المحكمة النزيهة التى تحاكم كل منحرف على انحرافه أمام نفسه وضميره وعقله وقلبه .

والدين سيرشد الإنسان إلى ضرورة المحافظة على نواميس الدين ، وأخلاق القرآن ، وأعراف الإسلام .. وسيقوم مقام الناصح الأمين لصاحبه .

والدين سيدعو المتدين إلى الطهارة الجسدية والروحية وسيهديه إلى السير الخلقى والنفسى ، وسيجعل من عقله ميزاناً يزن الأعمال الصالحة والطالحة بميزان سليم .

- ٣ -

ومن أجل غرس روح الدين فى نفوس الشباب لابد من تربيتهم تربية إسلامية فاضلة، لابد من أن تكون الثقافة الإسلامية هى أساس المناهج الدراسية فى كل مرحلة ، وكل صف دراسى ، وكل سنة تعليمية .

لابد أن نعرض روح الدين وجوهره وتعاليمه وآدابه على شبابنا عرضاً صالحاً سليماً قوياً بأسلوب جميل . وفى عرض حسن كل جميل فى الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، لابد من عرضه على شبابنا فى كل مناسبة وكل مكان .. فى البيت والشارع والمدرسة ، بالكتاب والصحيفة والمجلة ، بالإذاعة والتليفزيون ، والفيلم والكاسيت ، بالقصة والمسرحية والقصيدة .

تعاليم الإسلام ضرورية لتهذيب الشباب وتقويمه وتنشئته وتربيته على روح الانتماء للوطن وللأمة الإسلامية .

أيها الدعاة .. أيها الموجهون ، أيها القوامون على التعليم فى وطننا .. غذوا مناهجنا التعليمية بالثقافات الإسلامية وبروح الدين وبجوهر الفضائل ، وبآداب الإسلام لنعزز فيه روح الانتماء للوطن .

الدين حماية للمجتمع

هزت مجتمعنـا فى مصر هزاً عنيفاً تلك الحوادث الشنيعة التى نقرأ عنهـا فى صحفنا ومجـلاتنا ، من قتل الزوجـات لأزواجهن ، واعتـداء الأبناء على آبائهم وفتك الأزواج بزوجاتهم ، وغير ذلك من أمثال تلك الحوادث وأغربها ؟

وآخر ما قرأناه أن بنتاً حاولت الفتك بأبيها لمحاولاته الاعتداء عليهـا ، أمور نتعجب لهـا ، ونعجب من غرابتها ونقابلها بألم شديد ، وحزن عميق ؟

ماذا جرى فى مجتمعنا ؟ وماذا حدث فى أحوالنا ، وكيف تسير بنا الأمور إلى هذه الحالة المتردية الأثيمة التى لا عاصم لنا منها إلا الله عز وجل ؟

وأقول : إنه الدين الذى يعصمنا من هذا الوبال ، وليس غير الدين هو الذى يقينا من هذه الشرور ، وإذا أردنا أن نعيد للمجتمع سـلامه وأمنه واستقراره فليس غير الدين .

إننا قد نقول : إن الفقر هو السبب فى الحوادث المفجعة التى نراها ، وأقول : إن الفقر إذا كان هو السبب فى السرقة والقتـل من أجـل السرقة ، فما دخله فى حوادث الاغتصاب وانتهاك الأعراض ومحاولات الاعتداء على الأطفال ، وسوى ذلك من الحوادث التى يندى لهـا الجبين .

إننا قد نلنا من الدين فى نفوس الشباب ، وحاولنا أن نبعد الشباب عن التأثر بالوازع الدينى ، وتسلط الشيوعيون والعلمانيون والملحدون على صحفنا ومجلاتنا ، يكتبون فيها لينفروا الشباب من المحافظة على الدين ، وجعلنا نأخذ الشباب المتـدين لنضعه بغير جريرة فى قائمة العقاب ، فكيف يبقى للوازع الدينى فى نفوس الناس تأثيره القوى الكبير ؟

إن الدين هو الذى يساعد الحاكم والمحكوم على الاستقرار ، وهو الذى يتتبع المجرم ليقضى على الجريمة ، وهو الذى يمنع ضعاف النفوس من ارتكاب الجرائم ، وهو الوقاية للمجتمع من كل شر .

الدين هو صمام الأمان للمجتمع ، ينهى كل خارج على القانون والدين والعرف عن أفعاله الشائنة ، ويحض على فعل الخير ، واحترام الحقوق ، وأداء الواجبات ، والبعد عن المحرمات ، وهو الذى ينهى عن السرقة والربا والنهب والغصب ، وهو الذى يأمرنا بأداء الواجبات ، وينهانا عن ارتكاب المحرمات ..

وهو .. وهو .. إلى ما لا يمكن التعبير عنه إلا فى حدود الإيجاز الشديد .

أقول : إن الدين هو الذى يحفظ لمجتمعنا سلامه ، ويحفظ له سلامته ، ويدعونا إلى فعل الخيرات ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

إن البعد عن الدين هو سبب كل بلاء ، وسر كل شقاء ، وهو الطريق إلى تفكك المجتمع ، وفقدان الثقة والأمانة بين أفراده ، وهو سبيل التفريط فى الواجب وضياع الحقوق والاستهانة بالحرمات ، واستباحة المحرمات ، وهو الذى يقود الإنسان إلى التحلل من المسئولية ، وإلى الكذب والخيانة ، والاعتداء على أموال الناس وأعراضهم وأرواحهم ، وهو سر ما نعانيه اليوم من فساد وقلق واضطراب وزعزعة الثقة بين الناس ..

التاجر يريد أن يصبح ثرياً بين يوم وليلة ، بالغش والخيانة والتدليس ورفع الأثمان ، إلى درجة اللامعقول ..

والطبيب يتاجر فى أرواح الناس وحياتهم ، ليصير صاحب ثروة كبيرة فى وقت يسير .

والمهندس صار يرتكب حماقة الغش ، فيقيم المبانى بلا أساس متين ، ويعرض أرواح الناس للهلاك بين لحظة وأخرى .

والصانع أصبح عدواً لإتقان الصنعة ، فيصنع الأشياء وهى لا تستطيع أن تقاوم عبء الاستعمال ، فتصير بين يوم وليلة وكأنها لا شىء .

من الذى يدعو التاجر إلى الأمانة ، ويدعو الصانع إلى التجويد والإتقان ؟

ومن الذى يدعو الموظف إلى أداء مسئولية وظيفته ، ورعاية الله فى حق المواطنين ؟

ومن الذى يدعو الطبيب والمهندس والعامل والزارع والمعلم وكل إنسان إلى مراقبة الله فى السر والعلن ؟

إنه الدين ، إنه وجدان الإنسان المسلم ، إنه ضمير المؤمن الحى اليقظ ، إنه الاستجابة لنداء الله فى كتابه الحكيم .

فلماذا إذن نحاول هدم الوازع الدينى فى النفوس ؟ ولماذا ندعو بحماقاتنا إلى الاستهانة بنداء الدين ؟ ولماذا نعمل جاهدين على التحلل من قيود الحلال والحرام؟

لا مفر لنا من تعزيز روح الدين فى نفوس الشباب ، وتربية الأمة تربية إسلامية قوية ، تعلم الشباب الحقوق والواجبات ، وتعرفه أن أداء الحقوق لأصحابها والقيام بالواجب ، هو التزام أبدى بين العبد وربه ، وهو الطريق السوى للسعادة فى الدنيا والآخرة ، وهو سبيل السلام الاجتماعى بين الناس ، وهو السياج الأمين الذى يحوط الأمة بالرعاية والأمان ، ويوصلها إلى غاياتها الكبار من الرخاء والقوة والسيادة والاستقرار .

فلا يمكن أن تصل الأمة إلى كل ما ترجوه لنفسها من خير ، إلا بالمحافظة على الدين ، والالتزام به دائماً وأبداً .

الدين ينهانا عن الخمر والميسر والبغاء وأكل أموال الناس بالباطل ، ويحضنا على فعل الخيرات ، والإكثار من الحسنات .

الدين هو روح الأمة ، وهو المنقذ لها من الشدائد ، وهو السند لها فى الملمات .

فعلينا إن أردنا لمجتمعنا السلامة أن نحافظ على روح الدين ، وأن نقويها فى نفوس الشباب وأن نحرص على التمسك بروح الدين وأخلاقه وآدابه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

لا عدوان ، ولا شحناء ، ولا جريمة ، ولا ضلال .

الدين الحق هو الذى يسير بنا إلى واحة الأمن والأمان ، وهو الذى يحفظ علينا نعمة الاستقرار ، وهو الذى يدعونا دائماً إلى الإخلاد للسلام .

أدعو أبناءنا وبناتنا ورجالنا وشبابنا وشيوخنا وأطفالنا إلى التمسك بروح الدين :

لا عاصم لنا اليوم من أمر الله إلا الدين ، والتمسك به والمحافظة عليه .

والله يهدينا إلى سواء السبيل ، ويمنحنا التوفيق والسداد والأمن والأمان والإيمان .

إنه على ما يشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

الطريق الى الدين

إن الإيمان بالخالق المدبر، فطرى فى كل إنسان، وليست الفطرة فى الإسلام، عن طريق الوجدان هى طريق الإيمان، بل أوجب الإسلام الإيمان عن طريق العقل والبحث والنظر.

وإذا كان العلم الناشئ عن الوجدان، والعلم الناشئ عن البحث والتأمل، والعلم الناشئ عن رسالات السماء، كلها توصل إلى الله، فإن الواجب فى الإسلام اقتران العقل بالوجدان فى البحث فى أمور العقيدة والدين والتوحيد، وأصبح من الحتم على المسلم أن يجعل إيمانه صادراً عن تفكير وبحث ونظر، وأن يحكم العقل تحكيماً مطلقاً فى الإيمان بالله تعالى.

وهناك ما لا يستطيع العقل فهمه من الغيبيات، التى أمر الله تعالى الناس بالإيمان بها، وتلقى علمها من الكتب السماوية دون محاولة عرضها على العقل، وذلك من مثل ما ورد عن الآخرة من بعث وحساب وثواب وعقاب، وكذلك ما ورد عن بدء الخليقة.

إن العقل مهما تكامل فهو متفاوت النظر، قصير الإدراك فى جانب علم الله الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين، وقال الله سبحانه: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» فكان من لطفه وإحسانه أن أرسل الرسل معلمين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. وكان من لطفه وإحسانه أن أرسل إليهم الرسل بما يلزم معرفته والإيمان به من علوم السموات والأرض، منظمين لحياة الناس فى أسرهم، وفى مجتمعهم وفى علاقاتهم بكل أمة مع غيرها من الأمم، حتى يعيشوا إخواناً متحابين، ودلوهم على طقوس من العبادة تربطهم بخالقهم، حتى تعز نفوسهم ولا تنكس رءوسهم لغير خالقهم، يعبدونه لا يشركون به شيئاً، ثم كانت هذه الشعائر هى التى تهذب نفوسهم حتى تحسن علاقات بعضهم ببعض، وحتى

لا يتحاسدوا ولا يتباغضوا ويكونوا إخواناً متعاونين وإخوة متساندين . وقد أرادت أن تلزم الناس فجعلت لكل إنسان جزاء على ما يعمل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، حتى يحاسب كل إنسان نفسه قبل أن يحاسب ، وحتى يخاف ربه ، ويشفق من دينه ، فلا يفعل إلا خيراً ، فإن نسى أمر ربه وانحرف عن سبيل طاعته وأساء يوماً إلى نفسه أو إلى أخيه ، فإن أمره فى يسر بلا عنت ، وأن ربه رحيم به ، لا يوصد دونه باب الإصلاح والاستصلاح ، فليعد إلى ربه وليستغفر من ذنبه والله غفور رحيم : فمن أبى إلا أن يكون شريراً مفسداً ومعانداً مؤذياً ، فقد جعل له عقوبات فى الدنيا تزجره حتى لا يعود ، وتزجر غيره حتى يصد نفسه عن الشر . كل هذا ليسود الوئام والحب ، ولا يبغى بعض الناس على بعض ، وتتحقق الخلافة المنشودة . فما كانت مهمة الأديان إلا تعليم الناس وتوجيههم إلى الخير ، وما كانت فضولا ولا إعناتاً للناس . وإنما الفضول والإعنات أن يترك الناس عملا وأن يخلقوا عبثاً وأن يستوى الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسىء ، وأن يكون المسلم كالمجرم ، والمسىء كالمحسن .

هذا هو الخلاف بين رجال الدين والمنتسبين إليه وبين غيرهم من دعاة الإلحاد والزندقة ، الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن التدين بشبهة أنه يخالف المدنية : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » . وبالله لقد علموا لو كانوا يعلمون أن التدين لا ينافى المدنية الحق ، فإن المدنية الحق تقوم على نظام وتآلف ووطنية وصدق ووفاء وأمانة وقوة ودفاع وحرية ونظافة وعمل ونشاط ومعاملة دقيقة رقيقة وعدل وإحسان ، وكل هذه هى مما يدعو إليه التدين ، بل تدور فى محوره ، فليس يدخل فى مسمى التدين الصحيح رجل يشتمل على فوضى وإهمال ولا رجل يستهين بحقوق الآخرين فلا يراعى واجبهم أو يفرط فى وطنه فلا يفتديه بأعز ما لديه من مال ونفس ، أو رجل غاش أو خائن يستهين بكرامته فى سبيل توزيع سلع فيحلف كاذباً ، أو يبيع شيئاً باسم شىء سواه ، أو رجل جلف غليظ يسىء إلى الآخرين أو يأكل حقوقهم أو أموالهم بالباطل ، فكل طمع فى حق الناس وكل أثرة وأنانية وكل

معاملة غير مرضية ليست مما يمت إلى التدين فى شىء ، وقد جمع رسول الله ذلك كله فى كلمة واحدة (الدين المعاملة) .

إن الإيمان بإله قادر عليم صانع حكيم مما دلت عليه الفطرة وهدى إليه العقل ، فقالت به العامة والدهماء بمقتضى فطرهم وسذاجتهم ، كما قال به الحكماء والفلاسفة على مقتضى أدلتهم ومقدماتهم .. واستدل الأعرابى بالسماء وكواكبها والأرض ومسالكها على اللطيف الخبير . وكما استدل بالنور على النهار وبالخطوة على السير ، وكما استدل الحكماء على وجود الله بترجيح الوجود على العدم ، وكل ترجيح لابد له من مرجح ، والمرجح هو الله تعالى .

وهكذا يتفق جميع العقلاء ، إلا من اغتالتهم الشياطين ، على إله مدبر لهذا الكون متصف بالكمال كله ومنزه عن النقص .

إن الأديان السماوية رحمة من الله بالعباد ، لتقيل عثار الإنسانية وتزيل تخبطات بنى آدم فى معاملاتهم ، وتحقق بينهم معانى الوئام والحب وترشحهم لخلافة الله فى الأرض إخواناً متحابين وإخوة متساويين . والعقل وحده لا يكفل هذه المعانى النبيلة ، ولا يحقق هذه الأخوة الهانئة السعيدة : فالعقل يتحكم فيه الهوى فيميل به إلى الظلم والبغى ، ولهذا يقومه الدين ، يقول الله تعالى : « كونوا لله قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » . ويقول : « كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » .

فالعقل وحده لا يغنى فى إصلاح النفوس ، وتقويم الأخلاق وإشاعة الحب المنشود . أليس العقل هو الذى سلط الماديين الأقوياء اليوم على الضعفاء ليستعمروهم وليسلبوهم حرياتهم ؟ .. والأديان السماوية تأبى ذلك وتقاومه ، أليس العقل هو الذى تفنن فى صنع الناسفات والمدمرات والأقمار والذرات وما إلى ذلك من الفضول ، تشقى به اليوم الإنسانية على حين تدعو الأديان إلى سعادتها ، وجمع شملها ؟

وبعد .. فإن العقلاء يتناقضون ويختلفون اختلافاً كثيراً جداً فى وجهات نظرهم تبعاً لاختلاف ثقافتهم ، وتعدد بيئاتهم ، وتضارب ميولهم وعصبياتهم ،

بل العاقل الوحيد يناقض نفسه فيقول اليوم غير ما قال بالأمس ، لأنه اليوم فى ظرف يختلف عنه بالأمس ، وفى جو غير جو الأمس وهكذا .

ولكن علم السماء واحد لا يختلف ، لأنه لا تتجدد به الأطوار ، ولا تختلف عليه الأجواء، ولا وجود عنده لعصبية ولا هوى . وصدق‌الله إذ يقول : « أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

وإذن فالأديان السماوية خير سناد للفكر ، وموجد له ، توفر على النـــاس تجاربهم ، وتحكم بين النـاس فيما اختلفوا فيـه ، وتحول بينهم وبين التورط فى العصبيات الممزقة الشمل ، والأهواء المصدعة الوحـدة المنشودة ، وصـدق الله إذ يقول : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيـه وما اختلف فيـه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لمـا اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

فالآية الكريمة تدل على أن الاهتداء بهدى الأنبياء ضرورى للبشر وأنه لا غنى لهم عنه مهما بلغوا من كمال العقل ، فإن العقل لا سبيل له إلى الوصول للحق ومعرفة ما يلزم الإنسان فى توفير مصـالحه وتنحية الشر عنـه . فالأديان إذن خير معوان للناس على تحقيق مآرب البشرية فى حدود السلام والحب العام ، فهى بر ورحمة بهم ولولاها لبلغ الحيف أقصى مداه ، واضطربت بالنـاس سبل الحيـاة ، كما ترى حين ينصرف الناس عن الأديان ويعرضون عما تلتزم به من رفق وحنان ، ولهذا صح أن يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وقاتل الله هذا العلم الشيوعى فهو الذى فرق الجماعات البشرية وأدار رحى تلك الحروب بينها ، وصير رقاع الأرض مجازر بشرية بدل أن تكون رياضاً فيحاء وجنات عدن لأبناء آدم الأخوة الصادقين عن الصراط المستقيم .

والإسلام إذن واحد من تلك الأديان يمثلها فى أصول الخطط والتوجيهـات ، وإن يكن بينها وبينـه اختلاف ، فمن حكم اختلاف‌الأزمان والظروف والبيئـات وما يستتبعه ذلك كما اختلف بعض الأديان مع بعض من قبـل ، وكما يختلف المسلمون أنفسهم فى بعض أحكام المعاملات باختلاف البيئات والعرف والأزمنة

ومستتبعاتها . وقد وسع الإسلام ذلك كله لأنه آخر الأديان ، وأوسعها رقعة ، وأطولها مدة ولهذا تنوعت فيه الأحكام بين العزائم والرخص ، وتنوعت فيه تلك الرخص بما يرفع الحرج عن الناس فى معايشهم ، ويكلفهم بما يطيقون فى عبادتهم فالدين ليست مهمته الإعنات ، وإنما هو سناد للإنسانية وحاجز بين بعض العباد وبعض أن يختلفوا ، كما رأيت ، ومهذب لنفوسهم حتى لا يضلوا ، ومبين لهم حتى لا يضطربوا ، والله بكل شىء عليم .

إن من العجب أن ينكر الشيوعيون الدين ، وهو حق لا ينكره إلا من بعقله خبل . تالله لقد كفروا بأنفسهم وضل سعيهم ، وما العقائد إلا معنى متأصل فى النفوس ومركوز فى الفطر ، لا يذهب إلا إذا انسلخ الفرد من إنسانيته ورضى أن يكون حيواناً بهيمياً لا يفقه حديثاً ولا يرقى منزلة ، ويومئذ تميد الأرض وتزول الجبال وتخلو الدنيا من القائمين بالأمر ، ويومئذ لا يجد الناس قائماً على شئون الناس فيهلك العالمون ، ويفنى الباقون .. حينئذ تذهب خلافة الله ، وإذا ذهبت خلافة الله من الناس ، فقد قامت قيامتهم ولم يكن فيهم صلاحية للبقاء .

من العجب حقاً أن ينكر الشيوعيون الأديان وفيها توجيه للعالمين ، وفيها تقاليد الفضائل ومقاييس الحياة الصالحة ، وفيها الخير لهم لو يعلمون علم اليقين ، قالوا : إن الأديان أفيون الشعوب ، والأفيون ما هم فيه من الترهات والافتعالات وأما الأديان فهى نور للناس تمشى بها . إن الأفيون هو تلك الشيوعية التى طالما ضللت الناس عن القصد وأغوتهم بالشهوات ، وهى السم الزعاف والمفرق لكلمة الناس والموقعة للعداوة والبغضاء ، لأنها لم تنظم على وفق ما رسمت الأديان . إن هذه الإباحية والتحلل إن نجحت فإلى حين قريب ، ثم يموج بعض الناس فى بعضهم ويبغى بعضهم على بعض ويرتفع الهدوء والسلام . ويذهب الحب والوئام لا محالة ، فالرغبات متعارضة والميول متضاربة إن لم يكن بعين الأفراد فبعين الشعوب ، ولا حكم بين الناس مثل الأديان التى خلت من الهوى وتجردت من كل معنى إلا إشاعة الحب بين الناس فى كل زمان وفى كل مكان : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين ۞ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود

الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » .

إن بين الشيوعية والدين عداوة شديدة وحرب لاهوادة فيها ولا مهادنة ، وهذا أمر طبيعى ، فإن الشيوعية نظام يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة تزعم أن كل ما يقع فى التاريخ من حركات ، فإن مرجعه إلى الأسباب الاقتصادية ولا مرجع له غيرها ، وما دامت الأسباب الاقتصادية — دون غيرها — هى التى تملى على التاريخ حركته وتسيره حيث تشاء ، فلا مجال هناك للاعتراف بالخالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر إلى مصائرهم بقدرة وإرادة . والشعور الدينى عندنا وعند كل ذى دين فى الأرض هو إحساس طبيعى فى الإنسان ، يشعره بأن من فوقه قوة علياً توجهه وتسدده فى طريقه ، وتعصمه من اليأس فى ساعات الحرج والشدة ، وتمنحه العزيمة والقوة على اقتحام المصاعب ، وتمنعه من الاستسلام لنزعات الشر والسوء أو للشهوات والنزوات والمطامع الفردية ، وتربط البشر بعضهم إلى بعض بروابط تجمعهم على الأخوة الإنسانية المتعاونة من غير انتظار لجزاء مادى أو غير مادى يلقاه الإنسان على الأرض ، فهو إذن شعور مثالى لا يتم تمام الإنسانية إلا به ، ولا يتحقق السلام على الأرض بغيره .

ولكن الشيوعيين أتباع (ماركس) لايرون فى الدين هذا الرأى ، فليس الدين عندهم إلا تفسيراً خاطئاً للظواهر الاجتماعية ، وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البالية ، ولوناً من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به كل الناس ، فهو عندهم مظهر جهل ووسيلة استغلال وحيلة مخادع ، ومن واجب الشيوعيين أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده ويبرأوا من كل آثاره ، كذلك يقول الشيوعيون ويلقنون أتباعهم بصراحة مكشوفة وبلا مواربة .

ويفيض فلاسفة الشيوعيين فى تبرير إنكارهم للدين ومحاربتهم له ، فيزعمون أن الدين خرافة وجهل ، ويعللون انتشار الأديان بالظروف المادية التى عاش فيها الإنسان الأول ، فيقولون : (إن الإنسان الفطرى فى العهد البدائى كان يقف عاجزاً حائراً أمام الظواهر الطبيعية ، كالرعد والفيضانات وغيرها ، وكان جهله بأسباب تلك الظواهر يجعله يردها إلى إرادة عليا ، يسعى إلى كسب عطفها

والتماس أسباب الزلفى إليها بتقديم القرابين واصطناع ألوان العبادات ، ومن ثم نشأ الإيمان بالقوى غير المنظورة ، وعبادة تلك القوى ، ثم استفاضت تجارب الإنسان ، واتسعت آفاق معرفته ، وأنارت الكشوف العلمية بصيرته ؛ ولكن نظام الرأسمالية الجاثم على صدر الناس ظل يخضعهم لقوى أمضى سطوة من القوى المجهولة التى كان يخضع لها الإنسان البدائى ، فرأس المال يستطيع أن يسلط على الإنسان الفقر والبطالة ، ويعرضه للأزمات المالية المذلة والحاجة الملحة ، فيجد نفسه مضطراً إلى الاستعانة بالقوى غير المنظورة ، أى بقوة الله ، وهذا الإيمان يلائم الطبقة المستغلة ، إذ يصرف جموع الشعب عن الكفاح فى سبيل السعادة الدنيوية ويجعلها تتعلق بأوهام البعث ، ويغرى الدين الناس بأن يشتغلوا بالعبادة ويخضعوا للطبقة المستغلة ، ويتقبلوا النظام الرأسمالى على أنه نظام لامفر منه وقضاء لا مرد له ، ومن شأن الطبقة البورجوازية أن تؤيد الروح الدينية لتضمن سيطرتها على الطبقة العاملة ، كما يشجع المستعمرون الأديان لتعيش جماهير الشعب فى البلاد المغلوبة على أمرها سادرة فى ظلمات الجهل والاستسلام[1] .

ولكارل ماركس كلمة مشهورة عن الأديان جرت فى أفواه الشيوعيين مجرى الحكم والأمثال ، وهى : (إن الدين أفيون الفقراء) ! وللزعيم الشيوعى لينين كلمات مأثورة فى الحملة على الدين والحض على الإلحاد وتسفيه المعتقدات الدينية ، منها قوله : (الماركسية هى المادية ، وهى من ثم معادية للدين) . وفى فلسفة المادية أن (ليس هناك حقيقة سوى المادة ، ولكن هذه المادة ليست شيئاً مجرداً ، وإنما هى تشمل الإنسان وأعماله ، ويتكون التاريخ من عمل الإنسان فى المـادة وتأثير المادة فى الإنسان ، وبين الإنسان والمادة تأثير متبادل ، فالمادة تغير من الإنسان ، والإنسان فى دوره يغير فى المادة لتلائم حاجاته وتقضى لباناته. وعلاقة الإنسان بغيره أساسها الإنتاج والاستهلاك ، وهو باعث الحركة الديالكتيكية التاريخية وصراع الطبقات ، وتقضى الحركة الديالكتيكية بأن يظل الصراع قائماً بين الفقراء المستعبدين والأغنياء المستغلين ، حتى تحدث الثورة ويحطم المال النظام الرأسمالى ويتحقق الفردوس الأرضى ، ولا مكان لروح فى مثل هذه الفلسفة ، وإنما يمتاز

---

(١) عن كتاب (حقيقة الشيوعية) .

الإنسان عن الحشرات والسائمة بقدرته الفنية ، وليست هناك حياة أخرى ولا عالم روحى ولا حرية ، لأن الإنسان خاضع للضرورات المادية ، وأما الآداب والأخلاق فليس لها مصدر علوى ، وإنما هى وسيلة لحفظ المجتمع) .

ومن أقوال لينين فى ذلك : (علينا أن نكون مستعدين لكل لون من ألوان التضحية ، وإذا استلزم الأمر فإننا نمارس كل شىء ممكن ، فالحيل وفنون المكر وكل الأسباب غير الشرعية جميعها مباحة ، وكذلك السكوت وإخفاء الحق .. وموجز القول أننا نستخلص الآداب من مصالح الحرب بين الطبقات !) .

ويقول أحد الماديين فى تقديمه لكتاب لينين عن الدين : (الإلحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها) .

وفى برنامج المؤتمر السادس للدول الشيوعية الذى عقد فى سنة ١٩٢٧ ما يأتى :

(الحرب ضد الدين — أفيون الشعوب — تشغل مكاناً هاماً بين أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة منظمة . وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ، ولكنها فى الوقت نفسه تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بدعاية ضد الدين ، وتنظم التربية على أساس التصور المادى للدنيا) .

ويقول لينين فى فصل له عن (الاشتراكية والدين) ما يلى : (الدين يعلم هؤلاء الذين يكدحون طوال حياتهم فى الفقر والاستسلام والصبر فى هذه الدنيا ، ويغريهم بالأمل فى المثوبة بالعالم الآخر) .

ويضرب لينين على هذه النغمة فى فصل له آخر عن موقف حزب العمال من الدين فيقول : (قال ماركس إن الدين هو أفيون الفقراء ، وهذا حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين ، وتعد الماركسية الديانات الحديثة جميعها ، والكنائس ، وكل أنواع المنظمات الدينية آلة لرد الفعل البورجوازى الذى يستهدف الاستغلال ضد مصالح الطبقة العاملة) .

وفى كتاب أرسله لينين إلى الكاتب الروسى جوركى يقول لينين : (إن البحث عن الله لا فائدة منه ، ومن العبث البحث عن شىء غير موجود ، وبدون أن نزرع لا نستطيع أن نحصد ، وليس لك إله لأنك لم تخلقه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها وإنما تخلق) .

كذلك أصدرت الحكومة السوفيتية فى ٢٣ يناير سنة ١٩١٨ مرسوماً حدد مسألة حرية الدين وموقف الدولة السوفيتية تجاه الدين والجمعيات الدينية ، وقد أعلن هذا المرسوم التاريخى ما يلى :

١ — الكنيسة منفصلة عن الدولة .

٢ — محظور إصدار أية قوانين محلية أو لوائح فى أراضى الجمهورية يكون من شأنها عرقلة أو تقييد حرية الضمير ، أو إيجاد أية امتيازات أو ميزات على أساس معتقدات المواطنين الدينية .

٣ — كل مواطن له أن يعتنق أى دين ، أو لا يعتنق أى دين على الإطلاق .

٤ — لن تجرى أية مراسم أو احتفالات دينية فى أى عمل من أعمال الدولة أو فى أى احتفال رسمى عام أو اجتماعى .

٥ — حرية القيام بالطقوس الدينية مكفولة إلى الحد الذى لايؤدى إلى اضطراب النظام العام ، إذا كانت غير مصحوبة بالتعدى على حقوق المواطنين فى الجمهورية السوفيتية .. وللسلطات المحلية الحق فى اتخاذ جميع التدابير اللازمة فى هذه الأغراض لضمان المحافظة على النظام العام والأمن .

٦ — لايستخدم أحد معتقداته الدينية كعذر للتنصل من واجباته المدنية .

٧ — يلغى كل قسم أو عهد دينى ، وفى الأحوال الضرورية يكتفى فقط بالوعد الصادق .

٨ — تقوم السلطات المدنية — وحدها — بجميع أعمال التسجيل المدنى عن طريق مكاتب تسجيل الزواج ، والميلاد .

٩ — المدرسة مفصولة عن الكنيسة ، والتعليم الدينى محظور فى جميع المدارس العامة والخاصة ، ويتعلم المواطنون الدين على انفراد .

كل الطرق تؤدى الى الله

— ١ —

نحن نعيش اليوم فى معركة الإيمان ، معركة حقيقية مع خصوم الدين ، مع الذين يقولون آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومع الذين يزعمون أن الإيمان والأديان والبعث والقيامة والملائكة وسائر أمور الغيب إن هى إلا خرافة ، وإن هى إلا دجل ، وإن هى إلا استغلال لعواطف البشر ... هكذا يقولون ويزعمون ، وبئس ما يزعمون . ونجادل هؤلاء الشاكين فى الدين وفى الله وفى الرسل ، فنجد عقلا فارغاً ، وقلباً جاحداً ، وضلالا استحوذ على أنفسهم ، وسولت لهم الشياطين هذا البهتان ، وهذا الكفران ، وسارت بهم فى صحراء مظلمة ليس لهم ولا لمن يضللونهم منجاة منها إلا من عصم الله .

يقولون : (إن العقل قد ارتقى فى عصر العلم ، وإن الآلة سحقت كل شىء ، وإن الحياة ليس فيها إلا جبروت هذه الآلة التى يقودها عقل الإنسان ، فالعقل يجب ألا يخرج عن نطاق العلم التجريبى ، وألا يسير وراء الأوهام ، وأن يعمل مؤمناً بالحياة وحدها) .

هكذا يقولون ، ويسرفون ويبالغون ، ويستمرون فى مزاعمهم الباطلة ، وفى جحودهم الدائب ، وفى كفرهم الصريح ، وفى دعوتهم إلى الإلحاد ، والثورة على الدين والمتدينين ... إنها ثرثرة فارغة ، وقول هراء ، وأكاذيب ملفقة ، بل ضلال وبهتان لا حد لها ، ولو استمع هؤلاء لصوت ضمائرهم ، ولو ركنوا إلى الحق قليلا ، ولو أنصتوا لحكم التفكير الصحيح ، لعلموا أن ما يتقولون إن هو إلا باطل وضلال مبين ، وزور من القول وبهتان عظيم .

إن العقل يرشدنا دائماً إلى الله وإلى الدين وإلى الحق .. العقل المجرد من الهوى المنزه عن الغرض... العقل البرىء الذى لم تلوثه الشهوات ولا المطامع ولا الأغراض ولا العصبيات ، فالعقل دائماً يقف مؤمناً بالله وبالرسل وبالدين وبوجود الملائكة وبالآخرة وبالبعث والنشور والحساب ، لأن العقل يأبى أن يرى قدرة الله وآثارها

الظاهرة فى السماء والأرض وفى خلق الإنسان ، ثم يكفر بوجود الله ، ولأن العقل لا يستطيع أن يفهم أن الحياة خلقت عبثاً ، ولا أن الناس خلقوا سدى ، ولا أن الإنسان يعيش لدنياه فحسب ، ولأن العقل يأبى أن يصدق مزاعم الجاحدين الكافرين والمشركين : من أن الدين خرافة ، وأن الحياة ليس وراءها بعث ولانشور ولا حساب .

إن العقل دائماً فى صف الإيمان .. إنه يقف مشيراً إلى وجود الله وقدرته ، إنه يقول ما قال القرآن الكريم : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ❊ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » .

العقل يقف متعجباً من خلق الإنسان ، وماركب فى جسمه من أذنين وعينين وساقين ويدين ، وما أودع فى جوفه من قلب ، وفى رأسه من عقل ، ولا يجد مناصاً من أن يعترف بأن خالق ذلك كله هو الله أتقن كل شىء صنعاً ، وأحسن كل شىء خلقاً . والعقل يدعو القرآن الكريم إلى جعله طريقاً من طرق المعرفة ، ووسيلة من وسائل الإدراك .

يقول الله تعالى : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ويتبع كل شيطان مريد » . ويقول : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ❊ وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير » . ويقول : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولاكتاب منير ❊ ثانى عطفه ، ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ❊ ذلك بما قدمت يداك ، وإن الله ليس بظلام للعبيد » .

ففى هذه الآيات الكريمة تحديد واضح لمنهاج المعرفة ومذاهب التفكير والفهم عند البشر ، وقد عنى القرآن الكريم فى هذه الآيات وفى سواها مما لم نذكره أن يوضح للبشر دون لبس منابع الحقيقة واضحة بينة حتى لا يضلوا فى الحياة ، أو يتشعب بهم الظن فى مجال البحث واليقين ، وحتى يبنوا عقائدهم وآراءهم على أساس سليم مستقيم .

ففى الآية الأولى يذكر الله عز وجل صنيع بعض المشركين المتمردين على عقيدة التوحيد ، الدائبين على الحجاج والجدل فى الله ، دون أن يرتكز لجاجهم وجدلهم على دعامة العلم والبرهان والمنطق ، ودون أن يخضع نقاشهم لحكم العقل والإنصاف ، وإنما يخبطون خبط عشواء ، ويسيرون فى صحراء ظلماء ، لا يفرقون بين حق وباطل ، ولا يحاولون الرجوع إلى الحق أو التزامه أو الدفاع عنه .. فهم ينازعون فى ذات الله وفيما يجوز عليه ومالا يجوز من صفات وأفعال ، ويقولون من الأباطيل ما يقولون ، ملابسين للجهل ، ويتبعون فى أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم كل شيطان عات ضال مضل عن سبيل الله ، وذلك من أشباه : أبى جهل ، والأخنس بن شريق ، والنضر بن الحارث ، وسواهم . وكان النضر يقول : الملائكة بنات الله ، والقرآن أساطير الأولين . ويقول : إن ما يأتيكم به محمد هو ما كنت أحدثكم به عن القرون الماضية . ويقول : الله غير قادر على إحياء من بلى وصار تراباً ، وكان يذهب إلى فارس فيشترى كتب الفرس وأساطيرهم فيحدث بها قريشاً ، ويقول : إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة ، والآية عامة فى كل من أمعن فى الجدل دون علم أو برهان ، ومن يضل ويضل بذلك عن سبيل الله ودينه وشريعته :

وكذلك الآيتان الأخريان من سورة لقمان تؤكدان هذه المعانى ، وأن من الناس من يدأب على الجدل فى ذات الله وصفاته ، أو فى دين الله وشرائعه دون علم واستبصار ويقين مأخوذ من دليل عقلى ودون هدى وإرشاد ، متفادين كل هاد ومرشد من الرسل والأنبياء ، ودون كتاب منير واضح جلى هاد لا خفاء فى هديه ، منزل من الله عز وجل إلى رسول من رسله المكرمين ، فهو لا يؤمن بالدين وإنما يؤمن بالأوهام والتقاليد والأساطير الكاذبة يتخذها منهجاً له فى التفكير والبحث ، ويهمل عقله إهمالا ، ويفسد فطرة الله فى نفسه إفساداً شديداً ، وهل هناك ما هو أضر على الإنسانية من التقليد الأعمى والاتباع المرذول ، وهل حارب القرآن الكريم شيئاً كما حارب التقليد وصنيع المقلدين ، ولذا ذهب الأئمة إلى أن التقليد فى أصول العقائد ضلال غير جائز ، حتى قال الرازى : (وأكثر العلماء على أن التقليد لايكفى

فى أصول العقائد) ، ويؤكد القرآن أن مثل هؤلاء إنما يتبعون سبيل الشيطان ، والشيطان إنما يدعوهم إلى عذاب السعير .

أما الآيات الثلاث الأخيرة ، وهى من سورة الحج ، فهى كذلك تأكيد لهذه المعانى الشريفة وتقرير لها ، وتوضيح لصنيع هؤلاء الناس ، الذين يتخذون الجدل بالباطل وسيلة للضلال والإضلال عن سبيل الله، فهم لايرجعون فى جدلهم فى الله إلى العلم أو الهدى أو الكتاب المنير ، وهنا يفسر المفسرون العلم بالعلم الضرورى ، والهدى بالاستدلال والنظر الذى يهدى إلى المعرفة ، والكتاب المنير بالوحى وإن كنا نحن لا نرى مانعاً من تفسيرها بما فسرناها به آنفاً ، أو بما فسرها به المفسرون هنا ، أو بتفسير آخر نذهب إليه ونرجحه ، وهو أن المراد بالعلم الحقائق التى تستقر فى النفس ، ويرشد إليها التفكير والبحث والدليل والتجربة ، والهدى المراد به الإلهام النفسى الذى تمده فطرة الله فى النفس الإنسانية التى فطرها الله على التدين والإيمان ، والكتاب المنير هو المنزل من السماء على رسول من الرسل يدعو إلى مبادئه ويبشر بشريعته ، وتكون أقواله وأفعاله تفسيراً لما تضمنه من أحكام وآداب وشرائع وشعائر وعقائد ومثل .

ويؤكد الله عز وجل هنا أن الإعراض عن الحق والاستكبار عن السماع من الرسل ديدن هؤلاء الناس الذين حاربوا الرسالات الإلهية ، وضلوا وأضلوا عن سبيل الله ، وأن لهم خزياً وهواناً فى الدنيا وعذاباً أليماً فى الآخرة ، بما اجترحوا من سيئات وما اقترفوا من آثام فى حق الله والعقل والإنسانية والشعوب والجماعات ، والله عادل فى عقابه لا يظلم أحداً . ولا شك فى أن مثل هؤلاء يستحقون هذا العذاب ، فقد صدوا عن الله ودينه وتوحيده ، وجادلوا فى الله مجادلة عن عناد واستكبار ، دون أن يخضعوا فى جدلهم وحجاجهم لأصول العقل أو برهان العلم أو هداية السماء ، فإذا ما حاولت إقناعهم وإرشادهم وهدايتهم أصروا واستكبروا استكباراً ، وجادلوا بالباطل وقالوا زوراً وبهتاناً ، وأخذوا يثرثرون بما لا يعقله العقل ، ويهرفون بما يزينون من الشرك والضلال .

وهنا نجد القرآن الكريم يبنى صرح الحياة الإنسانية المثلى ، ويقيم دعائم المدنية والحضارة على أساس رائع عظيم من الفطرة والعقل وهداية السماء . فهذه

الآيات ، وإن تضمنت فى عمومها بيان جزاء الصادين عن دين الله الذين يضلون ويلوون رءوسهم عناداً واستكباراً فى الدنيا والآخرة ، كما تضمنت التحذير من الجدل والمناظرة فى العقيدة بالهوى والقياس ، لأن فى ذلك الضلال والابتداع والتحذير من التقليد الأعمى المرذول ، وتعطيل حكم العقل بالسير على منهج الآباء والأجداد فى كل شىء حتى فيما يؤدى إلى الضلال والبهتان والشرك ، ومع أنها تضمنت كذلك نفى الظلم عن الله ، وبيان أن الإنسان هو الذى يجنى على نفسه بعناده واستكباره للباطل .. فهى كذلك تقرر أصول المعرفة الثلاثة : العلم الفطرى المركوز فى طبائع الناس كافة الذى يرشد إلى الخير والفضائل والتوحيد والإيمان ، والعلم النظرى المستفاد من الحجة والاستدلال والبرهان والبحث والتجربة ، والعلم الإلهى المستفاد من الوحى والكتب السماوية المنزلة على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فأنت إذا خلوت إلى وجدانك وقلبك وذوقك ونفسك وعواطفك ومشاعرك ، أرشدتك إلى الله موجوداً وإلى القدس الأقدس خالقاً ، وإلى رب الأرض والسماء إلهاً معبوداً ، وإلى محمد رسولا ، وإلى القرآن الكريم كتاباً منزلا من السماء ، فرض الإيمان به وبجميع ما تضمنه من أوامر ونواه ، ومن طاعات وعبادات وشرائع ، على الناس كافة .

وأنت إذا رجعت إلى عقلك وخلوت إلى فكرك ، وبحثت وفتشت ، وقدرت ونظرت واعتبرت ، هداك العقل إلى الله الذى لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

وأنت إذا رجعت إلى القرآن ، كتاب الله الحكيم ، ودستور الإسلام العظيم ، أرشدتك إلى الله رباً ، وإلى الإسلام ديناً ، وإلى محمد نبياً ورسولا ، وإلى الملائكة جند الله ، وإلى البعث والنشور والحساب ، وكل ما جاء فى الدين من الغيب ، مما فرض الله الإيمان به ، « الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

والمؤمنون يرون أن المعرفة بالله عن طريق الاستدلال والنظر والمنطق والقياس ، مرحلة بدائية من مراحل الإيمان ، لأنهم لايعتمدون على العقل كثيراً كطريق من طرق المعرفة ، كما لايعتمدون على الحواس الظاهرة فى الإنسان ، إنما يعتمدون على القلب الذى هو مركز المعرفة وموضع الإيمان ، ومحل الدين ، إنهم يفتشون فى وجدانهم فيجدون الله منقوشاً على كل ذرة ، مضيئاً على كل شىء ، مشرقاً فى كل جارحة وكل قلب . إنهم يرون الله فى السماء وفى الأرض وفى كل شىء .. يرونه عن طريق الكشف والذوق ، يرونه بوجداناتهم وقلوبهم ومشاعرهم وعواطفهم ، ويؤمنون به إيماناً صادقاً لا يزعزعه شىء ، ولا يؤثر فيه أى شىء . لقد جاهدوا أنفسهم وطهروها ، وأخلصوا لله حتى كشف عنهم حجاب الحس ، ورأوا الله بعين الإدراك وعين اليقين ، فعبدوه حق عبادته ، وأطاعوه حق طاعته ، ففازوا فى الدنيا والآخرة برضائه ومحبته ، أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وأولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

— ٢ —

إن المذهب الواقعى يرى فى المعرفة أنها ما يطابق الواقع ، فوجود العالم الخارجى هو وجود واقعى حقيقى مستقل عن الذات ، فالمعرفة عنده هى صورة مطابقة للموضوع لا أثر للذات أو للعقل فيها ، ويرى الفيلسوف الإنجليزى (جون لوك) أن المعرفة ، وإن تكن مستمدة من الواقع عن طريق الحواس فإنها مع ذلك ليست فى مجموعها صورة مطابقة للواقع تماماً ، لذلك يحلل (لوك) المعرفة أو الأفكار ليبين ما يطابق منها الواقع ومالا يطابقه ، فالمعرفة عند (لوك) وإن كانت مستمدة من الواقع ليست فى مجموعها صورة مطابقة للواقع ، فبعض عناصر المعرفة عنده موضوعى يصور الواقع كما هو تماماً ، وبعضها ذاتى من نتاج العقل ولا يصور الواقع ، بل هو تحوير للواقع .

وأما المذهب العملى فلا يفصل بين الفكر والعمل ، فالمعرفة عنده ليست تصوير الواقع كما يذهب الواقعيون ، وإنما هى أداة للسلوك أو خطة تقود إلى عمل ، والفكرة عنده هى تصور النتائج العملية التى يمكن أن تترتب على الاعتقاد

بفكرة ، ومعيار الصدق والكذب فى المذهب العملى هو الاختبار العملى للفكرة من حيث نتائجها لا من حيث مصدرها وأصلها ، وهذا فيه الكثير من الإسراف ، فإن الفكرة تكون صادقة أو كاذبة بصرف النظر عن النتائج العملية .

أما المذهب المثالى فهو عكس الواقعى ، إنه ينكر وجود شيء خارج العقل ، ويزعم أن (ماله وجود هو العقل ، وما بالعقل من أفكار ، فالشيء لا وجود له إلا إذا كان فكرة فى العقل ، ومعرفة الشيء هى وجوده ، فالشيء موجود فى المذهب المثالى لأنه مدرك ، وفى المذهب الواقعى : الشيء مدرك لأنه موجود ، فالموجود فى المذهب المثالى هو الإدراك ، ومعرفة الشيء هى وجوده ، فطبيعة المعرفة هى طبيعة الوجود ، ومن دعاة المذهب المثالى (هيجل) الذى يرى أن المعانى الكلية أو المقولات هى مبدأ المعرفة أو شرط المعرفة ، والمعرفة عنده هى الوجود .

ومصدر المعرفة عند أصحاب المذهب التجريبى هو التجربة الحسية ، وعند أصحاب المذهب العقلى هو العقل وحده ، ويمثل ديكارت هذا الاتجاه ، وأما المذهب النقدى فيرى أن مصدر المعرفة هو التجربة والعقل جميعاً ، فالتجربة تقدم مادة المعرفة ، والعقل يقدم صورة المعرفة ، ويمثل هذا المذهب (كانت) ، أما المذهب الروحى فيذهب إلى أن مصدر المعرفة هو الإلهام .

وعندما نرجع إلى (ديكارت) نراه يقيم الأدلة على وجود الله من أن فى الذات فكرة واضحة متميزة لكائن لانهائى كامل ، ووجود هذه الفكرة فى العقل دليل على وجود مدلول لها فى الخارج هو الله ، وإثبات وجود الله كما يرى (ديكارت) وسيلة لإزالة الشك ولبلوغ اليقين فى المعرفة ، فالله الذى أثبتنا وجوده لايضللنا ولا يخدعنا ، وإذن فحواسنا التى وهبها الله لنا لابد أنها صادقة — غير خادعة ، والعالم الخارجى الذى خلقه الله لابد أنه حقيقة وليس وهماً ، وينتهى (ديكارت) إلى أن معرفتنا عن العالم الخارجى التى مصدرها الحواس ليست معرفة يقينية بعد أن اعتبر العقل وحده مصدر المعرفة اليقينية .

وهذه المذاهب المضطربة كلها تنتهى بالخطأ حيناً ، وبالقصور حيناً آخر ، وقد شك الغزالى فى مبادئ العقل ، ولم يطمئن إلى شهادة الحواس ، ولم يسلم بآراء

الذين يبنون آراءهم فى الله على النصوص وحدها ، ولا بآراء الذين لايؤمنون إلا بالمنطق وحده كطريق يوصل إلى الإيمان بوجود الله ، ورجع المعرفة إلى الإلهام ، فهو الطريق إلى معرفة الله والإيمان به ، وعن طريق الإلهام يعرف الإنسان ذاته معرفة مباشرة ، ومتى عرف ذاته عرف الله .

إن جميع الطرق الصحيحة الموصلة إلى المعرفة توصل أيضاً إلى الله ، وأنا لا أؤمن إلا بما ذكره القرآن الكريم من طرق المعرفة ، وهى النظر العقلى ، والوحى السماوى ، والإلهام .. فهذه الطرق توصلنا إلى الله ، وتدفعنا إلى الإيمان ، وتحتم علينا الثقة بالله ووجوده ، وهى كلها تناهض المذاهب الماركسية والوجودية وتناهض الإلحاد والملحدين ، والشك والشاكين ، والريب والمرتابين .

إنى أؤمن بالله ، لأن عقلى يقودنى إلى الإيمان به ، ولأن نصوص القرآن تحتم على الإيمان به ، ولأن عقلى الباطنى وإلهامى النفسى الخفى يدفعنى إلى الإيمان به ، بوجوده ، بعدله ، بقدرته ، بحكمته ، برحمته .

آمنت بالله ، وكفرت بالإلحاد ودعاته ، والملحدين ودعواتهم ، آمنت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن دستوراً كاملا للحياة والبشر والإنسانية .

الاسلام وتحديات العصر

يتصور البعض أنه فى عصر الذرة والفضاء واقتحام الكواكب لم يعد هناك مكان للدين ولا للشرائع والكتب السماوية المنزلة ، وإن ذلك من أعظم تحديات العصر للإسلام ، وكأن الحضارة البشرية والعقل الإنسانى الذى خلقه الله منزل القرآن والعلم الذى حضّت شرائع الله عليه ، وفى مقدمتها ديننا الخالد العظيم ، كأن ذلك كله والتطور الحضارى الإنسانى فى زعمهم عدوان لا يتصافحان .

ويحلو لبعض الواهمين أن يزداد عناداً واستكباراً وأن يتصور الإسلام مرادفاً لشعائر البداوة وأنه يمثلها كما كان يمثلها جمل الصحراء سواء بسواء ..

وكأنه يتصور أن نزول شريعة الإسلام كان يجب أن يصحبه اختراع الإنسان للطائرة وكشفه للبخار والكهرباء والذرة وأن الأمة التى نزل عليها هذا الدين كان يجب أن تسمو فوق كل المؤثرات والعوامل فتأتى بكل شىء فى أقصر وقت وتهتدى إلى جميع أسرار الكون والوجود فى أقل زمن ..

أو لا نرى التشابه تاماً مطبقاً بين ما يذهب إليه البعض من بيننا فى القرن العشرين وبين ما قاله إنسان البادية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصر نزول القرآن الكريم :

« وقالوا : لن نؤمن لك ، حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ° أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ° أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ° أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه .. قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا » [1] .

وينسى هؤلاء الواهمون أن الإسلام بعد نزوله بقليل صنع دولة لم يشهد مثلها التاريخ من قبل وصنع حضارة لم تر الإنسانية لها من قبل ولا من بعد مثيلا ..

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات ٩٠ – ٩٣

ونشر العلم والمعرفة والنور فى كل مكان حل فيه وحرر الإنسان من ظلمات العصور الوسطى ومنحه كل حقوقه التى أكدها القرآن الكريم فى جميع سوره وآياته ..

بل وينسون الصلة الوثقى بين الإسلام والفكر وبينه وبين العقل والعلم ، وبينه وبين الحضارة المبدعة الخلاقة الفاضلة ، التى نعم فيها الإنسان بنعمة الأمن والحرية والإخاء والمساواة والعدالة والسلام ..

وإذا تصور هؤلاء أن الإسلام دين الأمس لا دين اليوم والغد فقد وهموا وضلوا وبعدوا عن شرعة الإنصاف والحيدة التى تطلب فى كل حكم ، ومن كل حكم فى أية قضية عامة أو خاصة ..

فلا تزال مبادئ الإسلام فى حيويتها وبساطتها وروعتها وجلالها وعظمتها أهلا لقيادة العالم اليوم وغداً كما قادته فى الأمس إلى شواطئ الأمن والسلام والرفاهية .

لقد لاقى الإسلام فى كل عصر تحديات كبيرة لم يلقها دين من الأديان ولقى أتباعه والمؤمنون به مقاومات كثيرة لم تلقها أية أمة من الأمم أو شعب من الشعوب أو جنس من الأجناس وظل الإسلام على طول وكثرة وجبروت هذه التحديات عملاقاً شامخ الرأس عزيز النفس مرفوع الراية فى كل مكان ..

العقيدة والشريعة فى الإسلام كل لا يتجزأ ، وعنصران متفاعلان متكاملان بمثابة الروح والجسد .. والأخذ بهما معاً فى نطاق من الاجتهاد والابتكار والتجديد والروح المبدعة الخلاقة والفكر المنير المتوثب يقودنا ويقود العالم معنا إلى أرفع منازل الحضارة والسلام والرخاء ..

إن حضارة الغرب اليوم لا ترهب مسلماً مؤمناً بدينه وكتابه الكريم . إنها وليدة حضارة الشرق بالأمس الجامعات الإسلامية القديمة التى كانت مبثوثة فى العالم العربى وفى صقلية والأندلس وفى كل مكان دخله المسلمون فنشروا فيه الثقافة والمعرفة والعدالة والحرية وكل مقومات الحضارة الأصيلة البانية . .

ليس هناك دين هو صديق للعقل والفكر والعلم والتجديد والتطور والحضارة أكثر من الإسلام وسيظل هذا الدين السماوى العظيم صديق الحياة والإنسان والعقل اليوم وغداً وبعد غد إلى أن تقوم الساعة وصدق الله العظيم :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ »[1].

إن الإسلام تراث روحى وفكرى للإنسانية كلها ، دين رسالته دائماً التبشير بقيم إنسانية رفيعة ، نادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب ، ولم تستطع أية دعوة من الدعوات أن تجاريه فى حيويته وبساطته ومثاليته وفى عظمة مبادئه وأصوله .

يبنى (كانت) مذهبه فى الأخلاق على أن حسن النية هو الأساس الأول فى الأخلاق ولعلنا نتذكر قول رسولنا الأعظم : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى) .

وإذا كانت دعامة الحضارة الغربية اليوم هو المنهج التجريبى الذى أخذ به زوجر وفرنسيس بيكون ، فإن هذا المنهج إسلامى محض قرره النظام والجاحظ والغزالى منهجاً للفكر الإسلامى ، يقول النظام (٢٢١ هـ — ٨٦٣ م) : لم يكن يقين فى حتى صار فيه شك ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك ..

وقد قدم رسولنا الكريم للعالم مثالية قوامها العلم والفلسفة العملية التى أثلت للحضارة الإنسانية مجدها التلبد ..

ولم يحصر رسالته فى قوم دون قوم ، بل ارتفع فوق حدود الزمان والمكان والبيئة ولم تكن الحضارة الإسلامية العالمية الشاملة إلا نتيجة من نتائج الفلسفة الإسلامية العملية ، وإذا كان بيكون فى كتابه (الأداة الجديدة) الذى ألفه عام ١٦٢٠م، قد قرر المنهج العلمى التجريبى فإن القرآن الكريم هو الذى أرسى دعائم هذا المنهج بما دعا إليه من التأمل والتفكير وترك الأوهام والتقليد وهذا المنهج القرآنى الرفيع هو الذى يجب أن ترتكز عليه ثقافة المسلم اليومى حتى يفكر بالعقلية العلمية . فيواجه الحقائق ويعنى بالجوهر دون العرض .. والإسلام يجعل قداسة العلم فى مضاهاة قداسة العبادة ، ويعتبر العلم فى ذاته من أسمى العبادة .

يقول بريفولت : إنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوروبى إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، ولا تزال

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٥٣

تذكر إجماع الفلاسفة القدماء على أن أصول الفضائل هى الحكمة والعفة والشجاعة والعـدالة ويجىء أبو على ابن مسكويه (٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م) فيقرر أن للنفس فضيلة أخرى هى أشبه بها وهى التشوق للعلم والمعرفة وكان العديد من أعلام العلماء فى الإسلام من أصول وعناصر مختلفة الألوان والأجناس، فأين هذا اليوم مما قرأناه من قصـة الطالب الزنجى برس لى جوليان الذى نال درجـة أستاذ فى الكيمياء، فرفضت جامعة هارفرد أن تعينه فيها معيداً بحجة أن الجامعة تخشى أن يأبى البيض أن يقبلوه معلماً لهم ..

إنه ليس هناك دين يصلح لعـالم اليوم كل الصلاحية إلا الإسـلام فهو دين تقدمى علمى حضارى بكل معنى الكلمة .

فلنذكر هذا بكل فخر واعتزاز ولننقلها صريحة واضحة - فى شهر النـور والعلم والقرآن - إن الإسلام دين عالمى خالد وسيظل كما كان دين العالم بالأمس ودين العالم اليوم وغداً بإذن الله ..

يقول الدكتور عبد الحليم محمود :

إن المسلمين بتخلفهم هذا فى العلم بسنن الله الكونية إنما ينحرفون عن الخط الإسلامى الصريح وينحرفون عن خدمة الوطن فهم بهذا التخلف آثمون ديناً، وآثمون وطنياً، وهذا المنهج الذى نهض بأوربا هو منهج إسلامى وضع المسلمون - متابعين للتوجيه الإلهى - مبادئه وأرسوا قواعده وجاء الغربيون، فتتلمذوا على المسلمين فيه وساروا على قواعده فكانت الحضارة الأوروبية التى أسس المنهج التجريبى فيها روجيه بيكون ..

من أين استفاد روجيه بيكون منهجه ؟ من هو الملهم له ؟

يقول الكاتب الإنجليزى الأستاذ بريفولت فى كتابه النفيس (بناء الإنسانية) :

ليس لروجيـه بيكون ولا لفرنسيس بيكون الذى جاء بعـده الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى، فلم يكن روجيه بيكون إلا رسولا من العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية هو نفسه لم يمل قط من التصريح بأن تعـلم معاصريه فى أوربا اللغـة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة ..

ويقول فى مكان آخر من كتابه : ولقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث .

ويقول أيضاً : ولم يكن أيضاً العلم العربى وحده هو الذى أعاد إلى أوربا الحياة ، بل إن مؤثرات كثيرة من الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية ..

المسلم الحقيقى هو المسلم المثالى الذى يعيش برسالته ولرسالته ، والذى مهما تطورت الحياة فإنه يظل الحقيقة الثابتة التى لا تتغير ولا تتحول ، وأما ما عداه فهو الزبد يذهب جفاء ، وتظل الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وما عداه فشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ..

وما أروع ما يقول الشاعر إقبال : إنك أيها المسلم حق فى العالم وحدك وما عداك سراب خادع ووهم باطل ودرهم زائف ، ويقول فى بيت آخر له : إن إيمان المسلم هو نقطة دائرة الحق ، وكل ما عداه فى هذا العالم المادى وهم وطلاسم ومجاز ..

والمسلم كما يقول إقبال كذلك مصدر الانقلاب الصالح فى التاريخ ، ومطلع فجر السعادة فى العالم ، إنه رسول الحياة ومؤذن الفجر فى الليل البهيم ليشرق العالم ويستيقظ الكون ، وقوة المؤمن الخارقة للعادة ، المعجزة للبشر ، مستمدة من رسالته وإيمانه ، وباندماجه فى إرادة الله يتحول إلى قوة خارقة ، قوة قاهرة لا تصدها الجبال ، ولا تقف فى سبيلها البحار ، وإذا كان جسم المسلم من تراب فإن فطرته من نور ، وهو يتخلق بأخلاق مولاه ، بأخلاق القرآن ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن ..

ونقف فى النهاية نسائل أنفسنا : إننا لو نشأ لنا جيل جديد من هؤلاء المسلمين أفما تكون مصائر الحياة والحضارة والبشرية بين أيديهم ، أفما يصبحون قادرين على خلق معجزات جديدة كتلك التى صنعها بالأمس أبو بكر وعمر وخالد وسعد ابن أبى وقاص وغيرهم . أفما يصبح فى مقدورهم أن يبعثوا من أى مكان كان ، ولو فى الصحراء برسائلهم إلى جميع قادة العالم فى أوربا وأمريكا وآسيا وإفريقيا ، يقولون لهم آمنوا برسالة الله وإلا طواكم الإسلام تحت سنابك خيله ، ووقعت عليكم الدائرة ونزل بكم وعيد الله ..

إن الإسلام هو نظام الكون .. والكون كله صائر إليه فى يوم من الأيام ، وليس هذا حلماً من الأحلام ، بل إنه الحقيقة الثابتة الواضحة وضوح الشمس فى ريعان النهار ..

ولسوف يتآلف من الغد والإسلام طاقة جديدة تعيد الحياة الحرة المبدعة إلى الإنسانية والإنسان ، وتبنى السعادة والرفاهية للمجتمع البشرى المفزع ، ففلاح الإنسانية وصلاحها فى المستقبل فى أن تؤمن بالإسلام وتكفر بكل ما اخترعت من النظريات الباطلة كما يقول المودودى ..

إن ذلك ضرورة ملحة للإنسانية لتعيد بناء نفسها من جديد ، ولترتفع بالإسلام الذى ارتفع على المحن ، وعلا على الزمن ، ورفع إلى مستواه الأسمى المؤمنين به فى كل دار ووطن وكان فيه دائماً الحياة للروح والعقل والنفس والبدن.

إنه ليس حنيناً إلى الماضى ، ولا مجرد أمل فى انبعاث مجد قديم ، بل هو مسيرة التاريخ وحتميته وحركة تطوره ، وهو الانتخاب الطبيعى الذى تقوم به الحياة الانتخابية ، والتخير لأسمى القيم والمثل التى تثق فى قدرتها على الوصول بها إلى مرفأ السلام والأمان .. إنه وعد الله الصادق بانتصار رسالته وغلبة وحيه وعزة كتابه وسيادة دينه فى الأرض .. إنه الاستجابة الفطرية لنداء العقيدة الصالحة لكل عصر ، الصانعة لكل خير ، القائدة إلى كل نصر ..

العقيدة التى تشرق كما يشرق الفجر ، وتتدفق كما يتدفق الماء على صفحة النهر ، وتمنحنا بعطفها وصدقها الأمل والنور والحياة ..

والعقيدة التى تعلو أبداً على كل الآلام ، على أحداث الأيام ، وعلى شتى المحن والخطوب الحسام ..

لسوف يظل الإسلام منارة الأجيال والعصور ، ويبنى للبشرية من جديد فى ظلال انبعاث أكبر صروحاً من التقدم والإبداع والتجديد ، ومن الحق والعدل والسلام والحرية والمساواة ومن طمأنينة الإنسان وسعادته ورفاهيته فى الحياة .

الاسلام ملاذ الانسانية

دعوة الإسلام الخالدة ، ورسالته الباقية على وجه الزمان ، هى ملاذ الإنسانية وأملها ، وهى روحها وعقلها ، فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها على توالى الأيام .

ودعوة الإسلام دعوة إنسانية عالمية صالحة لكل زمان ومكان ، والقرآن الكريم يحمل أصول هذه الدعوة ، ويؤديها للعالم كله كاملة على امتداد العصور والأجيال .

ودعوة الإسلام دعوة إلى الإصلاح ، ونهى عن الفساد والإفساد ، وتنظيم لأمور العيش والحياة على نهج إلهى ، ليطمئن كل إنسان على نفسه وماله وعرضه وكرامته .

وإذا كان من أسباب أزمة المدنية الحديثة إهدارها للقيم الروحية ، مما تسبب عنه تدهور الأخلاق ، ونضوب معين الفضائل ، واعتبار القوة وتقديسها إلى حد العبادة ، دون مراعاة للحق والعدل ، والتهديد بالحرب ، واختراع أدوات التدمير والتخريب ، مما جعل الناس يعيشون فى جو يسوده القلق والاضطراب ؛ فإن الإسلام قد جاء ليبنى مدنية سامية ، تتفق مع رقى الإنسان الفكرى ، ونضوجه العقلى ، فدعا إلى الإصلاح ، ونهى عن الفساد فى الأرض ، وقرر أن الأمة الصالحة المصلحة ، التى تؤمن بالحق ، وتفعل الخير ، لا يحيق بها الهلاك أبداً ، فدعوة الإسلام هى العاصم من مفاسد الحضارة المعاصرة ، ومن شريعة الغاب التى يطبقها دعاة الحاضرة المعاصرة ؛ والمسلمون مطالبون اليوم بنشر دعوة الإسلام ، وبأن يشرحوا للناس هذا الفكر الإلهى الذى لا حياة لهم بدونه ، وأن يقدموا لهم هذا النور الذى لا غنى لهم عنه .

بهذا المنطق السليم يتحدث الشيخ سيد سابق ، فى كتاب له يحمل عنوان (دعوة الإسلام) ، ليعيش الناس والإنسانية جميعاً فى ظلال قيم الإسلام وأصول

دعوته التى تجعل الإنسانية تستمتع بسكينة الإسلام والنفس ، وبطيب العيش ، وسلامة الضمير .

ويتحدث المؤلف فى هذا الكتاب عن الوحى والقرآن والسنة ، باعتبارها من مصادر التشريع ، وعن أسس التربية الإسلامية وروابط المجتمع حديثاً بليغاً .

ودعوة الإسلام أو رسالته الخالدة الممتدة على توالى العصور والأجيال هى عزتنا وشرفنا ومصدر قوتنا وسيادتنا ونهضتنا .. إنها ملاذنا فى الشدائد وملجؤنا فى الأحداث ، إنها النور يضيء آفاق حياتنا ، والقوة تسرى فى جميع جوانب نفوسنا ، والأمل يشرق فى سموات مجتمعاتنا .

دعوة الإسلام هى العاصم لنا من الانهيار ، والرباط القوى الذى يحمينا من التفكك والاضطراب ، والأمن الذى يحارب الخوف فى صفوفنا .

ودعوة الإسلام ورسالته ، ستظل أبداً مرفوعة اللواء ، شامخة الرأس ، قوية الأهداف والغايات ، ولسوف تظل حارسة للحضارة وللتقدم وللرخاء .

هى ناموس التقدم والنهضة للشعوب الإسلامية ، وسر التفوق والحضارة والرخاء لشعوب الإسلام .

ودعوة الإسلام نحن — أبناء هذا الدين الخالد — مطالبون بتبليغها للناس كافة فى كل مكان وزمان ، من أجل أن ينعم البشر جميعاً بالنعمة الحقيقية لدعوة الحق والعدل والخير والإخاء والمساواة ، دعوة الإسلام العظيم ، دعوة الشرف الأعلى لكل إنسان يعبد الله ويوحده ، وليؤمن به .

الاسلام رسالة السماء للانسانية

مضى على وفاة رسول الله صلوات الله عليه نحو أربعة عشر قرناً من الزمان ، ولا تزال ذكراه الخالدة ملء القلوب والأسماع ، وحديث الإنسانية الذى لا ينسى ونشيد الحياة الظامئة إلى نبع هذا الإلهام الكريم ، وإلى فيض هذه البطولة الفذة والعظمة الكاملة .

إذا ذكر المسلمون هذا العربى الأمى ، تقديساً للرسالة التى حملها ، أو بلغها عن الله ، ونشرها فى الخافقين ، وإيماناً بسمو ما أتى به من دين ، وأداه من عقيدة فإن الإنسانية كلها لتذكره ، لأنه رسولها الفذ الكريم ، وأبوها البر الرحيم ، والعلم المفرد فى تاريخها الحافل المديد .

إن عظمة محمد بن عبد الله ليست مستمدة من عصبية أو جاه أو مال ، وليس مرجعها عظمة الأمة التى ظهر فيها ... وليس مردها فحسب إلى جنسه وشرفه وجلال شخصيته وسمو خلقه وسعة أفقه ، وأنه المثل الأعلى للإنسان الكامل المهذب فى الحياة ، وأنه عاش مع فقره مجاهداً ، ومات مجاهداً فى سبيل الله والحق والهدى والنور .

وإنما ترجع مع ذلك إلى أنه رسول الله الذى اختارته العناية الإلهية من بين الخلق ليبلغ كلمة الله إلى الأرض على فترة من الرسل ، وانقطاع الوحى عن البشر ، وبعد أن ضل الناس وجهلوا هداية السماء التى بشر من قبل بها الأنبياء والمرسلون .

وترجع إلى أنه جاء بآخر الرسالات ، وخاتمة النبوات ، وبشر بدين الله بين الناس .. وإلى أن هذه الرسالة التى أداها عن الله هى دين البشرية عامة ، وعقيدة الإنسانية قاطبة ، وفطرة الله التى فطر الإنسان عليها ، بما حوته من دعوة إلى التوحيد المطلق ، وحرية العقيدة ، وتقديس الشرف والكرامة والمرؤة والفضيلة ، وتقرير لمبادئ العدالة والحرية والمساواة ، والإخاء بين الناس كافة

وبسمو روحها ، وجلال نزعاتها ، ونبل أهدافها ، ورفعها من كرامة الإنسان الأدبية فى الحياة . وباشتراكيتها العادلة وديمقراطيتها الحقة ، وما سنته من حب ورحمة وتعاون وشورى بين الناس ، وبما تدعو إليه من إيقاظ للضمير ، وشعور بالمسئولية ، وتقدير للعهود ، والحرمات ، وللعلم والعمران والمدنية ، وحرب على الوثنية والشرك ، والضلال والفساد ، والرذائل والمنكرات ، والأهواء الضالة ، والشهوات الجامحة ، والأساطير الكاذبة ، والتقاليد البالية ، والأوهام الضارة .

وبحسب محمد من عظمة أنه أول داع إلى الأخوة الإنسانية المطلقة ، والزمالة البشرية المشتركة ، وأنه حارب العصبيات والقيود الجائرة ، وجمع الناس تحت لواء واحد من هدى الله ، وفى ظل رسالة كاملة هى شريعة الله .

فكانت هناك أخوة إسلامية كاملة لوحدة الأمة وحفظ كيانها .. « إنما المؤمنون أخوة » ، وبجانبها أخوة إنسانية عامة تجعل الناس جميعاً على اختلاف نزعاتهم وعناصرهم وأديانهم وألوانهم أخوة فى الإنسانية إذ يفرض الإسلام أن يكون لغير المسلمين ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم من حقوق وواجبات : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً » .

هذه الدعوة الجديدة التى دعا إليها الإسلام كانت منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، وفى عصر يستحيل فيه التفاهم والتقارب والوحدة ، لسوء المواصلات ، وكثرة الجهل ، وقلة العمران والمدنية والحضارة ، وانتشار العصبيات .. ولم يدع المفكرون إلى بعض مبادئها إلا فى القرن العشرين ، بعد أن هيأت الحضارة أسباب التقارب والمودة والإخاء .

وكانت دعوة الإسلام إليها منذ ذلك العهد البعيد معجزة لهذا الدين ولرسوله العظيم الذى جعل الناس إخوة ، لا فرق بين أبيضهم وأحمرهم وأسودهم وأعجميهم وعربيهم ، حتى لقد غضب رسول الله إذ أهان صحابى من صحابته عبداً أسود زنجياً ، فعيره بأمه وقال له : يا ابن السوداء ، ورؤى الغضب فى وجهه ، وقال :

(طف الصاع .. طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بتقوى الله أو بعمل صالح) .

ثم لم تهدأ شعلة هذه الحياة المتقدة ، ولم ينطفئ مصباح حامل تلك الرسالة السماوية العظمى ، إلا وقد جمع محمد العرب عليها ، ودعا الملوك والأمراء إليها ، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين إلى كسرى وملك البحرين والحبشة وحاكم مصر وهرقل قائد الدولة الرومانيـة الشرقيـة ، وما أروع ما يقول فى رسالتـه إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم — من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين (عامة الشعب) ، « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

ثم حمل خلفاؤه من بعده عبء هداية الأمم إليها وحمل الإنسانية عليها ، فوصلت عقيدة محمد إلى أطراف الدنيا ، وقامت عليها حضارة مشرقة ، ولم تزل هذه الرسالة عقيدة أكثر من سدس العالم المعروف اليوم ، ولن تزال حية بما فيها من حياة وحرارة وتجدد ونمو .

ولقد اعترف أفذاذ مفكرى الغرب بفضـل محمد على الحياة ، وبأياديه الجليلة على الحضارة . يقول تولستوى : (مما لاريب فيه أن النبى محمداً من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا الحياة خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة إلى الحق وجعلها تجنح للسكينة والسلام) .

ويقول توماس كارليل فى كتابه (الأبطال) : (إن الرسالة التى أداها ذلك الرسول الكريم مازالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرناً لأكثر من مائتى مليوناً من البشر ، وإن رجلا كاذباً لا يستطيع أن يوجد ديناً وينشره ، وعجيب وأيم الله أمية محمد، فلم يقتبس من نور أى إنسان آخر ، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يك إلا كجميع الأنبياء، أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهادية فى ظلمات الدهور) . وصدق الله العظيم حين يقول : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً » .

الاسلام رسالة وأصول حضارية

ينكر الملحدون رسالات السماء جملة ، ومن عجب أن ينكروا حقائق علمية لايجافيها العلم الحديث ، فالله الذى خلق الإنسان قادر على أن يوحى إليه مايشاء من تعاليم وعبادات ومثل وشعائر وشرائع ، ليرشده إلى طريق الخير ، يقول الله تعالى : « ألم نجعل له عينين ، ولساناً وشفتين ، وهديناه النجدين » ، أى طريق الخير وطريق الشر ، وهذه الهداية إنما هى عن طريق الرسالات السماوية ، التى نزل بها جبريل عليه السلام على رسل الله وأنبيائه المصطفين الأخيار .

وكما أرسل الله إلى إبراهيم وموسى وعيسى أرسل إلى محمد صلوات الله عليه ، وبعثه رسولا إلى الناس كافة ، رسولا يعلمهم الكتاب والحكمة ، وكانت بعثته فى عصر ضلت فيه الإنسانية قيم السماء ، ومثل الحياة ، عصر وثنى ، حرفت فيه الرسالات القديمة أو تنوسيت .

وذلك النور السماوى العظيم ، الذى كان يظهر بين الحين والحين ، مبشراً برسالة سماوية جديدة فيها خير الحياة والوجود ، لابد أن يظهر مرة أخرى على الأرض ليبدد الظلمات ، ويحارب الأوهام والضلالات ، ويمحو ما ران على قلوب الناس من أباطيل وأساطير ، وجمود وجهل ، وعصبية أثيمة كاذبة .

وذلك الناموس الذى كان ينزل على إبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء من قبل لابد أن ينزل على رسول كريم من جديد ، ليدعو الناس إلى أمثل الأخلاق ، وأكرم الآداب ، وأفضل الشرائع .

بهذا كان أهل الكتاب يتحدثون ، وبه كانوا يؤمنون ، تصديقاً لبشارة الأنبياء ببعث رسول هو خاتم المرسلين .

وهؤلاء الباحثون عن الحقيقة الكبرى : ورقة بن نوفل الأسدى ، وزيد بن عمرو بن نفيل العدوى ، وعثمان بن الحويرث الأسدى ، وعبيد الله بن جحش ، يجتمعون فى الجزيرة العربية فى يوم عيد لهم ، فيقول بعضهم لبعض :

تعلمن والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به لا يبصر ولا ينفع ؟ ياقوم التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شيء .

وذهبوا يطوفون فى البلاد يلتمسون حنيفية إبراهيم .

وكان زيد يسند ظهره إلى الكعبة ويقول : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بيده ما أصبح أحداً منكم على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : والله لو أنى أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

وفى مكة فى صباح يوم خالد ميمون ، ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، تسبقه إرهاصات ، وتحف بمولده الكريم معجزات وكرامات ، وتسير معه يوماً بعد يوم بشريات ، وأى بشريات ، ويحفظ الناس ما ذاع من ذكريات مولده ونشأته الكريمة العطرة . وبدأ النور الإلهى يظهر فى الأفق ، وأخذ الناموس السماوى يستعد لآخر رحلة له إلى الأرض .

وشبّ محمد ونما ، نبيلا شريفاً وسيداً سرياً ، وفتى زكياً ، ولقى قومه وقوم مرضعته النماء والخير على وجهه الأغر ، وقدمت به حليمة السعدية على أمه بعد فصاله ، ترجو أن تطيل لبث فتاها عندها ، متعللة بوباء مكة ، فقبلت آمنة بنت وهب ، ورجعت حليمة فرحة مستبشرة .

وبعد شهور كان محمد الغلام يلعب ومعه ابن حليمة خلف الرحال ، وبعد قليل جاء أخوه يشتد ، وهو يقول : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه ، فخرجت حليمة وزوجها نحوه ، فوجدته قائماً ممتقعاً وجهه : فالتزمته هى وزوجها ، وقالت : ما لك يابنى ! .. قال : جاءنى رجلان ، عليهما ثياب بيض ، فاضجعانى وشقا بطنى ، فالتمس شيئاً لا أدرى ماهو ، فتخوفت عليه حليمة وقدمت به على أمه ، وقصت عليها القصص ، فقالت آمنة : إن لبنى لشأناً ، أفلا أخبرك خبره ؟ قالت حليمة : بلى ، قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء لى به قصور بصرى من أرض الشام ، وحملت به فوالله ما رأيت من حمل قط أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته ، وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلقى راشدة .. وما أصدق ما يقول محمد بعد ذلك : أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى .

ورأى بحيرى الراهب محمد الغلام ، فى بصرى بأرض الشام مع عمه أبى طالب فرأى المعجزة الكبرى قريبة منه ، فأخذ يحدث محمداً ويسأله ، ثم قال لعمه : اذهب بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه فإن له لشأناً عظيماً .

وسمع (ورقة بن نوفل) ما كانت تتحدث به خديجة بنت خويلد عن محمد وشأنه ، وكان عالماً بالديانات والكتب السماوية ، فقال لها : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبى هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر هذا زمانه . وجعل ورقة يستبطئ مرور الأيام ، ويقول : حتى متى رسالة الله ؟ .

وبينما كان محمد يتعبد بغار حراء ، جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله يبلغه رسالة الله ، ويحمله أمانته .

ورأى محمد ما رأى من الآيات الكبرى . وسمع الصوت الإلهى يناديه من كل مكان : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ، ورجع إلى خديجة ينبئها النبأ ، فقالت : أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة . ثم انطلقت إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) تقص عليه القصص . فقال ورقة : قدوس قدوس ، والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى ياخديجة ، لقد جاء الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبى هذه الأمة ، ولقيه ورقة فى الكعبة وهو يطوف بها فقال : يا ابن أخى ، والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى .

ونزل القرآن الكريم دستور هذه الرسالة المحمدية العظمى ، وجاهد الرسول ومن آمن معه جهاد الأبطال ، ليبلغ رسالة ربه إلى الناس كافة ، وليحمى حرية الدعوة إلى الدين من أذى المشركين وطغيانهم .

وقبيل الهجرة ، وبينما رسول الله صلوات الله عليه نائم فى بيت أم هانئ بنت عمه ، إذ جاء جبريل وملائكة معه ، فأضجع محمداً وشق صدره ، وأسرى به إلى بيت المقدس ، فصلى بالأنبياء والرسل إماماً ، ثم أتى بثلاثة أوان من لبن وخمر وماء ، فأخذ إناء اللبن فشرب منه ، فقال له جبريل : هديت وهديت أمتك يا محمد . ثم عرج إلى السماء فاستقبلته الملائكة والرسل والنبيون ، حتى إذا

كان بالأفق الأعلى ، وقف أمام ربه يناجيه ، وثبته الله بالقول الصادق ، والإيمان الحق ، واليقين النبوى العظيم .

وهاجر محمد إلى المدينة ، وأنقذ الدعوة من خطر المشركين وأذاهم وصدهم ، فذاعت فى كل مكان ، ودعا إليها الناس كافة ، وأرسل بنبئها الرسل إلى الأمراء والملوك والأقيال .

ثم اختاره الله إلى جواره الكريم ، بعد أن أنشأ أمة ، وأسس ونشر شريعة الله ودينه الحق فى العالم كله .

وبدأ ميلاد الحضارة الإسلامية بعد ميلاد الإسلام بقليل ، وذلك حينما استقر الرسول وصحبه فى المدينة ، وأخذ الاستقرار الروحى والأدبى والفكرى والاجتماعى ينتشر فى جزيرة العرب .

ثم جاء الخلفاء وملوك المسلمين الأوائل ، فتعهدوا هذا الغرس حتى نما وازدهر وأثمر . وتعددت مراكز الحضارة الإسلامية فى العالم الإسلامى ، وهذا هو التاريخ شاهد صدق على مدى ما بلغته دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة وسواها من مدنية ، ولقد تألقت أضواء الحضارة الإسلامية فى شتى أرجاء العالم المعروف آنذاك ، وانتقلت من الشرق إلى الغرب عن طريق صقلية والأندلس ، وباختلاط الأوربيين والشرقيين فى الحروب الصليبية وسواها .

وصحيح أن الحضارة الإسلامية اقتبست ونقلت عن حضارات الهند والصين وإيران والأشوريين والبابليين والفينقيين والإغريق والرومان وسواها ، ولكنها بجانب ذلك جددت وابتكرت ، فكان الشرق بحق أستاذاً وإماماً إبان العصور السالفة ، مما شهد به الفلاسفة والمفكرون فى الغرب ، وسجله التاريخ فى فخر وتقدير .

وإذا كان لكل حضارة مبادئ وأهداف ، تقوم عليها ولأجلها ، فإن الحضارة الإسلامية تقوم على مبادئ خالدة ، لم يصل إليها العقل البشرى من قبل ، ولم يستطع العالم فى القرن العشرين أن يحاربها أو يتخذ مما يماثلها دستوراً له فى الحياة . وهى مبادئ الإسلام ، وقبس من نور الله ، وتراث من حكمته .. فالإنسان خليفة استخلفه على الأرض ، وعليه لذلك أن يتجه بروحه وقلبه إلى الله وحده لاشريك

له ، يعبده ويطيعه ، ويعمل بشرائعه ، ويوقن أنه معه فى كل مكان وحين ، يعلم السر وما هو أخفى ، « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وينظر الإسلام إلى المجتمع — بجميع عناصره وطبقاته — على أنه أسرة واحدة متعاونة تعاوناً وثيقاً فى الحياة ، يعطف الغنى على الفقير ، ويحنو الكبير على الصغير ، ويدفع كل بالتى هى أحسن ، وهل أبلغ فى التعبير عن هذا التعاون المطلق والأخوة الكاملة من قول الله عز وجل : « إنما المؤمنون إخوة » ؟

والعالم كله بشعوبه وعناصره وأديانه مجتمع واحد ، يكفل له الإسلام الأمن والسلام ، فى ظلال التعاون والمحبة والإخاء والتبادل الفكرى والعقلى والروحى والمادى ، ويجب أن يعيش الناس أمة واحدة كما خلقهم الله .

هذا فوق ما كفله الإسلام من شتى عناصر التقدم والحضارة الأدبية والروحية والمادية ، اللازمة لتقدم الجماعات ورقى الأمم والشعوب ، مما قضى على الهمجية والوحشية فى عصور لم تعرف النور ولا الحضارة من قبل .

والأهداف الأولى لهذه المبادئ كلها فى نظر الإسلام ، هى نشر أفكار الحق والعدالة والحرية والمساواة والإخاء والشورى والتعاون والخير والمحبة والرحمة والسلام ، ليعيش الناس فى ظلال وحدة مجتمعة فى الأفكار والأهداف والمبادئ والغايات ، ظلال عالم موحد تسوده الطمأنينة والأمن والسلم ، وحضارة مشتركة غايتها الإخاء بين الروح والمادة والعقل والجسم والواجب والحق والإيثار والأثرة .

لقد أفاد الإسلام العالم كله من الناحيتين الدينية والمدنية إفادة يتعذر تقديرها ، وما يعلمه المسلمون من سلامة عقائدهم وأصالة أصولهم ، وما أبيح لهم من حرية الفكر والنظر ، والاعتماد على العقل وأعلام الوجود ، لاتدعهم يشكون فى أن دينهم سنّ للناس كافة سنة لا محيص لهم عن القيام عليها ، فإن ظهر أن كثيراً منهم لا يزالون يتحامون الجرى عليها ، فسيضطرهم الترقى العلمى والفلسفى إلى الاعتراف بحقيقتها ، وإذ ذاك يلتقى الناس كافة فى حظيرة واحدة هى حظيرة الإنسانية الموحدة تحت علم الدين الفطرى والمعارف الممحصة .

وأمر الناحية الدينية معروف ، وأما من الناحية المدنية فقد شهد العالم كله بأن المسلمين حفظوا التراث العامي ، وتولوه بالزيادة والتمحيص ، وطبقوه على حاجات الحياة الإنسانية ، فأوجدوا بذلك مدنية ليس فى العالم اليوم من يدعى أنه ليس مديناً للإسلام من هذه الناحية . ويؤيد هذه الحقيقة كبار المؤرخين والعلماء الأوربيين ، وهذا هو كتاب (حضارة العرب) لجوستاف لوبون ، الذى ترجمه إلى العربية محمد عادل زعيتر ، يدل بحق على أثر العرب فى الحضارة .

قال جوستاف لوبون تحت عنوان (تمدين العرب لأوربا — تأثير العرب فى الشرق والغرب) : (لا ترى فى التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب ، فجميع الأمم التى كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ، ولوحيناً من الزمن .

(ولم يتجل تأثير العرب فى الشرق فى الديانة واللغة والفنون وحدها ، بل كان لهم الأثر البالغ فى ثقافته العلمية أيضاً . وقد نقل العرب إلى الهند والصين أثناء صلاتهم بهما قسماً كبيراً من معارفهم العلمية التى عدها الأوربيون على غير حق من أصل هندى أو صينى .

(ويظهر أن ما اقتبسه الصينيون من العرب أهم مما أخذه الهنود عنهم ، وقد رأينا فى فصل سابق أن علوم العرب دخلت الصين على أثر الغارة المغولية ، وأن الفلكى الصينى الشهير (كوشوكينغ) تناول فى سنة (١٢٨٠م) رسالة ابن يونس فى الفلك وأذاعها فى بلاد الصين ، ونثبت الآن أن تأثير العرب فى الغرب عظيم كتأثيرهم فى الشرق ، وأن أوربا مدينة للعرب بحضارتها .

(إنه لايمكن إدراك أهمية شأن العرب فى الغرب إلا بتصور حال أوربا حينما أدخل العرب الحضارة إليها . فإذا رجعنا إلى القرن التاسع من الميلاد حين كانت حضارة العرب الأندلسية فى أوج نضارتها ، رأينا أن مراكز الثقافة فى الغرب كانت أبراجاً يسكنها أمراء إقطاعيون متوحشون يفخرون بعجزهم عن القراءة ، وأن أكثر رجال النصرانية معرفة هم الرهبان المساكين الجاهلون الذين كانوا يصرفون أوقاتهم فى أديارهم ليكشطوا بخشوع كتب الأقدمين النفيسة ليكون عندهم بذلك من الرقوق ما هو ضرورى لنسخ كتب العبادة .

(ومضت مدة طويلة قبل شعور أوروبا بهمجيتها ، ولم يبد ميلها إلى العلم

إلا فى القرن الحادى عشر والقرن الثانى عشر من الميلاد ، فلما ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل عنهم ، ولوا وجوههم شطر العرب .

ودخلت العلوم أوروبا من أسبانيا وصقلية وإيطاليا ، ففى سنة (١١٣٠ م) أنشىء فى طليطلة مكتب للترجمة تحت رعاية رئيس الأساقفة ريمون ، فصار هذا المكتب ينقل إلى اللغة اللاتينية أهم كتب العرب . ولم يتوان العرب فى أمر تلك الترجمة فى القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر من الميلاد . ولم يقتصر فى تلك القرون على ترجمة مؤلفات علماء العرب كالرازى وأبى القاسم وابن سينا وابن رشد .. إلخ وحدها إلى اللغة اللاتينية ، بل نقلت إليها كتب علماء اليونان من ترجماتها العربية ، ككتب جالينوس وبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس وأرخميدس وبطليموس .

وقد روى الدكتور (لوكلير) فى كتابه الذى سماه (تاريخ الطب العربى) أن ما ترجم من كتب العرب إلى اللغة اللاتينية يزيد عن ثلاثمائة كتاب ، ولم تعرف القرون الوسطى كتب قدماء اليونان فى الحقيقة إلا من ترجماتها العربية ، وبفضل هذه الترجمات اطلعنا على محتويات كتب اليونان التى ضاع أصلها ، ككتاب أبولونيوس فى المخروطات ، وكتاب جالينوس فى الأمراض السارية ، وكتاب أرسطو فى الحجارة ... إلخ . وإذا كانت هنالك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا ما انطوت عليه القرون القديمة ، فالعرب هم تلك الأمة ، لا.رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون اسم اليونان . فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ تلك الكنوز الثمينة ، قال (ليبرى) : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون .

(إن عرب الأندلس إذن هم الذين صانوا فى القرن العاشر من الميلاد العلوم والآداب التى أهملت فى كل مكان ، حتى فى القسطنطينية ، ولم يكن فى العالم فى ذلك الزمن غير الأندلس العربية بلاد يمكن طلب العلم فيها ، فإلى بلاد الأندلس كان يذهب أولئك النصارى القليلون لطلب العلوم ، ونذكر منهم على حسب بعض الروايات التى لاتزال موضوع جدال : جربرت ، الذى صار بابا سنة ٩٩٩م

ملقباً بسلفستر الثانى ، ولما أراد هذا البابا أن ينشر فى أوروبا ما تعلمه عد الناس ذلك من الخوارق واتهموه بأنه باع روحه للشيطان .

وقد كانت ترجمات كتب العرب العلمية المصدر الوحيد للتدريس فى جامعات أوروبا نحو ستة قرون ، ويمكننا أن نقول إن تأثير العرب فى بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام إلى الزمن الحاضر ، فلقد شرحت كتب ابن سينا فى مونبيلييه فى أواخر القرن الماضى .

(وإذا كان تأثير العرب عظيماً فى أنحاء أوروبا التى لم يسيطروا عليها إلا بمؤلفاتهم ، فقد كان تأثيرهم أعظم من ذلك فى البلاد التى خضعت لسلطانهم كبلاد أسبانيا .. ولن يرى الباحث مثالا أوضح من العرب على تأثير إحدى الأمم فى أمة أخرى ، ولم يشتمل التاريخ على ماهو أبرز من هذا المثال) .

هذا ما يقوله العلماء الاجتماعيون والأوروبيون ، والحقيقة أكبر مما قالوه وسجلوه .

انسانية الاسلام

— ١ —

الإسلام يحث على العمل ، ويحارب البطالة ، ويفرض ألواناً من المعاملات التى يشترك فيها الأغنياء والفقراء فى ميدان العمل ، ويتاح فيها للفقراء فرصة استغلال مواهبهم استغلالا واسعاً ، كالمزارعة والمساقاة والمضاربة ، وكالشركة ، وكالعمل ، والإجارة ، والوكالة ، وسواها .

فإذا عجز الإنسان عن العمل فهناك ألوان من المساعدات الاجتماعية التى تؤمنه على حياته ، كالزكاة والصدقة والإحسان ، وكالملاجئ العامة التى تفتح الدولة أبوابها للعجزة والمساكين واليتامى والأرامل ، وكأموال الأوقاف العامة للمسلمين التى تصرف فى وجوه الخير والبر والإحسان ورعاية شئون الفقراء .

وقرر القرآن الكريم حق الفقراء فى أموال الأغنياء : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . والمال فى يد الأغنياء إنما هو مال الله ، استخلفهم عليه ، وأوجب رده على عياله من الفقراء .

ويحث الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم على وجوه الخير والبر والإحسان والتضامن الاجتماعى : (من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته) ، (الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه) ، (من مشى فى حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف سنين) ، (من لا يرحم لا يرحم) ، (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ، (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) . كما أوصى بالجار أشد وصية وآكدها .

— ٢ —

ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، المهاجرين الفقراء الذين جردوا من أموالهم وأهليهم وأولادهم ، وكان الإيثار أغلب شيء

على المسلمين ، أرأيت (عبادة بن الصامت) وقد آهديت له هدية ، ومعه فى الدار اثنا عشر من أهل بيته، فقال : اذهبوا بهذه الهدية إلى آل فلان فهم أحوج إليها منا ، فذهب بها الوليد بن عبادة ، فكان كلما جاء أهل بيت قالوا له : اذهب إلى آل فلان فهم أحوج منا إليها ، حتى رجعت الهدية إلى عبادة ؟

وقرب الإسلام مع ذلك بين الفقراء والأغنياء ، بالزكاة والإرث والوصية ونظام الوقف وسوى ذلك من التشريعات التى تتجه إلى إنقاذ الفقير وتمكينه من الحياة ورفع مستواه فى المجتمع .

وهناك بعد ذلك كله لعلاج الفقر ، والقضاء على الحاجة ، بيت مال المسلمين الذى يلزم بالقيام على شئون الناس ، وخاصة الفقراء لسد حاجاتهم . وكان للفقراء والمساكين والأرامل واليتامى وأبناء السبيل نصيب معلوم يجرى عليهم من بيت المال ، كما كان لهم نصيب فى الغنائم ونصيب فى الزكاة .

وكان عمر يفرض لجميع المسلمين عطاء من بيت المال ويقول : (والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من المسلمين من أحد إلا وله فى هذا المال نصيب ، إلا عبداً مملوكاً ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى ، وقسمنا من رسول الله ، فالرجل وبلاؤه فى الإسلام ، والرجل وقدمه فى الإسلام ، والرجل وغناؤه فى الإسلام ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم كل ما يرد إليه من مال على المسلمين بالسوية ، وكذلك عمر ، ويروى أن علياً كان يقسم مافى بيت المال كل جمعة حتى لايترك فيه شيئاً .

وعمر بن الخطاب يقرر فى بعض عهوده رفع الجزية عن كل من يضعف عن العمل من أهل الذمة ، وبأن يعطى من مال المسلمين ما يكفيه هو وعياله مادام بدار الإسلام ، ولقد رأى ذات يوم يهودياً يستجدى ، وعلم أنه ألجئ إلى هذا بسبب الجزية والسن والحاجة ، فأمر برفع الجزية عنه وعن أمثاله وترتيب نفقة

جارية له مدة حياته ، وقال : ما أنصفناه ، أكلنا شبيبته وضيعناه فى هرمه . وفى سفره إلى دمشق أمر بمثل هذا لقوم من النصارى ابتلوا بالجذام فلم يجدوا إلى العمل سبيلا ؛

— ٣ —

وكان من هذه السياسة العادلة التى شملت المسلمين واليهود والمسيحيين أنه لم يكن فى عهد عمر الفاروق من يشكو الحاجة، ما دامت الدولة كانت تسارع لعون العاجز والمحتاج ، وكان الأطفال يعتبرون عاجزين عن العمل ، ولهذا كان عمر يفرض لهم أيضاً من بيت المال ما يكفيهم ، كما يفرض لولى كل طفل رزقاً يعينه على تنشئته وتربيته .

فهل بعد ذلك نظام أكمل، للضمان الاجتماعى ، والتأمين الاجتماعى ، من هذا النظام ؟ إن الغرب فى القرن العشرين لم يأت بجديد ، إن أصول حضارة الغرب مأخوذة من مبادئ الإسلام وشريعته الخالدة، وأعمال خلفائه الأولين ، ومآثرهم فى العدل ، وسياسة الملك ومعاملة الرعية .

الاسلام يبنى ولا يهدم

— ١ —

رسالة الإسلام ، ومبادئه ، وشريعته ، وتعاليمه ، كلها تعمل من أجل البناء لا من أجل الهدم ، من أجل الحياة لا من أجل الفناء ، من أجل الإنماء لا من أجل التدمير .

بناء الفرد.. بناء الأسرة.. بناء المجتمع.. بناء الأمة.. بناء الإنسانية والحضارة.

بناء الفرد : بتقويم سلوكه ، وتهذيب طباعه وأخلاقه ، وترقيق شعوره ووجدانه ، وبتحريم العادات الفاسدة ، والخرافات الضالة ، وبتحريم كل ما يضر بالنفس والمال والعرض ، القتل محرَّم ، الانتحار فى حكم القتل ، إزهاق النفس التى حرَّم الله قتلها ممنوع ، تعريض النفس والبدن للمهالك غير جائز ، والربا والقمار والتجارة فى شيء محرَّم كلها غير جائزة ، ويمنع الإسلام الوصية فى أكثر من ثلث المال حفاظاً على حقوق الورثة ؛ كما ينهى عن التبذير والإسراف والترف والتعالى على الناس بما أعطى الله لبعض عباده من مال ؛ والزنا والفاحشة والدنس والخطايا كلها ممنوعة .

كل ذلك من بناء الإسلام للإنسان ، إلى مافرضه عليه من صلاة وصوم وصدقة وزكاة وحج ، ومن أمانة وصدق ووفاء بالوعد والتزام بالمسئولية ، وسعى فى الأرض بالحق ، ومن مروءة وأريحية وإنسانية ، وبذل للمال فى سبيل الله والمعروف .

وبناء الأسرة : بما شرع لها من قوانين ، وسنّ لها من تشريعات ، ووضع لها من أحكام فى الزواج والطلاق والمواريث والوصية والنفقات والحضارية وتربية الأبناء ، إلى غير ذلك .

وبناء المجتمع : بما وضع الإسلام له من قوانين وتشريعات فى الاقتصاد والزراعة والصناعة والتجارة وحسن روابط اجتماعية وثيقة تحرّم السرقة والفساد

فى الأرض ، وتقيم شريعة التكافل الاجتماعى والزكاة ، دعماً للعلاقات الاجتماعية بين الفقراء والأغنياء ، وبما شرع من قوانين فى الاستثمار ، كالمزارعة والمضاربة والشركات والهبة والقرض والوديعة وغيرها ، وبما شرع من الحدود الكفيلة بحفظ الأمن ونشر الأمان بين الناس ، وبتحريم المحسوبية ، والإلزام بالحرص على تكافؤ الفرص بين جميع الناس ، وبفرض العدالة فى الأحكام .

وبناء الأمة : بقيامها على أساس وطيد من شريعة الله وأحكام الدين ، وبفرض العدالة وإلزام الحاكم والمحكوم بها ، وبجعل الشورى منهجاً للحياة والحكم ، وبإعداد القوة الكفيلة بالدفاع عن الوطن والشعب والدين ، وبالعمل على نشر الرخاء بين الناس ، وعلى محاربة الفقر بكل وسيلة .

وبناء الإنسانية والحضارة : بجعل العلم وطلبه فريضة ، وبالحث على حضور مجالس العلماء ، وبالدعوة إلى القراءة وحب الكتاب ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا ، وبإقامة العلاقات الدولية بين الأمم على أساس مكين من السلام والتعاون والإخاء ، وبالعمل من أجل نشر الرخاء بين الناس ومحاربة الفقر . والعمل على ترقية الصناعة والزراعة والتجارة والعلوم والآداب والفنون الراقية المهذبة التى تدعو إلى مكارم الأخلاق .

— ٢ —

لم يشرِّع الإسلام الهدم أبداً ، لم يأمر بقطع شجرة ، بل أمر بزرع الشجر ، لم يدع إلى فاحشة أو جريمة بل دعا إلى الفضائل والآداب والسلوكيات الإنسانية .. حرَّم النميمة والغيبة والحقد والحسد والبغضاء والمشاحنة والظلم والخصام والفساد فى الأرض والسرقة والزنا ونهب أموال الناس بالباطل ؛ لأن كل ذلك يؤدى إلى قطع العلاقات الطيبة بين الناس .. حرَّم الجريمة والعدوان والفساد فى الأرض ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والتطاول على الناس ، وألزم كل إنسان بالعمل الصالح ، ومراقبة الله فى السر والعلن .. نهى عن التجسس على الناس وتتبع أخبارهم وأحوالهم وإفشائها فى المجالس .

جعل السلام تحية المسلم ، ومعناه أن يأمن الغير جانب القادم عليه ، وأنه لايريد بأحد شراً ، بل يريد الخير للناس .

القتل محرَّم .. لأنه هدم :

قطع الشجر والزرع حرام .. لأنه هدم لابناء .

إغراق سفينة فيها ركاب ، سواء بغواصة أو صاروخ أو مركب أو غير ذلك .. حرام .

تمزيق كتاب نافع حرام، لأن الكتاب يبنى عقل إنسان ما فى يوم من الأيام :

— ٣ —

ولننظر إلى روح البناء فى الإسلام فى قوله عز وجل من قصة موسى والخضر عليهما السلام فى سورة الكهف : « ... حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه » .

عقيدة التوحيد فى الإسلام بناء لاهدم ، إنما الشرك هو الهدم والتدمير .

كل شيء فى الإسلام بناء وجميل ، لأنه حق وصدق من عند الله عز وجل .

وصدق الله العظيم فيما يقول فى كتابه الحكيم : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله ، مخلصين له الدين ، حنفاء ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ».

منهج الاسلام

الإسلام دين الفطرة ، فهو دين طبيعي ينفذ إلى النفوس الفطرية من غير مشقة ولا إجهاد فكر ، وذلك لأنه دين يدعو أصحاب العقول إلى إعمال فكرتهم فى حقائقه ، ويتسع إلى المناقشات العقلية والمنطقية ، لايتوارى عنها ، ولا يستتر دونها بستار شكلى ، ويؤمن به المسلم إيماناً راسخاً كأنه ضرورة من ضرورات حياته ، ووسيلة متفردة فى إسعاده . وقد يساعد على ذلك عوامل كثيرة ، منها ما يرجع إلى التربية والتعليم تحت تأثير البيئة ولون الحياة التى يحياها المسلم العادى ، ومنها ما يرجع إلى الاستعدادات الموروثة والدوافع الشخصية الداخلية ، ومنها ما أشرت إليه فى اختصارمن أن الإسلام دين يعتقد، لادين يملى إملاء . وسأفرد فيا يلى لكل حالة من الحالات التى ذكرتها كلمة يسيرة ، تزيد فى إيضاح ذلك ، وتكشف عن حقيقته :

١ — الدين الإسلامى دين ذو قواعد سهلة واضحة لا تعقيد فيها ولا التواء ، فالعبادات الدينية فيه عبادات يقوم بها المسلم لربه فى أى مكان ، يسر فى ذلك أو يعلن . والله سبحانه وتعالى طالب العبد فى عبادته أن يقف بين يديه من غير واسطة ، وجعل مقام ذلك العبد ، إن كان تقياً فى عبادته ، مخلصاً لله فيها ، أكرم مقام وأعز موضع ، فقال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، لا فرق فى ذلك بين أعجمى أو عربى ، شرقى أو غربى ، فكرم المرء عند الله بعمله يقرب منه سبحانه به ، وبعده عن الله بعمله إن كان شراً ، يخرج به عن رضاه ، ويستحق بشروره غضب الله فى الدنيا ، وعقابه بالنار فى الآخرة .

لكل ذلك نرى المسلم حريصاً أن يكون قريباً من ربه ، كريم الموضع عنده ، وما أخف الوسيلة إلى ذلك وأهونها على النفس ، فقد يسر الله على عباده هذه التكاليف ، وما حملهم شيئاً فوق طاقتهم ولا أرهقهم ، بل راعى سبحانه وتعالى الرأفة بعباده ، فكان رفيقاً بهم فى تكاليفه ، مترخصاً لهم فى حالاتهم التى تعترض

من شدة أو عناء ، فقال تعالى : « لايكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت » ، حتى لقد دعا سبحانه وتعالى كثيراً ممن أسرفوا على أنفسهم أن يعودوا إلى رضاه ، وهو غافر لهم الحوبة ، قابل منهم التوبة ، فقال عز من قائل : « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون » ، وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

٢ — وإن المتتبع لطبائع العرب والباحث فى دوافعهم النفسية واستعداداتهم الموروثة من أجيال طويلة مضت ، يقرر أن لها أكبر الأثر فى الإقبال على العبادات والقرب من الله ، والإخلاص فى دعائه سبحانه وتعالى ، وخصوصاً حينما تحل بهم الشدائد ، أو تحزبهم الكروب ، فما أسرعهم حين يتوجهون إلى الله سبحانه وتعالى ، ضارعين إليه أن يفك أسرهم ، ويفرج كربهم ، يخضعون فى ذلك لقوله تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » . وقوله تعالى : « هو الحى لا إله إلا هو ، فادعوه مخلصين له ، الحمد لله رب العالمين » .

٣ — أما التعليم والتربية فإنى أعتقد اعتقاداً قوياً فى أثرهما فى ذلك الإخلاص القوى ، والتفانى فى الطاعة لله سبحانه وتعالى ، وذلك لأن التعليم الدينى فى الدول العربية كان هو السائد فى القرى والمدن ، فقد انقضت حقبة طويلة والتعليم فى المكاتب والمدارس أساسه حفظ القرآن وترتيله ، وما كان يتعلم بجانبه من الكتابة والقراءة لم يكن إلا وسيلة لقراءة كتاب الله واستظهاره ، وحين تدرج التعليم فى الدول العربية حتى اشتمل التعليم المدنى فى مراحله الابتدائية والثانوية والعالية ، كان غذاء هذه المدارس الجديدة المتخرجين فى المكاتب التى قلت إن التعليم فيها يقوم على أساس قراءة كتاب الله وحفظ ما يمكن حفظه منه ، وما تجردت برامج الدارسة فى المدارس الابتدائية والثانوية من دراسات كافية للمبادئ الدينية فى كل فرقها ، فإنها تحرص دائماً على تحفيظ بعض آى القرآن زيادة على دراسة المبادئ الدينية الكثيرة .

على أن التدريج فى إنشاء هذه المدارس المدنية لم يحرم البلاد العربية من المحافظة على أكبر معهد دينى له الأثر الكبير المشكور فى شرح قواعد الدين وبيان عقائده ذلك هو الأزهر الشريف ، الذى له الفضل الأكبر فى الاحتفاظ بالآثار الصالحة المتوارثة عن السلف من كبار المسلمين ورجال العلم منهم ، فقد بقى أكثر من ألف عام وهو الينبوع الفياض الذى تنفجر منه عيون الحكمة الإسلامية ، وتفيض من جوانبه جداول المعرفة فى كل ناحية من نواحى العلم والدين والثقافة الإسلامية . ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إنه هو المعهد الوحيد الذى حفظ للمسلمين تراثهم ، وأبان لهم سبيلهم ، وأوضح أمامهم معالم الحق ، وجنبهم مسالك الضلال ، وأنه إلى عهد قريب جداً كان المعهد الوحيد الذى أخرج للعالم الإسلامى من قامت بأفكارهم نهضاتها ، ومن استحدثت بهم الدول العربية أسس حضارتها التى يجنون ثمارها الآن .

ومن كل ذلك يتبين لك من غير خفاء أن التعليم الدينى كان ولا يزال سلطانه غير محدود على النفوس العربية ، يدعوهم الأزهر إلى الاحتفاظ بدينهم ، والإخلاص لربهم ، من أول إنشائه إلى وقته الحاضر ، ولم يكن بعد ذلك موضع للعجب من تفانى العرب فى حبهم وإخلاصهم لدينهم . وسيبقى ذلك إن شاء الله ما بقى الأزهر ، وما بقيت النفوس خالية من الهوى والغرض .

ولهذا فإن الشيوعية لا تتغلغل بين صفوف المسلمين ، لأن الدين الإسلامى يكفل للمسلمين التساند الاجتماعى ، ولأن واجباً محتوماً على كل واحد منهم أن يأخذ بيد أخيه المسلم ، وأن يقف حاجزاً بينه وبين الحاجة وما تستدعيه ضرورات الحياة ... ومن ثم فلا جدال فى أن الإسلام هو الصخرة التى ترتطم بها أمواج الشيوعية ثم تنحسر عنها واهنة مخذولة .

إن الإسلام كفل للمسلمين التساند الاجتماعى ، وما يقيهم شر الحاجة . ويدفع عنهم مصاعب الأيام ، وسبيله فى ذلك :

أولا — أنه فرض على كل مسلم أن يجعل لله حقاً فى ماله ، سواء أكان ذلك المال زروعاً ، أو حيواناً من إبل أو بقر أوغنم ، أو عروض تجارة ، أو ذهباً أو فضة ، أو مالا مقوماً من أى نوع ، بشرط أن يفيض عن حاجة المسلم من

النفقة عليه وعلى عياله ، ومن تجب عليه نفقتهم ، وألا يكون مطالباً به فى دين أو نحوه ، وقد يبلغ ذلك الحق عشر المال – أى ١٠ ٪ – ثم حدد أيضاً وجوه الصرف لهذه الأموال التى تجتمع لدى بيت المال ، وجعل مصارفها الفقراء والمساكين ، ومن انقطعت بهم السبل ، ومن أغرقهم دين لم يكن مسبباً عن معصية الله ، وغيرهم مما هو ثابت فى الدين ومعروف من مآخذه .

ولقد طالب الله سبحانه وتعالى المسلمين بدفع هذه الزكاة فى مواضع كثيرة ، ولم ترد فى القرآن آية من الآيات التى تدعو المسلمين إلى إقامة الصلاة إلا مقرونة بدعوتهم إلى إيتاء الزكاة ، فالزكاة والصلاة ، فى الإسلام ، ركنان من الأركان التى قام عليها الإسلام ، ودعامتان متينتان بنى عليهما ديننا القوى ، من ذلك قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » و « لكن البر من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة » و « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » و « قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون » .

وهذا هو خليفة المسلمين الأول أبو بكر الصديق ، قام فى أشد أوقات المسلمين وأعصبها ، بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإعلان حرب شعواء على كل من امتنع عن تأدية هذا الفرض ، وتحمل فى سبيل ذلك تعريض المسلمين لهول فزع منه من كانت لاتفزعه الخطوب ولا تزعزعه الحوادث ، وهو الإمام عمر بن الخطاب ، المعروف بشدته فى الدين وعدم الهوادة فيه ، فجاء أبا بكر يطلب إليه التريث فى إعلان هذه الحرب حتى تمر الشدة التى هم فيها ، ولكن صرامة أبى بكر فى دينه وتفانيه فى الإخلاص لأركانه ودعائه ، دفعاه إلى ألا يبالى بمكروه يقع فيه ، وقال له : (والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه أو أهلك دونه) . وقال : (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة !) . وخاض غمار هذه الحرب ، وخرج منها ظافراً ، معزاً لدين الله ، ومثبتاً لأركان الإسلام .

إن الدين الإسلامى اتخذ طريقاً وسطاً حد فيه من طغيان الرأسمالية ، فأخذ من

مال الأغنياء نصيباً مفروضاً يصرف الحاكم منه على الفقراء وذوى الحاجات ، كما ينفق منه على دور الاستشفاء ، وأماكن إيواء العجزة ، بحيث لايترك لأمثال هؤلاء مجالا للشكوى ولا مسلكاً ينفذون منه إلى سلب أموال الناس وأخذها بالباطل وغير ذلك من المسائل التى تذكى نارها فى نفوس الفقراء وسائل الرأسماليين ومكتنزى الذهب والفضة .

ثانياً — ومن المبادئ المقررة فى الإسلام أيضاً حرية الملكية الفردية واحترامها ، وأن لكل فرد أن يقتنى من المال ما تمكنه من إنشائه السبل المشروعة ومصالح الجماعة ، وليس عليه وراء ذلك إلا أن يؤدى الفرض الذى أشرنا إليه من قبل ، وله فى كل حالة أن يتصرف فى هذه الأموال بما يراه ، وتبقى بعده تركته لورثته ، فى حدود القوانين الإسلامية التى جاءت فى نصوص القرآن فى مواضع كثيرة منه .

وقد دعا الدين الإسلامى جميع المسلمين إلى التطوع بالإنفاق ، وشجعهم على التبرع لأعمال الخير ، ونهاهم فى كثير من المواقف عن الإفراط والتفريط ، فنهى عن السرف كما نهى عن التقتير ، فقال تعالى فى الحث على الإنفاق : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون، ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » .

وقال تعالى فى التوسط والاعتدال : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .

وقال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وإنك لو تأملت فى حكمة الإسلام فى احترام الملكية الفردية ووضع القواعد العامة للمواريث ، لعرفت أن هذا من أكبر الدوافع التى تحفز المموّلين إلى قوة الاستثمار والنشاط فى الإنتاج ، ويدعو إلى السهر على المصالح وبذل الجهود القوية فى تكثير الأموال ، وهو فى الوقت نفسه يحمى هذه الأموال من أن تعبث بها يد السرف والتبذير . فالرجل الذى يعرف أن الأموال التى بذل فى جمعها صحته وعقله

ستصير بعد ذلك إلى الدولة ولا ينتفع بها بنوه بطريق مباشر ، ليس هناك ما يحفزه إلى ادخارها ويدفعه إلى المحافظة عليها . ولا يصح أن يقال إن قواعد التكافؤ الاجتماعى قد تغنى عن ذلك ، فإن الطبيعة البشرية التى تدفع الآباء إلى المحافظة على بنيهم وجمع الأموال فى سبيلهم ، لايمكن بحال أن يغنى عنها أو يقوم مقامها ما يدعيه ذوو الآراء الشيوعية الهدامة من مبادئ ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب .

وإنا لنقرر أن القرآن الكريم قد احترم الملكية الفردية فى حدود مصالح الجماعة ، وصانها بقواعد وحدود لاتجعلها عرضة للتلف ولا للضياع ، ونظم انتقالها إلى الأبناء والمستحقين ، وفصل القول فى قواعد المواريث وتحديد الأنصبة فيما تركه الوالدين والأقربون قل منه أو أكثر ، فقال تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا » ، ثم قال تعالى بعد ذلك : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو أكثر ، نصيباً مفروضاً » ، ثم قال الله تعالى بعد ذلك : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » .

إلى آخر ما جاء فى هذه الآيات من بيان الأنصباء مفصلا ، ومن بيان الوصية التى للمالك فى ماله لمن شاء ، مما يدل الدلالة الواضحة على حق الملكية لكل مالك ، وانتقال هذا الحق من بعده إلى ورثته من أبنائه وأقربائه . ثم ختم هذا البيان الرائع بقوله سبحانه : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » .

حقوق الانسان فى الاسلام

حقوق الإنسان قد شرعها الإسلام العظيم قبل القوانين الحديثة بألف وأربعمائة عام ، وجميع مواثيق حقوق الإنسان فى التشريعات الحديثة تعد فرعاً لأصل عظيم هو ميثاق حقوق الإنسان فى الإسلام .

وهذا الميثاق العظيم ، هو النصوص القرآنية ونصوص السنة النبوية ، التى كفلت حقوق الإنسان كفالة تامة ، وجعلتها فريضة وحقاً لا يعتدى عليه أحد ، ولا يجور عليه إنسان ولا ذو سلطان .

حقوق الإنسان من العدالة والمساواة والإخاء وحرية إبداء الرأى فى حدود المصلحة العامة .. كلها مكفولة فى الإسلام ، مأمور بها فى القرآن ، كل مسلم ملتزم بأدائها للغير .

المساواة فى الإسلام حدّث عنها ولا حرج ، مساواة كاملة بين الناس جميعاً ، بين المرأة والرجل ، بين الصغير والكبير ، وبين الغنى والفقير ، بين القوى والضعيف ، بين القادر والعاجز .. مساواة تامة يحميها الإسلام وكتابه العظيم ، مساواة لاتعرف أى لون من ألوان التمييز بين الناس ، حتى لقد كان الخليفة عمر يمشى وعبده حوله راكب ، وحتى ولى رسول الله بلالا الحبشى على المدينة وفيها سادات المسلمين من الأنصار والمهاجرين ؛ وأسند إلى مهران الفارسى ولاية اليمن وحتى أذن الخليفة عمر لصهيب وبلال وسواهما من عامة الموالى بالدخول عليه قبل سادات قريش ؛ وألغى الإسلام الفوارق بين الناس ، كما ألغى الامتيازات القبلية ، ووزع الحقوق والواجبات على الأفراد على السواء ، ودعم الإسلام المساواة بالعدالة الاجتماعية التى تقوم على الأخوة والتكافل العام ، وأساسها التحرر الوجدانى ، والالتزام بحكم الضمير الدينى والقانون التشريعى السماوى .

والإخاء فى الإسلام إخاء عام شامل ، المؤمنون جميعاً إخوة فى الله وفى الإنسانية « إنما المؤمنون إخوة » ، أكرمهم عند الله أتقاهم ، ولا فضل لعربى على عجمى ولا لأعجمى على عربى إلا بالتقوى والعمل الصالح ..

ومن أجل ذلك ألغى الإسلام العنصرية الكاذبة ، والعصبية المدمرة الحمقاء .. لافرق بين أبيض وأسود ، ولا بين عربى وعجمى ؛ إلا بتقوى الله وطاعته .

وأما الحرية فى الإسلام فهى مكفولة بحكم الدين ، وهى حرية بناء لاهدم ، وحرية نظام لافوضى ، وحرية لوحدة المجتمع لا لتجزيئه ، وحرية لها إطارها العام من الالتزام بالدين ، والتمسك بالقيم والمثل الفاضلة — التى جاء بها الإسلام الكريم .. حرية لايحدها حد إلا رقابة الضمير الدينى فى النفس ، ونزعة الخير المغروسة فى الفطرة الإنسانية الشريفة الماثلة فى الإنسان .

حرية لاتجعل يداً تمتد إلى إنسان إلا بحق الله ، ولاتنال من نفسه وعرضه وماله إلا بحق الدين والشريعة .. حرية أساسها النظام ، وعراها القوة ، وشعارها الإنسان سيد نفسه مالم يذلها بطاعة الشيطان .

إن حقوق الإنسان فى الإسلام التى تحافظ على نفس الإنسان وماله وعرضه وشرفه وكرامته ، وتجعل له من الحقوق والواجبات مثال ما للآخرين ، وتسوّى بينه وبين الناس جميعاً ، وترفع نفسه إلى شرف العبودية لله عز وجل ، وتحافظ على قيم المجتمع ونواميسه الفاضلة .. لهى حقوق إلهية شرف الله بها الإنسان ، وجعله بها خليفة الله فى الأرض ، والقائم على حراسة الدين والتقدم والفضيلة والشرف فى ظلال قيم الإسلام ومثله الرفيعة وآدابه السامية ونواميسه الخالدة .

إنها حقوق الأقوياء ، لاحقوق الضعفاء ، إنها النور للمدلجين ، والهدى للضالين ، والعزة للمستضعفين ، والشرف لكل ذى خلق ودين ... إنها شريعة الله الخالدة الباقية على مدى الزمان .

السلام الاجتماعى فى الاسلام

— ١ —

فكرة السلام الاجتماعى أو نظريته على وجه أصح، مبسوطة فى القرآن الكريم بسطاً واسعاً .

فقد أمر الكتاب الحكيم بالمحبة والمودة والرحمة والإخاء والتزام العدالة ، والقيام بالواجبات المفروضة للناس ؛ ونهى عن الغش والرياء والنفاق والكذب والظلم والبغى والفساد فى الأرض، والاعتداء على الأموال والأعراض والأنفس .

وأمر بأداء الحقوق المفروضة على المسلم للغير ، ونهى عن التفريط فيها أو الانتقاص منها ، أو العدوان عليها .

وجعل العدالة شريعة محكمة ، والأمانة فريضة واجبة، ورعاية الفقير والمسكين والمريض كتاباً ملزماً ، وإسناد الأمور إلى الأكفاء ضرورة حتمية .

وقد نهى الإسلام عن الغيبة والنميمة والخداع والإيقاع بين الناس والإفساد بينهم . ويتناول التشريع الإسلامى كل ما يتصل بالسلام الاجتماعى بين الناس تناولا حقيقياً واضحاً لا لبس فيه .

الاحتكار والغش ، والكسب غير المشروع ، والإثراء الفاحش على حساب الناس ، والرشوة .. كلها باطلة بطلاناً مبيناً فى الإسلام .

إن نظرية السلام الاجتماعى فى الإسلام واضحة كل الوضوح ، وتطبيقها تطبيقاً كاملا أمر معروف فى التاريخ الإسلامى .

ولننظر إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، وإلى القول المأثور الذى ينطق بحكمة الإسلام : (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به) .

— ٢ —

وليست فكرة السلام الاجتماعى أمراً مندوباً يدعو إليه الإسلام ، ولكنها فرض واجب وعمل حتمى ، وهى جزء من عقيدة الإسلام وشريعة تعزيزاً لروابط المحبة والتآلف بين الناس وتوثيقاً لعرى الإخاء والتعاون بين طبقات المجتمع . وأساس هذه النظرية أن المجتمع مهما كبر أسرة واحدة ، وأن على كل إنسان فى هذا المجتمع أن يؤدى الواجب عليه للآخرين بنفس الشعور الذى يشعر به نحو أسرته ، وأن يعمل على نشر الأمن والسلام والتعاون والمحبة بين الناس ، وأن يشعر روحه تلك المعانى ، ويعتقد أنه لا يتم إيمانه بدونها ، وأن عليه أن يضحى من أجل غيره ، وأن يكون الإيثار ، لا الأثرة ، نهجه فى الحياة ؛ وعليه ألا يضنّ ببذل المال فى سبيل أخيه الإنسان ، وأن ينتهى عند ما حرّم الله من الاعتداء على أموال الناس ونفوسهم وأعراضهم : (كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه) .

وأوجب الإسلام الزكاة ، وحث على الصدقة والإحسان ، ورعاية الفقراء ، والعناية باليتامى والمحرومين والمساكين والضعفاء والمرضى ؛ وحتم التكافل بين الناس ، وجعل أساس العلاقة بين الإنسان والإنسان وبين الجماعة والجماعة ، السلام ، وأوعد المخالفين أشد الوعيد .

إنه الإسلام العظيم ، دين الإنسانية وشريعة الخلود ، وناموس السلام والإخاء والمحبة .

إنه دين الله الكريم .

العدالة الاجتماعية فى الاسلام

\- ١ -

العدالة الاجتماعية فى أبسط مفهوم لها أن يتساوى الناس فى المجتمع فى الفرص وأن يكونوا سواء فى الحقوق والواجبات وأمام القانون ، وأن تشملهم رعاية الدولة جميعاً على قدم المساواة ، وأن يعيشوا فى ظلال العدل والعطف والتكافل الاجتماعى الكامل ، وأن يكون الإيثار والتضحية — من أجل خير الجماعة هو شعار المجتمع .

والعدالة الاجتماعية من الناحية المعنوية تدعم الحرية الفردية ، وتؤمن بالضمير الإنسانى ، ومن الجانب الاقتصادى توزيع عادل لكل الفرص المادية المتاحة من أجل مقاومة الاستغلال والجور على حقوق الغير ، ونهى عن أكل مال الناس بالباطل ، فلا سرقة ولا عدوان على مال ، ولا نهب لحق مشروع ، ولا احتكار للقوت من أجل الثراء .

والمال عليه حقوق يجب أن تؤدى ، وفى مقدمتها الزكاة ، ومن حيث الوسائل فإن العدالة الاجتماعية فى الإسلام تستند إلى الشريعة نفسها ، وإلى الدين والقرآن والسنة فى حقيقتها ، وتحمى حقوق الفقير واليتيم والمسكين والمريض والمرأة والخادم والأجير ، وتعمل للإصلاح والتعاون المثمر ، وتقرر التأمين الاجتماعى للفقراء والعاجزين ، وتفرض الزكاة لمحاربة الفقر ، وتحرم الربا فى شتى صوره ، كما تحرّم الترف والإسراف فى الباطل ، وتوصى بحقوق الجار والأسرة ، وتفرض نفقة الأقارب المحتاجين على ذويهم الأثرياء القادرين على الكسب ؛ وتشرع نظام الوصية والوقف والهبة والقرض والوديعة والإعارة، وتقرر فريضة الميراث ؛ وتنهى عن الكسب الحرام ، وتحض على العمل ، وتحفظ للعامل حقه ، وتحافظ على الملكية الخاصة، وتقيم بجانبها ملكية عامة كما فى أرض الوقف والأرض الخراجية ، وتوصى بالفقراء وبالتكافل الاجتماعى .

يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : (أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى) .

ويقول ابن حزم : (فرض على الأغنياء فى كل بلد أن يقوموا بفقرائها ، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ولا فىء سائر أموال المسلمين ، فيقام لهم مما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس فى الشتاء والصيف ، بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم)

— ٢ —

إن العدالة فى الإسلام فريضة ، والعدالة الاجتماعية خاصة شريعة وقانون ملزم .

ومن أجل ذلك عاش المسلمون إخوة متحابين ، لاحقد ولاحسد ولابغضاء ولا عدوان ولا ظلم ولا بغى ولا نهب لمال ، ولا خوف من جور .

إنها العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، التى سوت بين الناس جميعاً ، وربطت بينهم برباط الحب والإخاء ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى كتابه الحكيم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » ... صدق الله العظيم .

المرأة فى ظلال الاسلام

المرأة التى كانت مستعبدة قبل الإسلام ، تعامل معاملة الرقيق ، لاحق لها ، ولا ترى نور العدالة فى معاملتها ، وتعد من الأشياء التافهة التى لاوزن لها فى الحياة .

هذه المرأة نالت كل حقوقها فى الإسلام ، وفى ظلال القرآن .

أمر بالعدالة التامة فى معاملة المرأة ، وبالإحسان فى عشرتها ، وبالرفق فى تكايفها بالمسئولية .

حفظ الإسلام لها كرامتها ، ورعى لها حقوقها كاملة : الحقوق المالية ، والحقوق الاجتماعية ، والحقوق الإنسانية .

ساوى بينها وبين الرجل فى كل شىء إلا فى الميراث ، فقد جعل نصيبها منه نصف نصيب الرجل ، لأن الرجل يتحمل كل الأعباء ، والمرأة لا تتحمل عبئاً ما ؛ وإلا فى الشهادة ، فقد جعل شهادة الرجل موازية لشهادة امرأتين ، لأن الرجل أضبط وأدق وأوعى وأكثر حفظاً وأقوى ذاكرة .

وحفظ الإسلام لها شخصيتها المعنوية والأدبية والآدمية والإنسانية ، فارتفع بهـا إلى مستوى الرجل فى كل شىء ، وأدان ظلمها وامتهانها وأكل حقوقها ، وأوصى بها توصية شديدة .

وألقى عليها مسئولية الأمانة وتربية الأبناء ، والحفاظ على عرض الرجل وماله وسره ، وجعلها شريكة الرجل فى المسئولية عن الأسرة والبيت والأبناء .

وفرض عليها ما فرض على الرجل من عبادات وطاعات وتكاليف ، ومن نهى عن الرذائل والقبائح والمعصية .

وارتفع بها إلى مستوى الإنسانية الكاملة ، فأحالها للرجل بشرط تكريمها ، وإعلان الزواج والإشهاد عليه وتقرير مهر مالى لها نظير ذلك ، ونهى عن اتخاذها خدينة أو خا اة أو رفيقة متعة ، أو صديقة طيش ونزوة ، أو صاحبة مجلس الشيطان

الرجيم ، وبذلك أعزها وكرّمها ، وجعلها إنسانة كاملة الحقوق مصونة الحرمات ، عزيزة الشرف ، غالية الكرامة .

والمرأة فى ظلال الإسلام لها حق البيع والشراء والهبة والوصية والوقف .

وعليها من الصدقة والزكاة والإحسان ما على الرجل إذا كانت موسرة ، وعليها من الواجبات ما على الرجل ، فأمرها بالصدق والأمانة والعفة ، وبالصدقة والإحسان ، وبحفظ السر ، وصيانة العرض ، ورعاية أمانة الأسرة والأبناء .

الإسلام هو الدين العالمى الذى لم تجد المرأة الأمان إلا فى ظله ، ولم تر العدل إلا فى كنفه ، ولم تشهد الكرامة والعزة إلا فى كلاءته .

الإسلام الدين العالمى الذى نص كتابه الحكيم ، القرآن الكريم ، على ميثاق شرف فى معاملة المرأة والحفاظ على شرفها وعرضها وكرامتها . نهى القرآن الكريم عن الفاحشة وعن قذف النساء بالتفريط فى العرض رجماً بالغيب ، ونهى عن اتخاذ أكثر من أربع زوجات ، وأباح الأربعة للرجل بشرط القدرة ، والعدل فى معاملتهم ، تكثيراً للنسل ، وربطاً للناس بصلات الرحم ، وجمعاً للألفة والمودة والمحبة والتعاون ، وسداً للذرائع ، حتى لايقع الرجل فى أسر الشهوة المحرمة .

المرأة فى ظلال الإسلام سيدة كريمة ، وأم فاضلة ، وزوجة شريفة ، وفتاة مهذبة ، وطفلة لها الرعاية والحنان .. والمرأة فى ظلال الإسلام تقبل على مجالس العلم ، وتحفظ القرآن والحديث ، وتدرس الدين وعلومه ، واللغة وآدابها والثقافات الفاضلة وعلومها .

ففى خطبة الوداع الأخيرة يقول الرسول الكريم : (استوصوا بالنساء خيراً) .

اللهم إنك فى كتابك وفى سنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، قد أعززت المرأة ، ورفعت رأسها إلى السماء ، وصنت نفسها وعرضها ومالها وحقوقها صيانة كاملة .

اللهم إنك فى كل أمر وكل نهى وكل تشريع .. إنك الحكيم العليم .

اقتصاديات الاسلام العادلة

يقول الرسول الأكرم صلى‌الله عليه وسلم : (من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) .

ويقول : (ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم) .

ويقول : (من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع وبخامس) .

وآخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار ، أى بين الفقراء والأغنياء ، بين المشردين عن أوطانهم وأموالهم ، والمقيمين فى وطنهم ومالهم وأهليهم .

وكان يقول : (يا معشر المهاجرين والأنصار ، إن بين إخوانكم من ليس له مال فليضم أحدكم إليه الرجلين والثلاثة) .

وعن جابر بن عبد الله قال : كان لرجال منا فضل أرض ، فقالوا نؤاجرها بالثلث أو الربع أو النصف ، فقال الرسول : (من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه ولا يؤاجرها إياه) .

وقد شرع الإسلام نظام الوقف، لتكون الأرض أو العقار ملكاً للمجموع ، وتصرف فى مصارف الخير والإحسان .. وفوق ذلك فقد حرم الاحتكار ، احتكار الأقوات العامة ، وما يشبهها من موارد الثروات العامة .

كما حرَّم الربا ، حرَّمه لأنه مظهر للأثرة والأنانية وحب الذات ، فالفقير الذى يقترض منك جنيهاً لا يصح أن تأخذه منه جنيهاً وربعاً أو ثلثاً أو نصفاً ، وإلا كانت نفسك جشعة لا تعرف معنى الدين والإيثار والإنسانية .

وأوجب الزكاة ، وحارب أبو بكر العرب حين منعوها وجعلهم مرتدين .

وفرض الصدقات والإحسان ، ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، وعن الطمع فيما فى أيدى الناس .

وطالب بإعطاء الناس حقوقهم ، وإعطاء الأجير أجره ، وبإيداع الأغنياء أموالهم فى أيدى الفقراء ، ليعملوا بها على أى لون من ألوان العمل والتصرف ، شركة أو مضاربة أو مزارعة أو مساقاة . وشرع نظام القرض والوديعة والإعارة والوصية والهبة ، وفرض فرائض الميراث .

أوليس كل ذلك كله خطوة حاسمة لتقريب ما بين الطبقات ، ولمحاربة الفقر وعلاجه علاجاً حاسماً ، ولخلق جو من المودة والتفاهم بين الفقراء والأغنياء ، ولنشر روح من السماحة والإخاء والتعاون ؟ .. هذا وغيره من مبادئ الإسلام الخالدة ، هو العدالة الاجتماعية بأجلّ معانيها وأروع أهدافها ، وأسمى غاياتها وألوانها .

عدالة تحارب الرأسمالية الجشعة المتنمرة ، وتحارب الشيوعية المتلصصة المتذئبة ، وتحارب الماركسية المتطرفة الحمقاء ، وتحارب الفوضى فى المجتمع ، وتقتل بذور الشقاق والخلاف والعداوة بين الناس والطبقات .

وتكافل هو العدل والتعاطف والمحبة ، وهو الإيثار والتضحية ، وهو تقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، وهو الألم لشقاء الناس ، والبذل لما فى اليد ، ومساعدة كل ذى محتاج : (من فرَّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) .

عدالة اجتماعية مبدؤها : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) و(عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به) . فأين هذا من قول برناردشو فيلسوف العصر : (لا تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به) ، ووصيتها : (ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) ، فأين من هذا قول برناردشو : لا تحب جارك كما تحب نفسك ، فإنك إن كنت سعيداً بنفسك فإن ذلك قحة ، وإن ذلك ضرر . اشتراكية ما أجمل معناها ، وأدق مغزاها ، وأعظم أهدافها وغاياتها .

ولقد آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار ، وحجز عمر على قريش أن يهاجروا إلى الأراضى المفتوحة حرصاً على امتلاكها ، حتى لا يضيقوا على

عباد الله ، فقال : (ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادة . ألا فأما وابن الخطاب حي فلا) ، والإيثار وحض القرآن الكريم عليه معروف : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . وقد جعل الله تعالى الفيء لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل لئلا يستأثر به الأغنياء وحدهم ، فقال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كي لايكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

كل هذا من مظاهر شريعة الإسلام العادلة السمحة البرة الرحيمة بالناس والفقراء والمجتمع .

النظام الاقتصادى فى الاسلام

— ١ —

إن الجانب المالى فى الإسلام أرفع النظم الاقتصادية ، وأجلها وأكثرها فائدة ورخاء وخيراً للمجتمعات والشعوب ، ويؤكد رجال الاقتصاد ومفكروه، أن النظام الاقتصادى الرأسمالى والاشتراكى فيه الكثير من المضار التى أفسدت المجتمعات ، وزعزعت الثقة بين الشعوب وحالت دون استقرار الأمن والتعاون الاقتصادى المثمر بين الناس والمجتمعات والشعوب .

وإذا كانت حوافز الربح وحدها هى أساس كل المحركات للاقتصاد الغربى فإن المحرك الأول للاقتصاد فى الإسلام هو الرغبة فى ازدهار الحضارة والتقدم والرخاء .

والاقتصاد فى الإسلام إنسانى النزعة ، يقوم على التكامل والإيثار والخير ، ويحرص على توفير العدالة الاجتماعية ، وتقرير الحقوق ، والالتزامات بين الناس ، وما دامت الرابطة بين المصلحتين الفردية والجماعية وثيقة ، فمن الواجب أن تكون بينهما المعاونة لا المزاحمة والمصارعة ، ففى رفاهية الفرد رفاهية الجماعة ، والعكس بالعكس تماماً ، وليس فى النظم الغربية من اشتراكية أو رأسمالية أية فلسفة تفوق نظرة الإسلام إلى الأمور الإنسانية[1] ، وفى مقدمتها شئون الاقتصاد .

— ٢ —

والحكم على الاقتصاد الإسلامى اليوم حكم على نظريات اقتصادية غير مطبقة فى عالمنا المعاصر . ومن الضرورى أن نعيش فى ظلال اقتصاد إسلامى ، وأن نرى فى البلاد الإسلامية مجموعات من المصارف التى تطبق النظام الإسلامى فى الاقتصاد ، وبنك فيصل الإسلامى خدمة حسنة لهذا العمل العظيم .. إن علينا أن نقدم البديل الإسلامى الشرعى للاقتصاد الغربى ، وأن نعمل إلى حلول مستمدة من أحكام الشريعة ، فالإسلام صالح لكل زمان ومكان .

(١) الإسلام والنظرية الاقتصادية — للمؤلف

لقد كانت قريش — كما يقول الشيخ أبو زهرة — يتجرون فى تجارة عالمية ، وكانوا وسطاء تجاريين بين اليمن والشام ، أى بين الفرس والروم ، وقد صرح القرآن الكريم بذلك : « لإيلاف قريش » إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » . وكانت قوافل القرشيين التجارية تذهب إلى كل مكان ، وقد عقدوا المعاهدات التجارية مع الأمم المجاورة لهم . وكان من القرشيين من يعطى ماله لغيره ليعمل فيه كاسباً على أن يكون الربح بينهما ، أو على أن يكون المال قرضاً بفائدة .

— ٣ —

والقاعدة العامة فى الاقتصاد الإسلامى هى تحريم الربا بكل ألوانه وصوره ، الظاهرة منها والخفية ، الواضحة والغامضة ، المبينة وغير المبينة ، وسواء منه ما استوفى صورته الربوية الكاملة ، أو ما احتيل على إجازته ، بإلباسه صورة غير صورته الربوية ، ومن أجل ذلك تحرم الفائدة وتحرم كل المعاملات القائمة على الربا وفائدته ، ومنها نظام القروض بالفائدة ، سواء كان قروضاً استهلاكية أم إنتاجية[1] .

وإذا كان « آدم سميث » (١٧٩٠ م) ينادى فى كتابه (ثروة الأمم) الصادر عام ١٧٧٦ م بأن الثروة مفهوم مادى خالص ، فإن سيسموندى الاقتصادى البريطانى (١٧٧٣ — ١٨٤٢ م) يؤكد بأن الثروة ليست مفهوماً مادياً خالصاً ، بل هى مفهوماً يقاس بمدى ما تحققه من رفاهية الإنسان ورخائه .

على أن المصارف الأوربية هى نظام يهودى ، وهى بيوت ربوية يحكم اليهود من ورائها العالم ، بل ويقودونه إلى الاضطراب المالى .. وأول مصرف أنشىء فى جنوة كان عام ١١٧٠ م، ثم أنشىء بنك فى البندقية، وكثرت هذه المصارف، وتعددت اختصاصاتها بتوالى الأعوام ، فمن بنوك صناعية ، إلى بنوك عقارية وزراعية وتجارية .. إلخ . إلى بنوك للادخار[1].

---

(١) المرجع السابق نفسه .

— ٤ —

ولا خلاف بين الفقهاء فى تحريم ربا النسيئة . . أما ربا الفضل فيجمع جمهور الفقهاء على تحريمه ، ولا يدخل فى مفهوم ربا الفضل القرض بفائدة مشروطة عند العقد .. وجعله الشيخ الجزيرى فى كتابه (الفقه على المذاهب الأربعة) راجعاً إلى ربا الفضل ، من حيث عده بعض الفقهاء قسماً بذاته .

ولا فرق بين القرض الإنتاجى والقرض الاستهلاكى فى تحريم الفائدة فى كل منهما . وقد أعلن (كينز) البريطانى (١٩٤٦ م) وشاخت الألمانى (١٩٥٠) ، ومن قبلهما العالم الاقتصادى البريطانى (سميث) (١٧٩٠ م) الحرب على نظام الفائدة والإقراض بها .. والإقراض والاقتراض بالربا على أية حال حرام فى الشريعة[1] .

— ٥ —

ولقد قرر المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية (١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م) جواز التأمين الاجتماعى والتعاونى والصحى . أما التأمين الخاص فقد دعا الفقهاء إلى بحثه على ضوء أحكام الشريعة ، وفى رأيى أنه تعامل ربوى ، فنظام التأمين الخاص ، وكذلك التعاونى نظام ربوى محض .

وكذلك الفائدة على الودائع المصرفية ، تدخل فى نطاق العمل الربوى . ويجب النظر فى الودائع على أساس أنها مضاربة ، وتسرى عليهما نظم المضاربة فى الشريعة الإسلامية .

وقد قرر المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية أن الحسابات ذات الأجر ، وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة وفتح الاعتماد بفائدة كلها من المعاملات الربوية المحرمة .

والفائدة التى يأخذها المصرف على نظام الائتمان التجارى هى كذلك من الربا .

---

(١) المرجع السابق نفسه .

والأسهم التى تدخل ضمن منشآت ربوية حرام، أما الأسهم التى تدخل ضمن مؤسسات صناعية أو زراعية أو تجارية ، وتتعامل بالكسب الحلال بعيداً عن الربا فتعد حلالا ، ويرى الشيخ محمود شلتوت أن الأسهم من الشركات المباحة باسم المضاربة ، وهى التى تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها .

أما السندات ، وهى القروض بفائدة معينة ، لا تتبع الربح أو الخسارة ، فهى من أساسها تطبيق للمعاملات الربوية ، وإن أجازها الشيخ شلتوت للضرورة[1] .

— ٦ —

إننا ندعو إلى بنوك بلا فائدة ، وإلى أن يقوم الاقتصاد فى أساسه فى المعاملات المصرفية على نظام المشاركة لا الفائدة ، فالبيوت المالية التى تتعامل بالربا ، تفقد الشرعية الإسلامية ، ويقترح الكثير من الاقتصاديين إنشاء بنوك إسلامية ، لأنها تكون بعيدة عن نظام الفائدة ، وهذا ما قام على أساسه البنك الإسلامى الجديد .. ولقد دعا الاقتصادى البريطانى (والت ويثمان روستر) أستاذ الاقتصاد بجامعة كمبردج إلى معارضة الفائدة فيما كتبه من بحوث نشرت عام ١٩٥٩ م .

إن علينا أن ندعو إلى تحرير الاقتصاد فى الشعوب الإسلامية من سيطرة النظم الاقتصادية الربوية الغربية .. وإلى تطبيق نظام الاقتصاد الإسلامى فى بلادنا كاملا غير منقوص ، لرفاهية الإنسان وسعادته ورخائه ، ولخير الإنسانية وأمنها وطمأنينتها ، ومن أجل غد أفضل ، ومستقبل أكرم ، والله يوفق المسلمين إلى العمل بكتابهم الكريم العزيز ، وما ذلك على الله ببعيد .

— ٧ —

وأقول : ما أعظم شريعة الإسلام فى كل جوانب الحياة ، وبخاصة فى الجانب الاقتصادى ، الذى هو أهم الجوانب تأثيراً فى حياة المسلم ، ولقد كان قيام البنوك (المصارف) الإسلامية عملا جليلا محموداً ولا ريب ، اقتضى تحرير الاقتصاد من مفهومه الربوى الخاطئ ، وإعادته إلى الجوانب الإنسانية النبيلة التى شرعها ديننا الخالد ، الإسلام الكريم .

---

(١) المرجع السابق نفسه .

وكان قيامها تأكيداً لنظرية الإسلام الاقتصادية التي تنادى بأن المال فى خدمة المجتمع والإنسان ، وأنه لا يصح أن يحول بين الإنسان فى تطلعه إلى المال من أجل العمل والإنتاج ، وأن المال هو مال الله ، وضعه فى أيدى الأغنياء لكى يطبقوا فيه شريعة الله من النفع العام ، والتداول بين الناس ، وأنه لايصح اكتنازه وادخاره دون غاية ، وأنه يجب أن تسود الثقة الاقتصادية بين الناس ، إذ هى دليل سعادة المجتمع واطمئنانه ورخائه ، ودليل أن ما يتحكم فى مصائر الناس من قوانين ، هى قيم إنسانية رفيعة صالحة كنظرية للتطبيق .

إن النظرية الاقتصادية فى الإسلام تنادى بأن المال فى خدمة الإنسان وفى خدمة المجتمع وفى خدمة الدول والشعوب ، وأن الثقة يجب أن تسود الناس ، وأن أى قيد على استثمار المال ممنوع ، ومن ثم فالفائدة الربوية على المال حرام والغنى دائماً فى خدمة الفقير ، لا يصح له أن يشترط مقابلا ما نظير استخدام المال .. ويجب أن ينظر إلى الجانب الروحى على أنه خير عوض له ، وأن صنيع الخير والسير والإنسانية أبقى ، وأن الطبقات والأفراد يجب أن يسود بينهم الرحمة والمحبة والتعاون والإخاء والسلام حتى لا تتحول الحياة إلى جحيم ، فالسلام الاجتماعى بين الناس هدف كبير لسعادة الإنسان ورفاهيته .

المال يتداول بين الأغنياء والفقراء ، لا بين الأغنياء فقط ، وللفقير حق المعاونة من الغنى القادر ، وليس للغنى أن يبخل بماله ويكنزه ويدخره ، ويحول بينه وبين الفقير الأمين القادر على العمل فيه ، وعلى الربح والاستثمار ، وعلى الاستثمار ، وعلى إفادة نفسه وإفادة الغنى من عائد الربح والاستثمار الشريف .

إن الاقتصاد فى عصرنا الراهن هو المحور الذى تدور حوله حياة الناس والأمم بل إن المثل العليا التى تسود عصرنا وإن تميزت بشىء ، فإنما تتميز بالمذاهب الاقتصادية . ومهما اختلفت هذه المذاهب فى وسائلها فإنها تتجدد فى غاياتها وما تلك الغايات سوى الرفاهية الاقتصادية ، ونظام الإسلام من الوجهة الاقتصادية يتحدى كل مدَّعٍ بالنظر الدقيق واليد الطولى فى علم الاقتصاد ، وتحقيق الغاية المرجوة منه فى إسعاد الإنسان ورفاهيته . إنه اقتصاد تتحقق فيه الموازنة الكاملة

بين الفرد والجماعة فى رعاية حقوقها ومصالحها على وجه أصح وأشمل ، بالسعادة والطمأنينة الفردية والجماعية على حد سواء .

وفى النظام الاقتصادى الرأسمالى والنظام الاقتصادى الشيوعى لا تجد أية فلسفة خاصة تفوق نظرة الإسلام إلى الأمور الإنسانية .

وعندما ترك المسلمون نظام الاقتصاد الإسلامى، إلى النظام الربوى الغربى فى الرأسمالية ، وإلى النظام الاشتراكى التعاونى فى المادية الماركسية ، وتناولوا الربا من كل جانب ، زحف عليهم الفقر والجوع والحرمان ، وصب عليهم بلاء الخيانة وفقدان الشعور بالمسئولية ، وضياع الالتزام بالحق وبالواجب . وصارت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق .

ومن البديهى أن الحكم على الاقتصاد الإسلامى حكم على نظريات اقتصادية ليست مطبقة فى عالم اليوم ، ولا يتعدى كلامنا على أثرها وأهميتها للرخاء العالمى حدود النظرية دون التطبيق ، ومن الواجب على المسلمين اليوم أن يتكاتفوا لدرء مفاسد النظام الربوى الغربى عن بلادهم وعن أنفسهم .

وهذا هو مصدر الشعور بضرورة الحاجة إلى وجود مصرف إسلامى يسير العمل فيه وفق أحكام الشريعة الإسلامية فى التعامل المالى بين الناس .

وفى استخدام المال فى الإسلام إنسانية مطلقة ، فأساس استخدام المال هو روح الإسلام ، وهو الثقة بين الناس ، وهو (خذ وهات) .

— ٨ —

من أجل ذلك كان قيام المصارف الإسلامية عملا جليلا لتحرير اقتصادنا من المفاهيم الخاطئة التى هى مفاهيم ربوية وضعها أساطين المال الصهيونيون خلال قرون عديدة ، وتحكمت فى نظام المال ونظام الإنسان معاً ، وهذه المصارف الإسلامية تمنع الفائدة والربا فى معاملاتها المصرفية منعاً باتاً .

ولقد ثبت أن نظام الإسلام فى الاقتصاد هو أرفع النظم ، وأجلها ، وأكثرها فائدة ورخاء ، وخيراً للمجتمعات والشعوب ، وكما ثبت أنه النظم الاقتصادية المستوردة البعيدة عن ديننا فيها الكثير من المضار التى أفسدت المجتمعات ، وزعزعت الثقة بين الشعوب ، وحالت دون استقرار الأمن والطمأنينة المالية .

وإذا كانت حوافز الربح وحدها هى أساس كل المحركات للاقتصاد الغربى ، فإن المحرك الأول للاقتصاد فى الإسلام هو الرغبة فى ازدهار الحضارة والتقدم والرخاء بين الناس .

الاقتصاد الإسلامى لاخلاف فى أنه إنسانى النزعة ، نبيل الهدف فى غاياته وجوهره ، وهو اقتصاد يقود المجتمع إلى الإيثار والخير ، وإلى التكامل والمسئولية ، وتقرير الحقوق والالتزامات بين الناس .

إن هذا الجدب الروحى ، والشقاء النفسى ، والفقر والحرمان ، الذى يسود كل المجتمعات ما هو إلا أثر من آثار عدم تطبيق نظريات الإسلام الاقتصادية واتباعها لأفكار الاقتصاد الغربى ونظامه فى الفائدة الربوية ، والربا كالنار التى تحرق وتدمر وتهدم كل القيم والمقوّمات والصروح اللازمة لبناء عالم سعيد . لذلك أصبح العالم يعيش حياته فى حروب مدمرة ، وأزمات قاسية ، وويلات شديدة ، وفى فقر وحرمان لا مثيل لها ، ولم تسلم من هذه المضار الدول الغنية ، فضلا عن الدول الفقيرة أيضاً .

ونظرية الإسلام الاقتصادية فى أساسها تعنى أن الرابطة بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية وثيقة ، من حيث فطرتهما ، فمن الواجب أن تكون بينهما الموافقة والمعاونة ، لا المزاحمة والمنافسة والمصارعة ، ففى رفاهية الأفراد رفاهية الجماعة ، وفى رفاهية الجماعة رفاهية الأفراد ، ورفاهية الفرد والجماعة معاً هى أن يكون بين أثرة الفرد وإيثاره تناسب متزن سليم .

وليس فى تاريخ العالم والشعوب والأمم مذهب اقتصادى يصل إلى المستوى الرفيع الذى وصل إليه نظام الاقتصاد فى الإسلام ، هذا النظام الذى يجمع شمل الأمة كلها فى نطاق نبيل من الإخاء والمحبة والتعاون والعمل المثمر المتجدد من أجل تقدم الإنسان وتطور الإنسانية .

لقد جاء الإسلام بأحكام نبيلة تعترف بالملكية الخاصة ، وتهذبها بفرض الزكاة ، وتحريم الفائدة الثابتة ، وأية صورة أخرى من صور الربا ووضع الإسلام قواعد العدالة الاقتصادية على نحو جدير بفكرنا أن يتسامى حتى يفهمه ، ولقد

فهم اللورد (كينز) طرفاً من عظمة أحكام الإسلام فى مجال الاقتصاد ، وكلما تعمقنا فى البحث وصل بنا الدليل إلى أنه ما من نظام اقتصادى يكفل السلام بين الطبقات والشعوب كنظام الإسلام الاقتصادى العظيم .

منع الإسلام الاحتكار ، وكنز الأموال ، والاستغلال بغير عمل ، وقرر أن يتداول المجتمع الثروة ، ولا تكون دولة بين الأغنياء فحسب ، وقرر أن تكون للضعفاء والفقراء والمحرومين حصة سنوية لا تقل عن جزء من أربعين جزءاً من ثروة الأمة كلها ، وقد يزاد عليها بأمر الإمام وإحسان المحسنين .

والسند الإسلامى للنظام الاقتصادى فى الإسلام يقوم على فريضة الزكاة ، وواجب الصدقات ، وأحكام المواريث ، وعلى تحريم الربا ، وحماية الملكية ، واعتبار الدولة مسئولة عن توفير أسباب المعيشة لجميع رعاياها ، ومن ذلك فى صدر الإسلام فريضة الأرزاق التى كان الخليفة عمر بن الخطاب يفرضها لبعض المستحقين ، وهذا كله بالإضافة إلى ما فى الفقه الإسلامى من ثروة فقهية تشريعية فى جميع جوانب الاقتصاد ، من شركات ومضاربة وإجارة وبيوع ورهن .. إلخ .

وبعد ، فإن محاولة فرض الاقتصاد الربوى الغربى على بلاد الإسلام وعلى أعمال البنوك (المصارف) عن طريق هيمنة الحضارة الغربية وسطوتها اليوم ، هو عمل لا ينهض مبرراً لإباحة التعامل بالمعاملات الربوية فى أية صورة من صورها بحال من الأحوال .

ولا نستطيع أن نزعم ما يزعمه البعض من جواز بعض المعاملات الربوية المتفشية بيننا بحكم تأثرنا بالغرب وحضارته ونظامه الاقتصادى والثقافى ، لأن الإسلام كيان مستقل قائم بذاته ، وفكر ونظام تشريعى دائم بدوام الحياة .

منهج القرآن فى بناء المجتمع

قال الله عز وجل : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »[1] .

إن القرآن وحى الله ورسالته على خاتم النبيين وآخر المرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم ، ليرشد الناس إلى ما يجب أن يأخذوا به أنفسهم ، وينظموا به حياتهم ، ويكوِّنوا به مجتمعهم ، على الوجه الذى يسعدهم فى الدنيا والآخرة ، فى الدنيا بالعزة والسيادة والتقدم والرفاهية والسلام ، والتمكين والهيمنة على الحق ، وفى الآخرة بالرحمة الدائمة ، والنعيم المقيم ، والرضوان الشامل ، فتتم بذلك للإنسان سعادته فى الدنيا والآخرة .

القرآن الكريم دعا إلى التوحيد المطلق والإيمان الكامل ، دعوته إلى الحق والعدل والمساواة والإنصاف ، وإلى الخير والبر والإحسان ، وجعل الأمر شورى ، ولم يجعل لأحد سلطاناً على أحد إلا بالحق والمعروف .

وفرض القرآن الكريم الإخاء بين الأمم والشعوب والعناصر والأجناس والألوان ، وجعل المحبة والتعارف شعار الناس جميعاً ، ودعا إلى السلام دعوته إلى صيانة الوطن الإسلامى والدفاع عنه .

لقد جاء القرآن برسالة الإسلام لإرشاد الناس وهدايتهم لما يجب أن يسلكوه فى تنظيم حياتهم ، ويتخذوه أساساً لمجتمعاتهم ، فألغى العصبية العنصرية والإقليمية فى تكوين الجماعة الإنسانية ، وسما بالإنسانية عن الفرقة والعداوة والخصام .

إن الأساس الأول فى تكوين المجتمع الإسلامى هو العقيدة والتوحيد الخالص والإيمان المطلق بقدرة الله وهيمنته على الوجود ، ويلى ذلك الموازنة بين مصلحة

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣

الفرد ومصلحة الجماعة ، وإيثار مصلحة الغير على مصلحة النفس ، والتكافل الاجتماعى التام بين أفراد المجتمع جميعاً ، وترك الشر والعدوان على حقوق الغير .

إن القرآن الكريم بمثالياته وقيمه الإنسانية ، ودعوته إلى العلم ، وإلى العدل ، وإلى المساواة ، وإلى الالتزام بالمسئولية ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالوعد ، وصيانة حقوق الإنسان ، والمحافظة على حقوق العامل والمرأة والخادم والطفل واليتيم والمسكين والضعيف والمريض والشيخ الهرم ؛ ليعدّ المثل الأعلى فى الإنسانية ، والمروءة والنبل والأخلاق الفاضلة .

وينظم الإسلام والقرآن الجانب الاقتصادى فى الأمة تنظيماً كاملا ، فالاقتصاد هو عصب الحياة ، وسر تقدم الأمم ، وسبب رخاء الشعوب ؛ والاقتصاد القوى معناه المجتمع القوى الذى يبنى حياته على أساس متين من العمل والإنتاج والبناء الصالح .

ومحاربة الإسلام للرذائل الاجتماعية والاعتداء على حقوق الغير ، ولمحاولة نهب الأفراد أو المجتمع . . أمر لا هوادة فيه ، وقانون محكم لا تراجع عنه .

إن سعادة المجتمع إنما تكمن فى اتباع منهج الله ، وبناء مجتمع المسلم المعاصر على أساس من التقوى والعمل الصالح ، والكفاءة التامة والحرص على المحافظة على حقوق الإنسان ، وأداء الواجبات وترك المنهيات ... ومنهج الله هو العقل والفطرة والعدل والبر والرحمة والإحسان .

وليس فى الإسلام أن يأخذ الإنسان ماليس له ، أو أن يغتصب حقاً لسواه ، أو أن ينتهك حرمة إنسان فى دمه أو ماله أو عرضه .

الإسلام قانون سماوى كريم ، ودستور إلهى عظيم ، أساسه العمل من أجل خير الإنسانية وتقدمها ورفاهيتها ، وما أصدق ما يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »[1] ، سواء فى العقيدة أم فى العمل ، أم فى الآداب والسلوك .. وكل ما يدعو إليه الإسلام والقرآن الكريم من مبادئ ومناهج ونظريات وعبادات وتشريعات ، إنما هو الحق والصدق ، ودعوة الفطرة الإنسانية فى نفس المسلم .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٩

ديننا الاسلام لا الالحاد

إن للإسلام منهجه الخالد فى التشريع والإصلاح، وقيادة الجماعات والأمم والإنسانية . وهو منهج يخالف كل ما تتناوله المادية من شئون ، وتنتظمه من مبادئ ، وتهدف إليه من غايات ، مما يرشد إلى أن الإسلام لا يوافقها فى أفكارها ووسائلها وغاياتها ، وأنه مثل أعلى فى العقيدة والنظام والتجديد .

والإسلام واق من الإلحادية بما حوى من مبادئ خطيرة فى تشريعاته .

ولو عرفت الدين الإسلامى وكيف كفل للمسلمين التساند الاجتماعى ، وأن واجباً محتوماً على كل واحد منهم أن يأخذ بيد أخيه المسلم ، وأن يقف حاجزاً بينه وبين الحاجة..و لما توانيت لحظة فى الإذعان معنا فى أن الإسلام هو الصخرة التى ترتطم بها أمواج المادية ثم تنحسر عنها واهنة مخذولة .

وللإسلام رأيه فى مشكلات الاجتماع والحياة والسلام العالمى ، وفى مناهج المادية ومبادئها التى تسعى لنشرها بكل وسيلة ؟

إن فلسفة المادية فلسفة مادية إلحادية ، تؤمن بالمادة وحدها ، وتنكر ما وراء المادة من روحيات ومثل وقيم أخلاقية عليا ، وتبنى كل شىء على نظرية داروين فى النشوء والارتقاء ، دون حاجة إلى الروح الشاملة ، ومن ثم تصر على إنكار وجود الله ، وترجع كل شىء ، حتى الدين والأخلاق وحوادث التاريخ وتطور المجتمعات إلى الظروف المادية للحياة ، وكان ماركس زعيم الشيوعية الروحى يقول : (لا إله والحياة مادة) ، ويدعو إلى القضاء على الدين وعلى الداعين إليه ، وكان أنجلز يقول : (لا محل مطلقاً لوجود خالق) .

وهذا الإمعان فى إنكار الله ومحاربة الدين يناقض الإسلام وأصوله ، ويحاربه الإسلام بكل ما يستطيع ، والذين يؤمنون بمثل هذه المبادئ هم فى رأيه مرتدون يحاربون ويقاتلون حتى يفيئوا إلى أمر الله ، لأن الإسلام يؤمن بالروحية ، ويجعلها أهم شىء فى حياة الإنسان ، والمادة تبع لها .. والحرية الدينية هى أهم حق من حقوق

الإنسان ، والإسلام يدافع عن الحرية الدينية ، وينتصر لها ، ويأمر المؤمنين باحترام الأديان ، ولا يبيح لهم أن يتحكموا فى الحريات الدينية ، ويقرر أن « لا إكراه فى الدين » و « لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه » ، ويدعو إلى أن يبر المؤمنون أهل الأديان ويقسطوا إليهم .

ولكن المادية تتنكر لهذه الحرية ، وتشن حملة قاسية على الأديان ورجال الدين ، وتفصل الدولة والمدرسة عن الدين ، وقد ألغى الماديون القسم به ، وألفوا الجمعيات للدعاية اللادينية ، ووضعوا برامج واسعة للقضاء على النزعة الدينية وفكرة الإله ، ولبث روح الإلحاد فى بلادهم ، وفى خلال الحرب الأخيرة بدأوا يخففون من قسوتهم فى معاملة الأديان كسباً لعطف الديمقراطيات ، ولكن بعد أن فات الأوان ، وأصبح كل مادى داعية إلى الإلحاد وحرباً على الدين .

وتعادى المادية فكرة الجامعة الإسلامية لقوميات المسلمين فى بلادها ، وقد أرغمتهم على اتخاذ الحروف الروسية بدل العربية ، وعلى أن يقطعوا علاقتهم الروحية والثقافية بالعالم الإسلامى وبمصادر الثقافة الإسلامية .

واضطهدت المسلمين فى بلادها اضطهاداً شديداً ، ويصرح مولوتوف بأنه : (لن تنتشر المادية فى الشرق إلا إذا أبعد أهله عن تلك الحجارة التى يعبدونها فى الحجاز وفلسطين) .

إن الحرية الدينية فى ظلال المادية لا وجود لها ، وهذا ما يأباه الإسلام ، وتنكره مبادئه .

وفكرة السلام الاجتماعى جزء من العقيدة الإسلامية ، وأساسها أن المجتمع مهما كبر أسرة واحدة . والناس إخوة فى الله والإنسانية ، وعلى كل فرد أن يعمل على نشر الأمن والسلام والمحبة والتعاون بين الناس ، وأن يؤمن بالإيثار وبالبذل وبالتكافل الاجتماعى .

أما المادية فتؤمن بالثورة وبصراع الطبقات ، لأن تحرير الطبقات العاملة فى رأيها لا يمكن تحقيقه إلا بالثورة فقط . وهى بذلك تقضى على السلام والمحبة بين الناس ، وتبذر الحقد والكراهة فى المجتمع .. وذلك ما ينكره الإسلام ويعاديه .

والإسلام يدعو إلى السلام العالمى وإلى أن تقوم العلاقات بين الأمم والشعوب على التعاون والإخاء والتعارف ، وألغى العصبيات وفوارق الألوان والأجناس .

أما المادية فتؤمن بالحرب ، وتناوئ السلام العالمى ، وتشجع الشيوعية الدولية . والكومنفورم على نشر القلاقل والاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية فى العالم كله ، بواسطة الأحزاب الشيوعية الموجهة .

والإسلام كان ظهوره وذيوعه فى العالم فى وقت قصير ، بسبب ماجاء به من مبادئ عالية ، هى الحرية والإخاء والمساواة والعدالة ، وهى الإصلاح والمدنية والعرفان ، والإنسانية المهذبة .

بعكس المادية التى قامت بخداعها للطبقات المحرومة ، وبالثورة والتمرد وصراع الطبقات ، وباضطهاد الحريات وتشريد خصومها فى الرأى ، وبالدعاية والمال ، وبتكوين الشيوعية الدولية ، وبغير ذلك من الوسائل التى لايقرها الإسلام دين الأمن والسلام والحرية والمدنية المهذبة والتعاون البشرى فى جميع مرافق الحياة .

والديمقراطية لا وجود لها فى المجتمعات المادية ، فالحريات مصادرة ، والمساواة معدومة ، حتى فى الاقتصاد وأجور العمال ، واستبداد الدولة الجائر بالفرد لاحدّ له ، والحكومة تسير على النظام الفردى الاستبدادى .

أما فى الإسلام فالأمر على النقيض : حرية وعدالة ومساواة وإخاء ، وحكومة شورية دستورية تقوم بمشيئة الشعب ، والحاكم فيها مسئول عن أعماله ، والحكم أساسه سيادة القانون وحكم الشعب للشعب ، وأن الحكومة وجدت لخدمة الفرد ورفاهيته .

وذلك كله هو دعامة الديمقراطية الحقة .. شتان بين جور المادية على الحريات وحماية الإسلام لها ، وبين تطبيق الإسلام لمبدأ المساواة التامة بين الناس فى كل شىء ، وحيف المادية على المساواة حتى فى الاقتصاد وأجور العمال ، مع أن مبادئها تنص على أنه لا فرق بين إنسان وإنسان ، وبين الإخاء الإنسانى الذى جاء الإسلام به وعمل لأجله ، وتفريق المادية بين الناس ، وعملها الدائم للقضاء على فكرة الأخوة الإنسانية بما تذيعه من مبادئ الثورة وصراع الطبقات ، وما تعمل به من إنزال خصومها فى الرأى منزلة العبيد .

أفلا يدل ذلك على أن الإسلام أعرق قدماً وأصح مذهباً فى الديمقراطية ؟

وحقوق الإنسان عند الماديين مستمدة من الجماعة وإرادته جزء من إرادتها ، للإنسان عند الماديين العمل ، ولكنه مقيد الحرية مسلوب الإرادة ، يعمل كما تعمل الآلة الصماء ، ولكن الإسلام يرعى حق العمل ويطلق للعامل الحرية ، ويحافظ على حقوقه قبل صاحب المال .

وحق الراحة الأسبوعية الذى يقرره الماديون ، وكذلك حق المرأة فى التساوى مع الرجل ، جاء به من قبل الإسلام الكريم .

وحق الضمان الاجتماعى لافضل للماديين فيه .. فقد سبق عمر بن الخطاب فطبقه تطبيقاً تاماً عادلا بين المسلمين ، وتطبقه الاشتراكيات الحديثة بنجاح ، وحق التعليم الذى تؤكده الشيوعية قد سبق به الإسلام ، وقال رسوله : طلب العلم فريضة على كل مسلم . وكان التعليم فى الإسلام كله مجانياً ، مع صرف الغذاء والمكافآت للطلاب وتوفير المسكن لهم .

إن الإسلام يحمى حق الإنسان فى الحياة والحرية والأمن والعدالة والإنصاف والمساواة ، وحقه فى التعليم ، وحقه فى الحكم الدستورى ، وفى كل جانب عادل من جوانب الحياة .

والمظهر الاشتراكى فى المادية مغالى فيه مغالاة شديدة ، فهى تنادى بإلغاء الملكية الفردية إلغاء تاماً ، وبجعل جميع مرافق الدولة فى يد الحكومة ، وتأميم جميع المرافق ، والقضاء على التجارة الخارجية والداخلية ، وقيام نظام السلع ، وتهيمن الحكومة على النظامين النقدى والمصرفى ، وتطبق الملكية المشتركة على المزارع . والعمل وحده له حق الحصول على دخل ومن لايعمل لايأكل .. ولما فشل الماديون فى توزيع الأجور وفقاً لحاجة وزعوها وفقاً للإنتاج .. وهذه المغالاة أدت إلى قضاء المادية على الحريات ، وعلى روح الاشتراكية ، فهى لكى تطعم الفرد تسلبه حريته .

والاشتراكيات الحديثة أنجح من المادية فى علاج الفقر والبطالة ، والإسلام مثل أعلى بما يدعو إليه من الإيثار والبذل والتكافل الاجتماعى ومقاومة الاستغلال والاحتكار والفقر ، وحماية الملكية وتشجيعها ، وحماية العامل وحقه ، وتقرير

التأمين الاجتماعى ، وفرض الزكاة ، وتحريم الترف والإسراف والربا ، والحد من غلواء الرأسمالية ، وتشريع نظام الوقف والوصية والهبة والقرض والوديعة والإعارة والميراث والشركة والمزارعة والمساقاة والإجارة ، إلى غير ذلك من مظاهر الاشتراكية العادلة .. والمادية تحارب الملكية الفردية التى حماها وحافظ عليها الإسلام ونظم انتقالها من الآباء إلى الأبناء ، وجعل الملكية من أسباب تنظيم المجتمع وبعث الخير فيه ، ففرض عليها للدولة من الحقوق المالية ما رآه كفيلا بقيام بيت المال على مصالح المسلمين .

والمادية تخرج المرأة من البيت للعمل وكسب القوت ، وتدع حضانة الأطفال وتربيتهم لدور الحضانة ، وتجعل الابن مسئولا عن نفسه ومعاشه ، وله أن يحمل اسم أمه أو أبيه أو يستقل باسمه .

أما الإسلام فقد أحاط المرأة بشتى ضروب الرعاية ، فجعل نفقتها على أبيها أو زوجها ، وفرض لها المهر ، وجعل لها نصيبها فى الميراث ، وأطلق لها حريتها المالية والاجتماعية والثقافية ، وجعلها ربة البيت ، وأباح لها أن تزاول شتى ألوان النشاط الاجتماعى الذى لايتعارض مع مهمتها المقدسة ، وجعل الأبوين مسئولين عن الأبناء وتربيتهم ، وفرض على الرجل العدل مع الزوجة ، وقيد تعدد الزوجات والطلاق بقيود شديدة .

وبعد .. فالإسلام (واق من الإلحاد بما حوى من مبادئ خطيرة فى تشريعاته) وهو (الصخرة التى ترتطم بها أمواج الشيوعية ثم تنحسر عنها واهية مخذولة) .

شريعة السماء

— ١ —

وقفت مذهولا أمام قصة صغيرة نشرتها جريدة الأهرام منذ سنوات ، وخلاصتها أن سويسرياً اعتاد السرقة ، فاستجمع شجاعته يوماً ، وذهب إلى المحكمة ، وقابل القاضى ، وبادره بقوله : أرجو ياسيدى القاضى أن تأمر بقطع يدى ، لأنى لا أستطيع الامتناع عن السرقة ..

هذا الإنسان الغربى ، يفهم أن الاعتياد على الجريمة يجعل من العسير على الرجل الكف عنها ، وأن أجدى الوسائل لمنع من تعود على السرقة أن تقطع يده .

وذلك برهان صادق جاء على لسان غربى مسيحى دليلا على عظمة حكمة الله عز وجل ، وجلال تشريعه فى قطع يد السارق ، إذا ماتوفرت لجريمة السرقة أركانها المعروفة فى الإسلام.. وأنه لاعلاج لهذه الجريمة المنكرة إلا قطع يد السارق. وذلك منطق الفطرة الإنسانية ، والإسلام هو ابن الفطرة ، والله عز وجل يقول فى كتابه الحكيم : « فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

— ٢ —

وإذا نظرنا إلى شريعة الإسلام وتشريعاته ، وجدناها كلها تسير وفق منطق الفطرة الإنسانية النقية الخالصة :

الزواج مثلا عقد مقدس يتم بإيجاب وقبول ، وليس إلزاماً . ولا فرض إرادة ، ولا هيمنة وسيطرة خارج إرادة الزوجين .. ليس كهنوتاً ، بل محبة ورحمة وتعاون ، وإيجاب وقبول برضاء الطرفين .

الخمر حرام ، لأنها ضد الفطرة الإنسانية ، واللبن — مثلا — حلال ، لأنه غذاء للأبدان .

الصلاة ، الصيام ، الزكاة ، الحج ، الصدقة ، الإحسان ، العبادة ، الطاعة ، الفضائل ، الجميع منهج سماوى ، لأنها منهج الفطرة الإنسانية الخالصة ، والإسلام هو دين الفطرة ، وهو « صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة » .

الدستور الإسلامى فى المعاملة هو الذى وضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به) – (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) .. كما يحب الإنسان العدل لنفسه ، كذلك يجب أن يحبه لكل الناس ، وكما يحب أن يعامله الناس بالأمانة والوفاء بالعهد ، كذلك عليه أن يعامل الناس بذلك .. وفى المأثور : أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلب منه أن يبيح له الزنا ، فقال صلوات الله عليه : أتحبه لابنتك ؟ أتحبه لزوجتك ؟ أتحبه لأختك ؟ أتحبه لعمتك ؟ أتحبه لخالتك ؟ والرجل يقول للرسول الأكرم : لا ، ورسول الله صلوات الله عليه يقول له : فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ولا لزوجاتهم ، ولا لأخواتهم ، ولا لعماتهم ، ولا لخالاتهم .

منهج واضح ، هو منهج السماء حقاً ، هو منهج الفطرة الإنسانية صدقاً ، هو منهج الحياة والحضارة والرخاء والتقدم والسلام دون ريب .

– ٣ –

الإسلام خالد أبداً ، صالح لكل زمان ومكان ، لأنه منهج السماء ، لأنه دين الفطرة ، لأنه دين الحياة .. وحسبك بدين يدعو إلى التقدم والبناء والالتزام وتحمل المسئولية ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، والدفاع عن حقوق الإنسان ، والرحمة لكل شىء فى الحياة ، إنسان أو حيوان .

ليس الإسلام قيداً فى العنق ، ولاغلالة فى اليد ، ولا سيطرة وجبروتاً مفروضين على الإنسان ، إنما هو خير وهدى ونور ورحمة وسعادة فى الدنيا والآخرة لكل بنى الإنسان .

هو أمانة مؤداة ، وعدل مفروض ، وإحسان موصول ، والله عز وجل يقول : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » .

ويقول عز وجل : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً » ، إلى آخر الآيات الكريمات .

ثم يقول الله عز وجل عقب ذلك : « وأن هذا صراطي مستقيماً ، فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

منهج السماء هو الإسلام .

منهج الفطرة الإنسانية هو الإسلام .

منهج الحياة والتقدم هو الإسلام .

وأكرم بدين الله شريعة ، وأعظم بالقرآن الكريم كتاب الله الخالد ، دستوراً عاماً للبشرية وللإنسان .

الاسلام وأوهام المخدوعين

— ١ —

المخدوعون ببريق حضارة العصر كثيرون ، وهم يجادلوننا فى الإسلام كأنهم فلاسفة يشرعون ويحكمون ويهرفون بما لا يعرفون .

فيتصور بعض هؤلاء أنه فى عصر الذرة والفضاء واقتحام الكواكب لم يعد هناك مكان للدين ولا للشرائع والكتب السماوية المنزلة .. ويعدون ذلك كله من أكبر تحديات الحضارة للأديان عامة ، وللإسلام خاصة ؛ وكأن العقل والحضارة عدوان لدودان للإسلام وللقرآن ؛ وما العقل إلا مخلوق من مخلوقات الله مدبر هذا الكون العظيم ، وما الحضارة إلا إحدى ثمار العقل الإنسانى المحدود المعرفة .

وبعض هؤلاء الواهمين يتصور الإسلام مرادفاً لفكر البداوة ، وأنه يمثلها كما يمثل الجمل الصحراء سواء بسواء ، وكأنه يتصور أن نزول القرآن وشريعة الإسلام كان يجب أن يكون مصاحباً لاختراع الطائرة والكهرباء ، ومزامناً لعصر الفضاء والذرة ، وأن الشعب المسلم كان يجب أن يحدث فوراً كل تطور وتجديد وابتكار فى حياة الإنسان وفكره ، وإنه لتشابه عجيب بين منطق هؤلاء الواهمين ، ومنطق الجاهلين الذين قالوا لرسول الله فى عصر نزول القرآن : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء »(١) .

— ٢ —

وهؤلاء الواهمون والمخدوعون ينسون أن حضارة الإسلام صنعت من قبل المستحيلات وأنها ارتفعت بالإنسان وبالحياة إلى مستوى لم يحلم به أحد من قبل ولا من بعد .. وينسون أن العلم الذى يهتفون باسمه لم يبلغ أسمى منزلة فى الحياة

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات ٩٠ – ٩٣

إلا فى ظلال الإسلام وبتوجيهه ؛ وأن الصلة بين الإسلام والعقل والحضارة صلة لاتنفصم أبداً .

وهؤلاء الواهمون إذا ظنوا أن الإسلام ليس دين اليوم وغد ، كما كان دين الأمس ، فقد وهموا وضلوا ضلالا بعيداً ، فإن الإنسانية ليست فى حاجة اليوم إلى شيء إلا إلى الإسلام ؛ والإسلام ضرورة بشرية وإنسانية للحياة وللحضارة اليوم ، فهو فى عظمة مبادئه وسموها ورقتها أهل لقيادة العالم اليوم وغداً كما قاده بالأمس إلى شواطئ الأمن والسلام والرفاهية .

الإسلام عقيدة وشريعة ، هما كالروح والجسد للإنسان ، والعمل بهما معاً فى نطاق من الاجتهاد والإيمان الخلاق يقود الإنسان إلى أرفع منازل الحضارة .

ثم إن حضارة الغرب اليوم هى نتاج حضارة الإسلام بالأمس ، هذه الحضارة التى قامت بإبداع الجامعات الإسلامية وعلمائها فى قرطبة وفاس وتونس والقاهرة ودمشق وبغداد ، وهى حضارة تمت بالعلم وعاشت فى ظله ، وارتوت بينابيعه العذاب .

الإسلام هو التراث الروحى والفكرى للإنسانية كلها ، وهو الدين الذى نادى بالحرية والعدالة والإخاء والرخاء والمساواة لكل البشر .

إن المنهج التجريبى الذى هو دعامة الحضارة اليوم ، والذى أخذ به روجر وسيكون هو منهج إسلامى محض دعا إليه النظام والجاحظ والغزالى قبلهما بزمن طويل ، فالنظام (ت ٢٢١ هـ — ٨٦٣ م) هو الذى كان يقول : (لم يكن يقين حتى صار فيه شك ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك) ، والقرآن الكريم هو الذى غرس هذا المنهج فى عقول المسلمين ، بما دعا إليه من التأمل والتفكير .

ولقد ارتفع الإسلام فوق حدود الزمان والمكان والبيئة ، وأين بيكون وكتابه (الأداة الجديدة) (ألفه عام ١٦٢٠ م) من محمد والقرآن الحكيم كتاب الله الخالد العظيم ؟

يقول بريفولت : إنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى إلا ويمكن إرجاعها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة .

فضائل النفس عند الفلاسفة القدماء أربعة : الحكمة والعفة والعدالة والشجاعة . ويضيف إليها المفكر المسلم ابن مسكويه (٤٢١ هـ : ١٠٣٠ م) خامسة هى التشوق للعلم والمعرفة ، وقد جمع العلم فى الإسلام بين العلماء من كل الأجناس والشعوب ، بينما بعض الجامعات فى الغرب حتى اليوم ترفض أن يكون أحد أعضاء هيئة التدريس فيها من الملونين .

المفكر الإنجليزى بريفولت فى كتابه (بناء الإنسانية) يؤكد أن بيكون ليس إلا أثراً للعلم والمنهج الإسلاميين ، وكان بيكون يدعو معاصريه دائماً إلى تعلم اللغة العربية وعلوم العرب لأنها الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

يقول إقبال فيلسوف الإسلام فى العصر الحديث : (إن الإسلام هو نظام الكون ، والكون صائر إليه فى يوم من الأيام ، وليس هذا حلماً من الأحلام ، بل إنه الحقيقة الثابتة) .

وذلك ضرورة ملحة للإنسانية لتعيد بناء نفسها من جديد ، ليعيش الإنسان من جديد ، فوق الكوكب الأرضى ، ينعم بالسلام والرخاء والأمان والحرية .

الاسلام .. لا المـادية

- ١ -

فى مجتمعنا الحضارى المعاصر تتحكم القوى الآلية فى كل شيء أكثر مما تتحكم القــوى الروحية ، وفى صراع الإنسان مع الطاقات المـادية الجبارة يقع صرعى ومتخلفون كثيرون ، وتنشأ مشكلات ومحن ، تؤلم كل ضــمير حى ، وقلب يحس ويشعر .. ولكن الإسلام يقف دائماً بالمرصاد لكل مشكلة وكل أزمة اجتماعية ليقومها ويسدد خطأ المجتمع الحديث نحو التقدم والرفاهية ، والعبادات والشعائر الإسـلامية فى مجموعها عبارة عن توجيه روحى للإنسان ، ليتحرر من الأغلال المـادية ، وهى كذلك خير علاج لتقوية المشاعر الروحية ، وإيمان الإنسان بنفسه وشعوره بالقوة والحياة، والعزة والكرامة، والصوم خاصة من بين هذه العبادات، أعظم علاج لملل النفس ، وصدأ الروح ، وفقدان الثقة بالذات .

ومن هنا تنبرى لنا مشكلات المجتمع الحديث وموقف الإسلام منها ، وفى مقدمة هـذه المشكلات مشكلة الفقر ، وقد حارب الإسلام هذه المشكلة حرباً فعالة بما أقام من نظم رفيعة، هى فى جملتها أقرب النظم إلى العدالة والحرية والمساواة الاقتصادية ، فالزكاة والإحسان وتشريع نظام المزارعة والشركات ، وجعـل بيت المـال فى خدمة الشعب ، وسوى ذلك مما يخفف من حدة الفقر ، وينهض بالمجتمع ، ويقوى به ، إلى ما يقرره الإسلام من وجوب تقوية مرافق الأمة العامة ومن تعاون الحكومة والشعب فى محاربة الفقر والقضاء عليه .

وقد حرَّم الإسلام الاستغلال والاحتكار والربا ، وجعل المـال فى خــدمة المجتمع ، فسبق بتلك الإنسانية المثلى كل المذاهب القديمة والحديثة على السواء ، وإذا كان المـاديون يتشدقون بحرب الفقر ومحاولتهم القضاء عليه ، فإن الإسلام سبقهم إلى ذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، ووضع أسساً لهــذه الحرب ، أقوم من مذهب الماديين وأسسهم فى حرب الفقر ، وفى الدعوة إلى حرية وكرامة الفقراء :

إن خطط الماديين فى حرب الفقر لا ترتكز على فهم واضح لنظم المجتمعات الإنسانية ، ولا إدراك عميق لطرق إزالة الفروق بين النــاس .. ومع ذلك فإن المـاديين فى تبنيهم للدعوة الإلحادية ، وفى حربهم السافرة للأديان ، لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً لتحقيق أهدافهم ، لأنهم أضاعوا الحافز الأكبر للأغنياء فى البذل وهو عنصر الدين .

ومن عجيب أن المـادية ، وهى تناهض الأديان عامة ، تفرض نفسهـا على أتباعها كديانة ، لهـا كتب مقدسة من تأليف : ماركس ، وأنجلز ، ولينين ، وستالين . ولهـا هـدف كبير هو فوز المـادية وسيطرتها على العالم والشعوب ، وفى سبيل هذا الهدف تباح الوسائل ، وتحل الأسباب ، ويجب على كل مادى أن يعلن الحرب على كل الديانات ، لأن المـاديين يعتبرون الأديان مولدة لطبقـات المجتمع وضامنة لهـا البقاء ، فيجب أن تزول حتى تتلاشى الطبقات ويبدأ الملكوت المـادى الجديد .

إن المـادية الجدلية الملحدة هى فلسفة المـاديين ودينهم الجديد ، ويؤمن كل أتباعها بها إيماناً أعمى ، تجد صداه فى قول ستالين : (إن الهبة التى هى أشد وأثمن ما فى إرث حزبنا هى تراثها الفكرى والعقائدى وآفاقها الثورية) ، ويقول ليوتوف وهو من أبرز فلاسفة المذهب المـادى : (إن الحزب يحافظ على ثروة الأفكار البولشفية محافظته على حدقة عينه ، وإن الأساس الذى لا يتزعزع فى هذه الثروة هو المفهوم المـادى الجدلى للعالم) .

— ٢ —

وقد غلت (الرأسمالية) فى تقديس المادة وجمع المال وعبادة الدرهم والدينار . وغلت (الشيوعية) فيما سمته العدالة الاجتماعية ، وتظاهرت بالعطف على الفقراء، فألغت الملكية الفردية ، وحرمت المجدّ من كدّه وتعبه ، وحاربت السنن الكونية فى طبيعة الوجود . فمنذ بدء الخليقة يوجد فى الناس القوى والضعيف، والكسوب والعاطل ، والعالم والجاهل ، والنابه والخامل ، والصحيح والمريض ، وبمقـدار تفاوتهم فى الصفات يتفاوتون فى الغنى والفقر ، والرزق والكسب ، وفى المعيشة

ومتع الحياة ، فمن حاول التسوية بينهم ، فقد حارب الطبيعة ، ورام المستحيل ، وخالف سنة الله فى خلقه .

يقول الله تعالى : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، إن الله كان بكل شيء عليماً » . ويقول عز وجل : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ، فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون » . ويقول سبحانه : « أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

لا شك بعد هذا فى أن الشيوعية ما هى إلا إباحية مطلقة ، ولا دينية ، مغلفة بغلاف العدالة الاجتماعية .. فليتدبر المسلمون ذلك ، وليعرفوه .

— ٣ —

على أن الإسلام لم يغفل أمر العدالة الاجتماعية ، فنظام الصدقة العامة والمواساة المشروعة فى الإسلام ، نظام يكفل العدالة الاجتماعية بأقصى معانيها ، متى أحسن العمل به ، وقام كل مسلم بواجبه .. فها هى ذى مظاهر المواساة فى الإسلام واضحة جلية فى الزكوات المفروضة ، والكفارات الواجبة ، والصدقات المتنوعة .

قال الله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، وقال عز شأنه : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » ، وقال جل وعلا : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » ، وقال سبحانه وتعالى : « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد » . وقال جل وعلا : « إن تبدو الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » . وقال عز من قائل : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن

السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صـدقوا وأولئك هم المتقون » . وقال تعالى: « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (ما من يوم يصبح الناس فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أطعم جائعاً أطعمه الله من ثمـار الجنة ، ومن سقى مؤمناً على ظمإ سقاه عز وجل من الرحيق المختوم ، ومن كسا مؤمناً عارياً كساه الله من خضر الجنة) . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : (كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى رمضان) .

وهكذا نجد روح التكافل الاجتماعى سائدة فى القرآن الكريم ، ونجد الدعوة إليها عامة فى شتى آياته وسوره .

وليس هناك أعظم من شعور الفقير بأن وراءه من يرعاه ويحميه ويذود عنه الفقر ، ويدافع عنه الأذى ، ويسد عنه وعن أولاده غوائل الحاجة القريبة والبعيدة .

والتكافل الاجتماعى فى الإسلام يغنينا عن التشريعات المعقدة ، وفرض هيمنة الدولة على كل شىء ، مما يسود النظام المـادى الشيوعى ، كجزء من مقوماته .

— ٤ —

والجشع الاقتصادى بكل مظاهره شىء لا يعرف فى الإسـلام ، ونظام الربا الذى أصبح متغلغلا فى جميع فروع حياتنا ، نظام فاسد لا يليق بالإنسانية فى القرن العشرين ، وجدير بالأمم أن تفكر فيه من جديد ، وأن تخطو خطوة حاسمة لإنقاذ العالم من ويلاته .

والشركات التى تقوم على نظام الربا لابتزاز أموال الشعب ، شركات لا يقرها الإسلام الكريم .

إن روح الجماعة ، وتيسير سبل الحياة لكل إنسان ، لهما الينبوع الذى تخرج منه كل الأفكار الاقتصادية السليمة فى الإسلام .

وأساس النظرية الاقتصادية فى الإسلام : أعط المال لغيرك ليهيئ لنفسه الفرص الطيبة فى الحياة ثم استرده منه .

وعلى هذا الأساس كانت شتى المعاملات الإسلامية الكريمة ، وما أجمل ما يقول الله تعالى : « إن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

وهيكل تشريعات الإسلام يتجمع فى مبدأ واحد عادل ، هو الرغبة الملحة فى إتاحة الفرص جميعها أمام الفقراء ليعيشوا ويحيوا حياة طيبة ، وينعموا بالهدوء والأمن والدعة ، وليشب أولادهم شاعرين بأن النظام العام من حولهم يقيهم شر الحاجة ، ويدفع عنهم غوائل العوز ، ويأخذ بيدهم إلى المستقبل المجهول فى ثقة وأمن وهدوء .

إن مشكلة الفقر لا وجود لها فى الإسلام ، بما أقام من نظم اقتصادية سليمة ، ومن روح اشتراكية عادلة ، ومن حياة هادئة مستقرة لشتى الأفراد والجماعات .

العمل عقيدة الماديين

— ١ —

وتحيل الماركسية العمل إلى عقيدة تؤمن بها ، فهو عند الشيوعيين طليعة نشاطات الإنسان ، ومعناه تأمين سيطرة الإنسان على الطبيعة ، والعمل يحقق الوحدة بين الإنسان والطبيعة ، وهو عندهم وسيلة تحرير !

ومن العجيب أن عقيدة الشيوعية فى العمل جعلت حياة الإنسان فى المصنع حياة سخرة ومذلة وهوان إلى أبعد الحدود ، فالطاعة السلبية بحجة الرغبة فى كسب المال ، والتفاؤل الكاذب ، والتهالك على الإنتاج ، كلها قتل لكرامة الإنسان ؛ فالسعادة ليست ثمرة الإنتاج ، على أن حالة العامل الشيوعى المادية والأخلاقية هى أسوأ من حالة أى عامل من عمال العالم المتأخر فى اقتصادياته ، وقد أفلست الشيوعية فى علاج سوء حالة العامل ، ولم تفلح فى تحسين حالة العمال ، ولا أنظمة العمل ..

وإذا كانت الشيوعية قد كفرت بعقيدة الدين فقد آمنت بعقيدة العمل ، هذه العقيدة الكاذبة ككذب أختها عقيدة المادية والإلحادية .

— ٢ —

والشيوعية تجعل كل شىء فى خدمة الحزب الحاكم ؛ فالاقتصاد ، والمصنع ، والمدرسة ، وغيرها ، مجندة فى خدمة المبادئ التى تؤمن بها الدولة ، وتجعل الدولة نفسها مجندة لخدمة مبادئ الحزب التى تتلخص فى الرغبة فى سيطرة المادية الجدلية الإلحادية على العالم كله .

والشيوعية تعلن الحرب على الممتلكات ، ولا ترضى بمبدأ الملكية الخاصة نظرياً ، وتدعو لأن يكون كل شىء مشاعاً للجميع ، ولأن تنتقل ملكية الأفراد إلى الدولة .. حتى العامل يصبح فى ظلال الشيوعية ملكاً للدولة .

والغريب أن الأديان فى إباحتها للملكية ضمن نطاق مصالح الدولة تعترف بأن الملكية حق طبيعى ، وأنها ضمان للمستقبل ، ودعامة للأسرة ، وعامل سلام للجماعة ، وإلغاء الملكية ما هو إلا نير واستعباد .

إن الدولة فى ظلال المجتمع الشيوعى ديكتاتور غاشم ، والمجتمع المادى مجتمع بطىء التقدم ، وهو مجتمع معزول محروم من كل عدل ، مهدد بالخوف والفزع والبطش ، وهو يعيش كما يعيش المنوم المفزوع .

إن الشيوعية تمتهن القيم الإنسانية ، والإنسان ضئيل الشأن فى ظلها .

ومن أجل ذلك .. كان سقوطها .

القسم الثاني

الاسلام .. وأحلام العصر

أحلام العصر

عصرنا العجيب الذى نعيشه عصر مملوء بالمتناقضات التى لاتخطر على بال .

يحلم الإنسان بالرخاء يأتيه من السماء ، وهو حلم بعيد المنال . . ما دام الإنسان يصرف على صناعة آلات الحرب أكثر موارد الشعوب ، وما دام يعمل على أن تعيش شعوب كثيرة فقيرة مهيضة الجناح ، ليبقى هو سيدها ، والذى يروج لصناعاته فيها ، والذى يسعى ليظل متحكماً فى ثرواتها ، ويعمل بكل جهده على أن تظل متأخرة فقيرة جاهلة بعيدة عن أسباب التقدم والرخاء .

ويحلم الإنسان بمجتمع إنسانى يسوده الحب والسلام ، وهو حلم أشبه بالمستحيل ، مادام الإنسان نفسه يشرّع للتفرقة العنصرية ، ويعمل لتبقى شعوب متفوِّقة وشعوب متأخرة تحسب من الدول النامية، وتعيش دون مستوى غيرها من شعوب الحضارة .

ويحلم الإنسان بحضارة مثالية تعمل من أجل القوى والضعيف ، والغنى والفقير ، والكبير والصغير ، والرجل والشاب ، والطفل والمرأة .. وهو حلم حالم ليس له منه إلا الأمل والألم ، مادام الإنسان يسعى ليظل الفقراء فقراء ، والأغنياء أغنياء ، وليبقى الأقوياء أقوياء ، والضعفاء ضعفاء .

ويحلم الإنسان بحياة أفضل ، وكيف تتحقق له هذه الحياة الفضلى ؟ وهو يعيش بين الإلحاد والكفر ، يعبد الجنس والمال من دون الله ، ويسعى فى الأرض بالفساد ، ويركب جواد الغرور والكبرياء مادام يعيش فى ثروة وفراغ وصحة ..

وكما يقول شاعرنا العربى أبو العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجـــــدة　　مفسدة للمرء أى مفســـــدة

إن حلم العصر لن يتحقق فى ظل مادية قاتلة ، ولا فى ظل عصبيات القوة والجنس والثراء .. وحلم العصر .. لا ولن يتحقق إلا فى ظل شريعة السماء ، فى ظل القرآن الكريم ، ودين الإسلام العظيم الخالد .

الإسلام هو الذى حقق حلم الأجيال ، نشر السلام فى الأرض ، وغرس المحبة والإخاء والمساواة فى قلوب الناس ، هو الذى ساوى بين البشر أجمعين ، هو الذى نشر الرخاء فى كل مكان ، حتى أصبح المجتمع الإسلامى وليس فيه فقير يمكن أن تصرف له الزكاة ، وليس فيه محروم يمكن أن يسعى غنى له بالصدقة.

الإسلام هو الذى جعل المجتمع الإنسانى مجتمع محبة وأخوة عامة فى الله وفى الإنسانية ، وحمى حقوق الإنسان ورعاها ، ونشر العدل فى كل مكان ، وجعل سلطان الشريعة وحدها هو القول الفصل ، والحكم العدل فى كل شئون الحياة ، ومشكلات المجتمعات .

الإسلام وحده هو الذى نشر شريعة التوحيد فى العالم ، وحارب الوثنية والشرك ، وأهدر سلطانهما على الشعوب ، وجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وأخرج الإنسان من الظلمات إلى النور ، ورفع من كرامته فى الحياة ، وحمى حقوقه كاملة ورعاها .

الإسلام العظيم هو دين القيمة ، ودين البينة ، ودين السلام ، ودين الحب والإخاء .

الإسلام وحده هو دين التقدم والحضارة ، ودين المجتمع الإنسانى المترابط المثالى ، ودين النور والعلم والمعرفة ، ودين التقدم والحياة .

إنه رسالة السماء ، كتابه القرآن الحكيم ، ورسالته رسالة التوحيد والعبودية الكاملة لله رب العالمين ، لاشريك له ، ولا إله سواه ، ولا معبود بحق إلا إياه .

أحلام العصر لن تتحقق إلا بالإسلام ، وفى ظل الإسلام ، وتحت راية القرآن الكريم ،

انسان الحضارة

عصرنا عصر الحضارة الغربية ، الحضارة التى كتب عنها فلاسفتها ينعون عليها فقدانها للجانب الروحى والإنسانى فى الحيـاة ، وينعون عليها أنها قادت الإنسان المعاصر إلى الحياة فى اغتراب دائم ، وينعون عليها أنها أحسنت فى المبادئ وعجزت عن التطبيق ، وينعون عليها أنها وضعت القوة فوق الحق ، والرغبة فى السيطرة فوق العدل ومنطق المصالح الذاتية فوق القانون ، وأنها آمنت بالمبدأ الميكافيللى القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة .

وإنسان العصر اليوم إنسان مهيض الجناح ، لايملك لنفسه شيئاً ، فى عالم الفلسفة الإعلامية ، وفلسفة النظريات الرأسمالية والنظريات المادية .. إنه لايستطيع مهما نال من حقوق أن يمنح نفسه قسطاً من السعادة والشعور الكامل بإنسانية الإنسان ، ومن أجل ذلك نجده يفنى نفسه فى احتساء الخمور وتناول المخدرات والانصراف إلى الجنس ، والانحراف نحو الجريمة ، والحياة فى مجتمع إنسانى محطم .

إنسان العصر يعيش فى خواء روحى كبير ، فقد الإيمان ، وفقد معه مظلة حماية الشرائع السماوية له ، وفقد معه تبادل المشاعر الإنسانية الرفيعة .. ولا حياة له بدون إيمان وعقيدة .

وإنسان العصر لا يستطيع أن ينهض بأعبائه المادية الثقيلة ، وبخاصة إذا فقد القدرة على العمل .. ولايجد بجواره من يقف معه مساعداً ومعاوناً وعطوفاً .. ولا حياة له بدون وفاء المشاعر الإنسانية الأخوية الرحيمة .

وإنسان العصر لايجد الوفاء والأمانة ، حتى من أقرب الناس إليه ، كالأب أو الابن أو الزوجة وغيرها ، ولن يشعر أحد بجمال الحياة إلا إذا وجد بجواره عواطف إنسانية كريمة رحيمة ، تبعث فى نفسه الأمل والتفاؤل والصمود فى معركة الحياة .

وإنسان العصر يعيش بلا أسرة، ولا أبناء ، ولا التزام من أحد ممن معه .. وهذا معناه السأم والملل والانهيار ؛ ونحن فى هذا التيار الحيوى العجيب الذى نعيش فيه ، لا نكاد نفرق بين الخير والشر ، والصالح والطالح .. وليس هناك شىء بعد ذلك يمكن أن يقودنا إلى النور والحياة إلا هدى السماء .

إنسان العصر .. لايجد نفسه اليوم إلا فى الإسلام ، ومبادئ الإسلام ، وشريعة الإسلام ، التى يجد فيها الأمن والحياة والرفاهية والسعادة ، كما وجد (جارودى) نفسه حين دخل الإسلام ، ونادى بأن الحل الحتمى لأزمة الحضارة اليوم هو الإسلام .

سيجد إنسان العصر فى الإسلام كل شىء سيجد فيه الإيمان الذى فقده ، والسعادة التى ينشدها ، والأمن الذى لايعيش إلا به ، والعدل الذى يمكن له أن يعيش فى ظله .

إنسان العصر سيجد فى الإسلام نفسه ، وأسرته ، ومجتمعه الإنسانى ، وأمته ، بل سيجد فيه حياته ورفاهيته وروحه .

إنه الإيمان .. هو الذى يهدى القافلة إلى الطريق ، ويقود الإنسانية إلى الصراط اللاحب ، هو الذى يصحح المسيرة ، ويصل بالإنسان الغريق إلى شاطئ النجاة ، وصدق الله العظيم فى ما يقول :

« ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار * تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار »[1] .

(١) سورة غافر ، الآيتان ٤١ و ٤٢

النبع الدافىء

— ١ —

تقول ألمانية أسلمت ، وسمت نفسها (فاطمة) فيما تقول عن الإسلام (ص٩٣ ج ٣ من كتاب « رجال ونساء أسلمن » لعرفات كامل العشى) :

« لقد جاء الإسلام كما يأتى النبع الدافئ إلى الأرض الباردة بعد الشتاء المظلم ، فأدفأ روحى ، وسربلنى بثوب من تعاليمه القشيبة ؛ فما أوضح تعاليم الإسلام وأعذبها ، وما أعظم منطقها ؛ إن الإسلام دين عصرى ، صالح للتطبيق فى عالمنا المعاصر » .

وتقول إنجليزية أسلمت وغيرت اسمها من (كاترين) إلى (هدى) : « كنت لا أعرف عن الإسلام إلا اسمه ، وأنه يحرم أكل لحم الخنزير ، وأن المسلمين يصلون كثيراً . واليوم فإن إسلامى شعور عميق بينى وبين الله تعالى ، أترجمه من خلال سلوكى مع الناس ، ولم أعد فى حاجة إلى وسيط كى أخاطب الله تعالى ، بل أصبحت أبثه شكواى ، وأضرع إليه بالدعاء ، دون ما وسيط ، ولقد منح الإسلام المرأة ما يناسبها من عمل ؛ ومن السخف الذى يزعمونه أن الحجاب يسلب المرأة جمالها وحريتها ، لقد تحجبت فزادنى الحجاب جمالا ، وحفظ بدنى من عيون الآخرين ، وأعجب لمن يبحثون عن أسباب الاعتداء الجنسى والإيدز فى أوربا وغيرها ؛ وأقول لهم : إنها تلك المعارض المتحركة لعرض الأجساد ، وبيع الهوى فلو طبقتم ما ينادى به الإسلام لما أصبحتم فى هذه الحال » ، (عن أخبار اليوم ، عدد ١٩٨٦/١١/١) .

ودع عنك ما كتبته (هونكة) مؤلفة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) ، وهى ألمانية أيضاً .

وليست هذه الكلمات جديدة بالنسبة لنا نحن المسلمين ، الذين يؤمنون بالله وكتابه ورسوله ودينه ، وبأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان .. ولكن صورة لتصور إنسان غربى يدعو إلى الحق ، ويؤمن بأن الإسلام حق من عند الله .

- ٢ -

إن الإسلام دين العصر ، دين متقدم متجدد بكل معنى الكلمة ، وهو دين الإنسان الذى يتطلع ببصره اليوم إلى السماء حائراً ، ينشد الهدى والنور والرحمة والطمأنينة ، فلا يجدها إلا فى الإسلام العظيم ، وفى القرآن الحكيم ، وفى تعاليم الحنيفية البيضاء ، وفى مبادئ الشريعة الغراء،وفى نور السماء الوهاج الذى يكسو الآفاق والبطاح .

الإسلام ، وما أدراك ما الإسلام ، دين الإنسانية ، أنكره المتجرون بها ، وأحبته الشعوب ، وخاصمه قادتها المضللون، وذاقت حلاوته الجماعات والطوائف والعناصر المضطربة المحرومة ، ولكن الذين يحجرون عليها يأبون لها العزة والكرامة والسلام .

شريعة اهتزت بها الأمم والشعوب والسموات والأرض :

دين المساواة بين الناس والأجناس ؛ دين التوحيد الخالد والعقيدة الصادقة :: (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، والله أكبر) . . ما أعذبها كلمة ، وما أروعها نشيداً ، وما أكبر أثره على الحياة والأحياء .

دين الإنسانية كافة من قبل ومن بعد . . دين البشرية قاطبة ، الأمس واليوم وغداً . . دين الحياة والتقدم ، والمدنية والحضارة والعلم والمعرفة ؛ دين النور والسمو والرفعة والعزة .. دين الفطرة والطمأنينة والأمل ، والعزيمة والعمل ، والبر والإحسان والرحمة .

الدين الوسط ، الذى يجمع كل ما فى الأديان من فضائل ومثل وآداب وأخلاق ، لا يفرق ويوجب الإيمان بها جميعها .

الدين الذى يجمع بين الغاية الفردية والغاية الاجتماعية، بين سمو الباعث وشرف القصد والنزعة ، بين المسئولية والواجب والعقيدة ، بين الأمانة والحق والعدل ، بين الحرية والمساواة والإخاء ، بين الضمير الدينى والضمير الإنسانى ، بين القصد إلى رفاهية الفرد وسعادة المجتمع وعزة الأمة ووحدة الإنسانية .

دين القيمة ، ودين البينة ، الدين العام الخالد ، على مر العصور ، وكرّ الأعوام ، دين كتب الله له العزة والمجد والخلود ، على الرغم من عداوات الأعداء ، وتآمر المتآمرين عليه وعلى المؤمنين به .

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون » هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »[١] .

- ٣ -

إن الدعوة إلى الإسلام واجبة ، وجامعاتنا الإسلامية ، ومفكرونا الإسلاميون يؤدون هذا الواجب عن كافة المسلمين .

ويا حبذا لو ألف مجلس أعلى للدعوة الإسلامية له ميزانيته التى تسهم فيها جميع الدول الإسلامية وتكون مهمته وضع الخطط اللازمة للدعوة إلى الإسلام ، والعمل من أجله فى كل مكان .

إننا نحن شعوب الإسلام . . أجدر الناس بالعمل من أجل دين الله ، وبالدفاع عنه ضد افتراءات المفترين ، وأضاليل المبطلين ، وما أصدق ما يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم : « يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »[٢] . (صدق الله العظيم) .

(١) سورة الصف ، الآيتان ٨ و ٩ (٢) سورة محمد ، الآية ٧

ارادة الحياة

ما زلنا نردد بيت أبى القاسم الشابى شاعر تونس الخالد :

إذا الشعب يوماً أراد الحيـــاه　　فلا بد أن يستجيب القــدر
ولابد لليـــــل أن ينجـــلى　　ولابد للقيـــد أن ينـــكسر

ونحن نؤمن أن القدر العظيم لا يستجيب لأحد إلا للمؤمن إذا مادعا الله ، وأخلص له الدعاء ، وليس القدر العظيم خاضعاً لمشيئة أحد ، ولكنه هو مشيئة الله عز وجل ، ومشيئته هى العليا دائماً وأبداً . . وقد نعتذر عن الشاعر بأنه أراد أنه لابد أن يستجيب القدر ، بمعنى أن الله عز وجل ربط النجاح بعزم الإنسان وتصميمه على بناء نفسه وبناء مجتمعه ، وبأن الله عز وجل يقول فى كتابه الحكيم : « ادعونى أستجب لكم » ، والدعاء لا يتضمن الكسل ، إنما يتضمن العمل ، فلا نجاح لمن يقعد عن العمل ويدعو الله مكتفياً بالدعاء وحده عن العمل والبناء ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

إن المسلم يقرن العمل دائماً بالتوكل على الله والدعاء لمقامه الأعلى بالنجاح والتوفيق ؛ وكما يقول الشاعر العربى :

وعلىّ أن أسعى وليس　　علىّ إدراك النجاح

وإرادة الحياة معناها أن الإنسان الذى يريد النجاح والتوفيق فى بناء نفسه وبناء مجتمعه وبناء وطنه عليه أن يعمل ويكد ويجد وأن يتوكل على الله عز وجل بعد العمل والاجتهاد والسعى ، مفوضاً الأمر إلى مشيئة الخالق الأعظم ، تاركاً النتائج لإرادة المولى العظيم الحكيم ، فهو وحده صاحب الأمر والنهى ، والحول والطول ، والإرادة النافذة والمشيئة الحكيمة ، والمنح الجليلة ؛ وصاحب الفضل كله ، ومولى النعم كلها ، وواهب الإحسان كافة .

والمسلم عليه أن يعمل لبناء نفسه باتباع تعاليم دينه ، والتحلى بالأخلاق والآدب التى أوجب التحلى بهاكتاب الله الحكيم ، والتخلى عن الرذائل والموبقات التى

ىى عنها . . فلن يبنى الإنسـان شيء إلا الإيمان الكامل ، واتباع رسالة الدماء ؛ والسير فى ضياء شريعة خاتم الأنبياء .

ولن يبنى المجتمعات والشعوب إلا السير على هدى الإسلام العظيم ، بإقامة العدل ، والتزام المعروف ، والنهى عن المنكر ؛ وإلا الالتزام بالمسئولية ،والحرص على أداء الواجب ، والوفاء بالعهد ، والأمانة فى العمل ، والصدق فى كل شيء ، وأن يكون باطن الإنسان كظاهره نظيفاً طاهراً ، ناصع الصفحة ، مشرق الجوارح والأعضاء .

إرادة الحياة ، هى أن نسعى ، فى إخلاص لله ، وطاعة له ، وعبودية كاملة لمقامه الأسمى ، نسعى فى كل عمل شريف ، وكل سبيل نظيف ، من أجل الخير والعدل والأمانة وأداء المسئولية ، والحرص على الواجب ، والمحافظة على الشرف والعرض ، وتقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، والتضحية بالنفس فى سبيل مجد الأمة وتقدم الشعب .

أيها المسلمون ، اعملوا ثم اعملوا ثم اعملوا ، فالله عز وجل يقول فى محكم آياته : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »[١].

ويقول عز وجل : « وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »[٢] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٥ (٢) سورة التوبة ، الآية ٩٤

جوهر الاسلام

- ١ -

يقول الشاعر التركى محمد عاكف (١٢٩٠ – ١٣٥٥هـ) داعية الإسلام فى الشعر الحديث :

(لم يفهم المفكرون عندنا كنه الدين
بل لم يدركوا روح الإســـلام
ويظنون أنهـــا لاتحتمـــل التطـــور
لايعرفون أن الإسلام هـــو خميرة العلوم
وأنه المرتبـــة التى سيفيء إليهـــا البشر يوماً ما) .

ويقول شاعر تركى آخر ، هو محمد أمين يورد أقول (١٢٨٦ – ١٣٦٤ هـ) عن القرآن الكريم :

(هـذا الكتاب يعرف الإنسان كنه ذاته وما حوله
ويشعرك بوجود الخالـق فى الأرض والسماء
فى الروح والجســـــد
إنه كتاب يشعر الإنسان بذاتيتـــه
ويفتح لـــــه الطريـق
ويمنح عطـــاياه لكل الإنسانيـــة
كم من أرواح ألف بينهـــا وجعلهـــا تتواسى
إنه هو الأم الرءوم ، التى تحنو على بنيهـــا
إنه كتاب يستحث العقول عـــلى التفـــكير
إنه القائل : تدبر ثم آمن
إنه يهدى إلى الطريق المستقيم

إنه العـلم الذى أقام رواسى المجـــد

وجعل من الصحارى مروجاً خضراء ، وعمر القرى المحرومة الخربة) .

إن القرآن هو صمام الأمن والأمان دائماً أبداً .

وهذا هو الشاعر محمد عاكف إينان ، الذى احترق بنار الوجد والألم ، يقول :

(تعال يابنى إلى الحب والأمان

وليزين اتفاقنـــا السحاب

ولتحمل الأجنحة المشرعة صوتك

ولتلق به فى حدائق الأمــل

فبالإيمان تحدث المعجزات ...) .

حقاً بالإيمان تحدث المعجزات ، وبالإيمان نبنى صروح العزة لشعوبنا الحيرى .

ولأن القرآن يهدينا إلى الطريق المستقيم ، ولأنه صمام الخير والأمن والأمان دائماً ، ولأنه معراج السمو الروحى والخلقى والأدبى .. كان الإسلام هو صوت التقدم والخير والوفاء والإخاء والرفاهية وكان هو نبض الحق والعدل والحرية والسلام ؛

وكان هو دعوة التطور والتجديد فى كياننا الاجتماعى .

– ٢ –

الإسلام يحمل روح الإصلاح ، ويؤدى مسئولية التقدم ، ويؤذن بالفجر الجديد ، ويدعو إلى دعم الحق ، والتفانى فى فعل الخير ، والحرص على الصدق ، والوفاء بالعهد ، والالتزام بالمسئولية .

الإسلام يبنى ولايهدم ، يجمع ولا يفرق ، يقود البشر إلى حيث العزة والمجد والشمم والإباء والكرامة والمروءة .

فى الإسلام معان سامية ، تكشف عن جوهره الثمين ومعدنه النفيس ، وترفع رأس المسلم إلى السماء ، وتبعثه بعثاً جديداً إلى حيث مدارج السؤدد والمجد والسيادة.

— ٣ —

جوهر الإسلام أن يربط الإنسان نفسه بخالق الكون ، فلا يخشى أحداً إلا الله ولا يطلب شيئاً من أحد إلا من الله ، ولا يستعين بأحد إلا برب السموات والأرضين ..

وجوهره المسئولية ، والتزام الحق والواجب ، وعدم التفريط فى طاعة الله وعبادته .

إن كنه الإسلام أن ترفع رأسك إلى السماء دائماً ، داعياً وعابداً ومصلياً وقانتاً لله رب العالمين .

أنا مؤمن ...

أنا مؤمن ...

ويا له من شرف كبير يطوّق جيدى بقلائد الفخار والمجد أن أكون مؤمناً .

أنا مؤمن ...

وما أكرم هذا الوسام الذى أتوشح به ، وأرى نفسى فيه ، ويرانى الناس به ، وهو أن أكون مؤمناً .

أنا مؤمن ...

وما أعز هذا التاج الذى توجنى الله به ، وجعلنى به من طبقة الماجدين والطاهرين والطيبين والموحدين ، وهو تاج الإيمان ، وكرامة الإسلام .

أنا مؤمن ...

إذن أنا إنسان ، إذن أنا ابن الأصلاب الطاهرة ، إذن أنا أعرف آبائى وأجدادى كما أعرف أبنائى ويعرفوننى .. إذن أنا ابن الطهارة والشرف والأصالة والأعراق الطيبة الطاهرة .. إذن أنا ابن الإسلام والقرآن والإيمان .. إذن أنا ابن الأخلاق والفضيلة والأمانة والمروءة والعفة والوفاء والصفاء والنقاء .

أنا مؤمن ...

إذن أنا حى ، موجود ، حر ، إنسان ، ملاك يعبد الله فى الأرض ، حتى تنتهى رسالته فى الحياة .. إذن أنا خليفة الله فى أرضه ، ابن آدم عليه السلام ، وإبراهيم خليل الله ، ومحمد سيد النبيين وخاتم المرسلين .. إذن أنا موحد يرفع دائماً رأسه للسماء ، يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يؤمن بالزبور والتوراة والإنجيل والقرآن ، يؤمن بموسى وعيسى ومحمد أشرف خلق الله، يؤمن بالحساب والثواب والعقاب والآخرة دار بقاء وخلود ، يؤمن بأن الله وحده هو مالك الملك ، وسع كرسيه السموات والأرض ، له مقاليد السموات والأرض ، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، هو الله الذى لا إله

إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

أنا مؤمن ...

الملائكة جميعاً معى فى غدواتى وروحاتى ، الله يحوطنى بعين رعايته وعنايته، الكون كله يرانى أهلا لأن أكون سيده ، وأن أصبح بإيمانى أفضل مخلوق فيه .. مؤمن والله ، يشيع الإيمان فى نفسى الثقة والاطمئنان ، والشعور بالأمن والأمان، والتفاؤل بالحاضر والمستقبل ، وحب العمل ، وحب الإنسانية كلها .

وفى ظل الإيمان يختفى العدوان والجريمة والتهور والتطرف ، وكل الأعمال المنافية للعرف والفضيلة والقيم العالية .

وفى ظل الإيمان يعيش الإنسان فى سلام دائم .. سلام مع نفسه ، ومع أهله ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، ومع الإنسانية كلها ، لا عدوان ولا بهتان ، ولا طغيان .. سلام .. لأن الله عز وجل هو السلام .

وفى ظل الإيمان ينصرف كل إلى عمله ، وإلى زيادة الإنتاج ، وإلى حب الناس ، وإلى أداء الواجب على أحسن وجه ، وإلى الإسهام فى نشر الرخاء والرفاهية فى المجتمع ، وفى رقى الأمة ونهضتها وتقدمها ورقى مستوى الحياة فيها، وإلى العمل من أجل الإنسانية والبشرية كافة .

وفى ظل الإيمان يجنى كل إنسان ثمرة عمله وكده ، وينطلق إلى ميدان الكفاح والسعى فى الأرض ، فى تنافس شريف بعيداً عن الحقد والحسد والبغضاء والخصومة والنزاع والفساد والشر ، وينهض بالعمل فى مختلف الميادين ، فى أمانة والتزام وحمل للمسئولية ، وأداء لحقوق ، وحرص على العدل والإنصاف والإحسان ، فى توازن دقيق بين الحق والواجب .

وفى ظل الإيمان توزن الكفايات، ويوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب كل بحسب كفاءته وعمله ، وكل فرد فى مكانه الصحيح الذى تؤهله له قدراته

ومواهبه ، دون محسوبية أو شفاعة أو واسطة أو محاباة ؛ لا جنوح للتسيب والانفلات والفساد ، ولا يحكم الجاهل العالم ، بل تسير الأمور والأعمال فى دقة وانتظام وإتقان .

وفى ظل الإيمان أمنح حقوقى ، وأنهض بواجباتى ، وتعطى لى حرياتى ، وأعيش فى أمن شامل يصون المجتمع ويدفعه إلى النهوض والسعادة والرفاهية .

وفى ظل الإيمان يسير الشعب وينهض إلى الأخذ بأسباب التقدم ..

الدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

العدل عام شامل ، والحاكم خادم لا سيد ، ومصلحة الجماعة تتوازن مع مصلحة الفرد .

وفى ظل الإيمان أرفع رأسى ولا أخفضها ، وأعتز بكرامتى ولا أهينها ، الأمور كلها بيد الله ، لا يملك المخلوق ضراً ولا نفعاً لأحد ، ولا يستطيع عمل شىء إلا بإذن الله .

أنا مؤمن .. الحياة كلها فى قبضة يدى ، الدنيا كلها تحوطنى بحبها ، البشرية كافة تقدرنى وتحترمنى .

لى الماضى والحاضر والمستقبل .

لى الأمس واليوم والغد .

لى النور والأمل والسعادة .

لى الخير والرحمة والعون من الله .

معى الله دائماً .

معى رحمته وفضله وإحسانه .

معى البشر والبشرى والأمان .

معى كل مجد فى الحياة .

الاسلام .. الدين الوسط

نعم ، إن الإسلام هو الدين الوسط ، الدين الأفضل ، والدين الأمثل ، والدين الجامع ، والدين الكامل ، الذى يجمع كل ما فى الأديان من فضائل ومثل وآداب وأخلاق ، والشريعة المثلى ، شريعة الحياة والتقدم والرفاهية ..

إنه دين مجتمع السلام والحق والعدل والأمان والرخاء ، الدين الذى يجمع إلى بساطته استجابته لكل نوازع الخير ، ودوافع الإنسانية فى نفس الإنسان ، ولا عجب فالقرآن الكريم وهو دستور الإسلام العظيم وكتاب عقيدة التوحيد ، كتاب دين ودولة ، كتاب شامل لكل صالح عظيم من المبادئ والمناهج والأخلاق والفضائل والقيم الشريفة ، والأهداف النبيلة ، والمثل الفاضلة :

وما بالك بدين يجمع بين الأولى والآخرة ، وبين الغاية الفردية والغاية الاجتماعية والغاية الإنسانية ، وبين سمو الباعث وشرف المقصد والنزعة ، وبين المسئولية والواجب ، وبين العقيدة والسلوك والأخلاق والعبادات والحدود ، وبين الحرية والمساواة والإخاء ، بين الضمير الدينى والضمير الإنسانى ، بين حب التقدم والرغبة فى التجديد والإصلاح ، بين القصد إلى رفاهية الفرد وسعادة المجتمع وقوة الأمة ووحدة الإنسانية ، بين حرية النزعة الفردية وقوة الرغبة فى الحرص على مصلحة الجماعة .

الإسلام دين العدل الكامل ، والأمانات التامة ، ودين الالتزام بالصدق والوفاء بالعهد ، والحرص على مسئولية الكلمة ، وعدم الإيذاء والعدوان والفساد ، وكراهية الحرام ، والقصد إلى العفة والشرف والفضيلة والإيثار والإحسان ، ودين المعادلة الكاملة الشاملة بين الحق والواجب ، وبين الإيثار والأثرة ، وبين حق الفرد وحق المجتمع وحق الأمة .

إنه دين البينة .

دين الصدق فى القول والعمل ..

دين الإخلاص فى السر والعلن ، ومن ثم كره الرياء والنفاق والمداهنة والمخادعة والمكر والاحتيال والدجل والشعوذة فى كل شيء .

دين العلم والحضارة .

دين حارب أرستقراطية الجنس واللون والقوة والمال ، وحارب أهواء النفس وشهوة الجنس ولذات الحياة وزخارفها التى تشغل عن العبادة والطاعة والعمل الصالح المفيد لخير الأمة والناس .

إنه دين الإنسانية كافة ، لأنه دين الفرد والجماعة معاً ، ولأنه الدين العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان .

هذا هو الإسلام ، عقيدة حقة ، طاهرة يجمعها شهادة التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .. إنها عقيدة تقف صامدة أمام جميع النزعات والأفكار والمبادئ ، هادية مرشدة ، واضحة نيرة ، لا عوج فيها ، ولا أمت ، لا مواراة ولا خفاء ولا رياء .

إنه الإسلام .. منطق الخير والنور والحق والعدل ، منطق القوة والدعوة الصادقة التى تحارب نزعات الشر والفساد ، وقوى الباطل والإلحاد ، والتى كتب الله لها النصر دائماً فى كل العصور والأجيال « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ، إن الله لقوى عزيز » .

عقيدة البقاء والخلود ، والدين الوسط فى كل شيء ، فى العبادة ، فى الطاعة ، فى الاقتصاد ، فى المعاملات ، فى الفضائل ، فى القيم والمثل الشريفة ، فى مبادئ الحياة وغاياتها وأهدافها ، فى شئون الأسرة والفرد والمجتمع والأمة ، فى كل أمور الإنسانية ، فى السلم والحرب ، فى المشاعر والعواطف والوجدانات ، فى الفكر والعلم والثقافة والمعرفة .

إنه دين الله ، دين القرآن الكريم ، دين السماء والوحى الصادق المنزل على محمد بن عبد الله .

عالمية الاسلام

- ١ -

الإسلام دين عالمى بأدق معنى هذه الكلمة، لأنه يجمع الإنسانية كلها تحت لوائه ، الأجناس والعناصر والألوان والأمم والشعوب كلها على قدم المساواة إخوة فى الله وفى الإسـلام ، لا فرق بين أبيض وأسود ، ولا بين أحمر وأصفر، الجميع تظللهم رسالة الإسلام ، وتسعهم مبادئه ، وتشملهم مساواته وأخوته وإخاؤه .. ولا يتميز واحد على آخر إلا بالكفاءة والتقوى والعمل الصالح وطاعة الله عزوجل .

ثم إن الإسـلام إنسانى فى مبادئه ونزعاته وتشريعاته وأهـدافه ، وانظر إلى عظمة الجانب الإنسانى فى الإسلام فى قوله صلى الله عليه وسلم : (دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) ، أى من أعشابها وبقايا نباتاتها ، وفى إسقاط الإسلام حد السرقة عن الجائع الذى يسرق ليأكل ، وفى عنايته باليتيم والخادم والعامل والمرأة والمريض والطفل والشيخ الكهل والذمى ، وفى تطبيق شرائعه تطبيقاً كاملا على الجميع على قدم المساواة ، لا فرق بين شريف ووضيع ، ولا بين غنى وفقير ، ولا بين قوى وضعيف ، عدالة تامة ، وإنصاف شامل ، وميزان واحد .

- ٢ -

والجانب العالمى فى الإسلام يتجلى كذلك فى جمعه الشعوب كلها فى دين واحد هو دين التوحيد ، ولغة واحدة هى لغة القرآن الكريم ، وحكومة واحدة ، هى حكومة الخلافة الإسلامية ، ونظام واحد هو نظام الإسلام العظيم ، والإسـلام نظـام كامل للحياة ، وهو منهج السماء ، منهج القرآن الكريم ، دين تشمله موازنة دقيقة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وهو رسالة الله إلى البشرية كافة ،

وإلى الناس جميعاً : « يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً »(١) ، « ليكون للعالمين نذيراً »(٢) ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »(٣) .

— ٣ —

ويقول محمد أسد النمساوى عن الإسلام : إنه بشطريه الروحى والاجتماعى — رغم ما يبدو من الوهن الذى أصاب المسلمين — ما يزال أعظم قوة دافعة عرفتها البشرية على الإطلاق .

ويقول سير هاملتون الإنجليزى : لست بحاجة إلى الحديث عن الأخوة الشاملة العالمية بين بنى البشر جميعاً كما قررها الإسلام ، فهى حقيقة ثابتة مسلم بها إذ لا فرق بين سيد ومسود ، ولا بين مالك وأجير ، أو غنى وفقير ، الكل فى الإسلام سواسية .

ويقول راسل وب الأمريكى : الإسلام دعوة إلى الأخوة العالمية ، وإلى المحبة بين العالمين جميعاً ، وإلى الخير للناس كافة ، وهو أقدر الأديان التى عرفتها البشرية على السمو بها .

ويقول محمد أمان هويوهم الألمانى : الإسلام لا يدانيه فى كماله أى نظام آخر .

ويقول الدكتور عمر رولف بارون اهرنفيلز النمسوى : يؤكد الإسلام روح الأخوة الإنسانية الشاملة بين الناس جميعاً ، مهما تباينت سلالاتهم أو طوائفهم ، أخوة لا تنال منها الفوارق على الإطلاق .

ويقول روتويك الأمريكى الشاعر والناقد : لقد كان ضمن الدوافع التى قادتنى إلى الإيمان بالإسلام هذه الأخوة العالمية الشاملة فى الإسلام ، بغض النظر عن اختلاف العنصر أو المذهب السياسى أو اللون أو الإقليم .

ويقول ر . ل . ملا الهولندى ، العالم والأديب : إن مبدأ الأخوة فى الإسلام يمتد ليشمل البشرية عامة ، بغير اعتبار للون أو جنس أو عقيدة ، وينفرد الإسلام بين كل الأديان فى أنه الوحيد الذى طبق هذا المبدأ عملياً .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ (٢) سورة الفرقان ، الآية ١

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧

ويقول محمد سليمان تاكيوتشى اليابانى : الأخوة فى الإسلام لا تعترف بفوارق أوحواجز من موطن أو عشيرة أو سلالة ، ولكنها تجمع بين سائر المسلمين فى جميع أنحاء الدنيا .

ويقول جونار إريكسون السويدى : إن ما أعجبنى فى الإسلام هو عالميته ، والإسلام يأمرنا بأن نؤمن بجميع الرسل على السواء .

فهل نقول أكثر مما قال هؤلاء المفكرون والكتاب والأدباء والعلماء فى عالمية الإسلام .

وبحق إنه دين عالمى ، دين الإنسانية جميعاً ، دين الدنيا كلها ، دين البشر كافة ، دين الأمم والشعوب ، دين كل زمان ومكان .

الاسلام .. وما بعد القرن العشرين

— ١ —

المذاهب الغربية الحديثة ، من علمانية ووجودية وعبثية وماركسية وغيرها ، تقف ضد الدين عامة ، وضد الإسلام خاصة .. تقف منه موقف العداء والخصومة والحرب بلا هوادة .

من قبل احتل الاستعمار الغربى العالم الإسلامى وقسمه بين الدول الأوربية الكبرى والصغرى على السواء غنيمة باردة يأكلونها فى لذة ونشوة ، وعمل عصر التبشير والاستشراق والغزو الفكرى عمله فى إفساد عقل الإنسان المسلم وحشوه بالأفكار الزائفة ، والنظريات الفارغة ، والأكاذيب الملفقة عن الإسلام وتاريخه وعلمائه وثقافات الإسلام من علوم وفنون وآداب .

واليوم تعرف الإنسانية طريقها إلى الإسلام ، بعد أن ضلت الطريق إليه قروناً كثيرة ، فالإسلام هو دين القرن العشرين ، وما بعد القرن العشرين من قرون مديدة طويلة بإذن الله .

— ٢ —

الإسلام وحده ضرورة حتمية ، لاستعادة الإنسان لسعادته ورفاهيته وحقوقه وكرامته وإنسانيته .

إنه هو وحده الحل الحتمى لمشكلات الحياة والحضارة ، ولأزمات الإنسان المعاصر فى عالم اليوم .. فهو وحده القادر على صنع الحياة ، وصنع المعجزات فى حياة البشر ؛ وهو وحده الذى يستطيع الصمود والبناء والتجديد والتطور فى الأرض ؛ فكل المذاهب والعقائد الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والفكرية المعاصرة ، تحيل الإنسان إلى حطام متداع منهار ، ولا تخلق منه إنساناً شريفاً عاملا بناء أبداً .

العالم يريد إنسان القرن العشرين وما بعد القرن العشرين ، إنساناً كاملا تحلم به الفلاسفة ، ويتصوره الشعراء فى أخيلتهم الجميلة إنساناً سامياً قوياً عزيزاً ، عظيم النفس ، كبير الطموح ، كثير السعى فى الحياة لخير الناس والإنسانية . ويريد الإنسان الجديد إنسان الصفاء والنقاء ، إنسان التجديد والبناء ، إنسان الحرية والمساواة والإخاء .

— ٣ —

إنسان القرن العشرين يسعى إلى وحدة العالم كله ، أممه وجماعاته ، ولقد سبق الإسلام ، فصاغ فى وحدة رائعة كل شعوب العالم فى العصور الوسطى ؛ وأخذ بيدها إلى حيث القوة والتقدم والمدنية والحضارة والمساواة .. ولو أن الإنسانية آمنت كلها بالإسلام لعادت إلى الوحدة الشاملة ، والحكومة الإسلامية الواحدة والعاملة والعالمية ، ولقادت العالم إلى سفينة النجاة والأمان والطمأنينة .

وإنسان العصر يريد العقيدة الواضحة البسيطة السمحة ، التى لا تضع القيود والأغلال فى عنق الإنسان ، والتى لا تحد من نشاطه وطموحه وأمله . والإسلام هو من أعظم الأديان ، التى تعطى للفرد حرية الانطلاق إلى آفاق أرحب ، وحدود أبعد ، لا يستطيع الوصول إليها بدونه إنسان ، وهو دين البساطة والفطرة والحق والعدل والحرية والمساواة والإخاء .

وإنسان العصر يشمئز لمآسى التفرقة العنصرية وينكرها ، ولو قد اعتنق الإسلام لقضى على هذه التفرقة العنصرية قضاء مبرماً دون أى جهد ، وأية مشقة .

وإنسان العصر يريد القضاء على الفقر والعوز والحاجة ، وهو يقف اليوم عاجزاً عن الوصول إلى هذا الهدف .. ولقد سبق الإسلام ، فحارب الفقر بمنطقه الواضح العادل الإنسانى ، دون إثارة لحروب الطبقات ، التى تثيرها اليوم بعض المذاهب . ولو أن إنسان القرن العشرين اهتدى بنور الإسلام لحل جميع مشكلات الحياة الاقتصادية ، ولتغلب على كل مشكلات الفقر فى مجتمعاتنا ، ولأذاع الرخاء فى العالم بين كل الناس والدول والشعوب .

وإنسان العصر يقف اليوم عاجزاً حيال مشكلة صغيرة ، مثل مشكلة الأمية المنتشرة فى العالم .. ولقد صنع الإسلام المعجزة ، فقضى على مشكلة الأمية بالعلم

فريضة ، وبالمعرفة طريقاً للحياة .. الرجال والنساء ، الصغار والكبار ، على السواء ولو قد آمن العالم بالإسلام لحل مشكلات الجهل والأمية وما يستتبعانه من أمور ؟

وإنسان العصر يقف حائراً عاجزاً أمام مشكلات الحياة والحضارة والاقتصاد لا يجد قلبه سبيلا إلى الأمن والطمأنينة والهدوء الروحى ؛ ولقد جاء الإسلام فمنح الإنسان طمأنينته وهدوءه والصفاء الروحى الذى ينشده .. ولو أن الإنسانية آمنت اليوم بالإسلام ، وطبقت شريعته لحلت أمامها كل مشكلات الحضارة وأزماتها الخانقة .

إن الإنسانية سائرة بخطى واسعة نحو الإسلام ، لأنه الحل الوحيد أمامها لجميع أزمات الحضارة .

الإسلام دين العصر ، ودين النور ، لأنه دين الحق ، ودين الإنسان الذى يحمل راية السلام ، ودين الرحمة والحب والوئام والألفة .

إنه هو دين السلام .

الانسانية تعود الى الاسلام

- ١ -

سيطر الفكر الغربى العلمانى والإلحادى والوجودى والماركسى على العقل الأوربى سيطرة شديدة ، وحورب الدين حرباً شعواء ، ونظرت إليه المذاهب المعتدلة على أنه تراث يأخذون منه حيناً ويرفضونه حيناً آخر ، واعتبرته المذاهب الأخرى خرافة وأسطورة ، ونظرت إليه الماركسية على أنه عبث لايمكن قبوله ، وهكذا جوبه الدين من العقل الغربى مجابهة شديدة ، وتجاوز هذا العقل تراث العصر المسيحى إلى تراث اليونان والرومان ، واعتبرت الآداب اليونانية واللاتينية هى المنجم الذهبى الذى يرجع إليه أدباء عصر النهضة ، وعادى الكتاب والمفكرون والعلماء والأدباء والشعراء الفكر الدينى عداء شديداً .

وحين سيطرت العبثية فى منتصف القرن العشرين انهالت على الشعور الدينى بالنقد والعداء ، ومن قبل أعلنت المدرسة الجمالية عدم الالتزام بقيم المجتمع الخلقية والدينية ، وهى فلسفة منذ القرن التاسع عشر حتى قال أوسكار وايلد : (ليس ثمة كتاب يوصف باللاأخلاقى) . بينما صرح أندريه مالرو فى كتابه (إغراء الغرب) عام ١٩٢٥ بأنه (فى اللب من الإنسان الأوربى عبثية جوهرية تسيطر على اللحظات الكبرى فى حياته) .

ومسرحيات اللامعقول تعبر — كما يقول الدكتور أكرم العمرى فى كتابه (التراث والمعاصرة) — عن خيبة الأمل ، وضياع اليقين ، وتظهر انعدام روح الدين ، وضياع المثل ، وهو فكر عام يميز هذه المرحلة من تاريخ الحضارة الغربية فى النصف الأول من القرن العشرين .. وقد جعل الكتاب المسرح مركز تجمع لصراع الخيال البشرى الدائم ضد الروح الدينى . وعانت الحضارة الغربية بسبب ذلك كله الأهوال بسبب الخواء الروحى والإفلاس الخلقى ، مما يعرضها للسقوط ، ولقد عبر عن ذلك كولن ويلسون بوضوح فى كتابيه (اللامنتمى) ،

و (سقوط الحضارة) ، وأخذت الآداب الأوربية تعيش مع الأساطير اليونانية وتستمد منها ، ترجع إليها متجاوزة فكر العصور الوسطى بفلسفتها المسيحية ؛ وقيم الحياة اليونانية والرومانية بما تحمله من عنصرية وصراع وحب للقوة وانغماس فى الشهوة والمادة ، صارت بحركة الإحياء سمتاً للحضارة الغربية المعاصرة ، والتى لم تعد النصرانية فيها أكثر من صبغة باهتة أمام الألوان الناصعة للمادية الإلحادية المهيمنة .

ومن هنا نرى من يمجد العصر اليونانى القديم من أمثال : الشاعر الإنجليزى بايرون ، والشاعر الألمانى هلدرلن ، والفيلسوف الألمانى نيتشه .

كل ذلك كان مثار نقد من بعض المفكرين الغربيين المنصفين ، فنرى (كولن ويلسون) صاحب (اللامنتمى) يتوجس خيفة من حضارة العصر التى يحياها الغرب والعالم معه ، والتى هى سبب لكل ما يلاقيه الإنسان المعاصر من شرور ، لما طبعت عليه الحياة الغربية من فساد وترف وانحلال . . ونرى طبيباً كبيراً هو (ألبرت شفيتزر) يرحل إلى إفريقيا هرباً من الحضارة الغربية المعاصرة وما جرته على الإنسان من قلق وتوتر واضطراب وعدم استقرار .

ويتنبأ المؤرخ الإنجليزى توينبى بانهيار حضارة الغرب المعاصرة ، كما انهارت حضارة روما ، وكولن ويلسون يرى أن عالم اليوم يمر بنفس الظروف التى مرت بها حضارة الرومان عندما انهارت أثناء انتشار المسيحية .. ويقول مفكر غربى : إنه ليس بالبعيد أن نقف على أطلال عواصم الغرب الكبرى نبكيها كما وقف الإنسان القديم على أطلال المدن الكبرى القديمة باكياً حزيناً .

ويجىء جارودى المفكر الفرنسى ليعلن سقوط الحضارة الغربية وحتمية الرجوع إلى الإسلام وحضارته الخالدة .

— ٢ —

ولقد ورث الإسلام حضارات العالم القديم ثم نهبت أوربا مواريث الحضارة الإسلامية ، وها نحن أولاء اليوم نعيش لنرى فى القريب سقوط الحضارة الغربية وسيطرة حضارات الإسلام على العالم الجديد .

إن مفكرى الغرب وعلماءه يقبلون على الإسلام ، ويدخلون فيه ، ويعتنقون مبادئه وشريعته ، لأنه الدين الأمثل ، والشريعة السمحة ، والعقيدة الإنسانية الشريفة ، التى تلائم العقل ، وتوائم الفطرة ، وتتمشى مع الحياة وتعمل على نشر السعادة والرفاهية والسلام والإخاء بين بنى البشر كافة .

لقد كانت حضارة الغرب قبساً من نور حضارة الإسلام ، ثم انحرفت إلى حيث فوضى المال والجنس والترف والاستبداد والطغيان وروح الاستعمار ، وجنون الإلحاد والكفر بالدين .

يقول (غوستاف لوبون) : العرب كانوا هم الممدنين للغرب ، وأئمة له فى ستة قرون ، وعن طريقهم اهتدت أوربا إلى تراث الإغريق وكشفت عن ماضيها .

ويقول شاعر الإسلام محمد إقبال : مثلت حضارة الغرب دورها ، وقد شاخت وهرمت ، أينعت كالفاكهة وحان قطافها ، وسوف ينهار العالم الذى حوله مقامرو الغرب إلى حانة من الفساد . ولقد رأت أوربا بعينيها النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والأخلاقية والعلمية ، ولسوف تتمخض الإنسانية عن عالم جديد وهذا العالم لا يحسن تصميمه إلا من بنى للبشرية البيت الحرام ، وورث إبراهيم ومحمداً قيادة العالم .

إن الإنسانية لابد أن تعود إلى الإسلام ، فهو الحل الحتمى لإنقاذ البشرية ، ولإنقاذ الحضارة ، ولإنقاذ الإنسان .

العقيدة والشريعة

— ١ —

الإسلام العظيم ، ديننا الخالد ، دين الإنسانية كلها ، دين الخير والرحمة والأمانة والوفاء ؛ عقيدة يؤمن بها المسلم ، وشريعة عمل يلتزم بها فى سلوكه وحياته وفى كل لحظة من لحظات عمره :

إنه عقيدة وعمل وفق الشريعة .

إنه إيمان وسلوك على طريق الإيمان .

إنه أيديولوجية كاملة بانية متسامية ، لا يفصل فيها العمل عن العقيدة ، ولا العقيدة عن العمل .

إنه السمو بالإنسان روحاً وبدناً ، قلباً وجارحة ، نفساً وسلوكاً .. إنه طهارة الروح وطهارة الجسم ، وطهارة الخلق ، وطهارة العرض ، وطهارة الشرف .

والإسلام ليس قولا فحسب ، بل قول وفعل ، وليس غاية فحسب ، بل هو غاية وعمل وسلوك من أجل الوصول إلى الغاية ...

الغاية هى رضاء الله ، وهى خلافة الله فى الأرض ، وهى إدراك أعلى الدرجات عند الله فى الدنيا والآخرة .

والعمل هو كل ما يوصل الإنسان لبلوغ هذه الغاية من عمل وسلوك وآداب وأخلاق وفضائل وقول ونية وعزيمة صادقة مخلصة لله رب العالمين .

— ٢ —

الإسلام فى عقيدته توحيد خالص ، لا شرك فيه ، إيمان كامل لا تشوبه شائبة من رياء أو زيف ؛ وهو فى شريعته عبادات وطاعات ورسوم وفرائض ، وحدود وسلوك وأخلاق وآداب ومثل عالية شريفة ، يعمل بها ولها المسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

المسلم هو مثل عال للأمانة والرحمة والخير والحق والعدل والإحسان والصدق والوفاء ، وأداء الحقوق ، والالتزام بالمسئولية هو الضوء الباهر فى ظلمات الحياة ، هو العزم المتجدد إذا ما وهنت عزائم الرجال ، وانطفأ مصباح الأمل .

المسلم صادق أمين ، وفىّ أبىّ ، شريف عفيف ، كريم رحيم ، قوى فى الحق ، إنسان فى نوائب المعروف .. وقد وصف الله عز وجل رسوله الكريم والمؤمنين من أصحابه فقال عز وجل : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود »[1] .

عزة النفس ، والقوة فى الحق ، والرحمة الخيرة ، والإخلاص لله وطلب عونه ومرضاته ، والعبادة التامة الكاملة لله رب العالمين .. صفات ما أجلها وأكرمها فى حلقة العقيدة والشريعة .

— ٣ —

ونحن المسلمين ، وفينا القرآن الكريم ، وتعاليم سيد المرسلين .. هل ينقصنا منهج كامل للعمل والحياة ؟ هل تنقصنا تعاليم ترشدنا إلى خير الدنيا والآخرة ؟ هل ينقصنا نور يضىء لنا الطريق ؟

كلا .. كلا ..

إن معنا هدى القرآن الكريم ، ومعنا كل تعاليم وحى السماء ، ومعنا الحق المبين ، والخير العميم ، ومعنا ما يبلغنا شرف الدنيا والآخرة ، ومعنا دعوة التوحيد ، ورسالة الإيمان ، وعقيدة الطهر ، وشريعة العمل .

معنا .. معنا ..

فحى على العمل .. حى على الفلاح .

---

(١) سورة الفتح ، من الآية ٢٩

الأمل المتجدد

– ١ –

فى إحصائيات كثيرة وجد أن المنتحرين ٩٩٪ منهم غير متدينين ، وأن المسلمين من بينهم لا يمثلون ٠٫٠٠١ فى الألف .

فغير المتدينين يسودهم الحزن والقلق والاضطراب النفسى ، وليس عندهم حصانة ، روحية ضد الهموم، وسرعان ما يخرون صرعى فى الأحداث والخطوب المفاجئة .

والمتدينون من غير المسلمين ليس فى أديانهم من القوة والمناعة وسد مطالب الروح ما يجده المسلم فى الإسلام العظيم .

فالإسلام يحارب دائماً اليأس ، وفى كتاب الله عز وجل على لسان يعقوب فى حديثه لبنيه : « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون »[1] .

– ٢ –

وطبيعة الإنسان الجزع عند نزول خطب ، أو وقوع داهية : « إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً »[2] .

وفى السيارات ما يخفف من أثر الاصطدام ، عند الاحتكاك بسيارة أخرى ؛ وكذلك يمثل الإسلام المقاومة الكاملة الدائمة لليأس والجزع والفزع فى الخطوب والأحداث والشدائد ، لأنه يدفع المؤمن إلى الثقة بفضل الله ورحمته وعونه ورعايته وإلى الإيمان بأن العسر سيعقبه يسر « فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً[3] »

وفى كتاب الله عز وجل : « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون »[4] .

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٧ (٢) سورة المعارج ، الآيات ١٩ – ٢١

(١) سورة الشرح ، الآيتان ٥ و ٦ (٢) سورة النمل ، الآية ٦٢

إن المسلم دائماً يعتقد أن كل شيء بيد الله ، وأن الشر والخير بإرادته ، وأنه لا مانع لما أراد الله ، ولا راد لما قضى الله ؛ وأنه لا يحرم الإنسان من نعمة الأمل ، ولا يؤيسه من وقوع الفرج ، ولا يدفع به إلى القنوط أبداً .. فلا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون .

– ٣ –

إن الأمل المتجدد فى نفس الإنسان هو خط الأمان له فى الأحداث والشدائد وهو طريقة السوىّ إلى الغاية التى يريد بلوغها ، وهو الرحمة المهداة ، والنور الذى يرشده إلى أخطار الحياة ، ويدفع به إلى الثقة بالنجاة .

الأمل المتجدد فى نفس المسلم وفى روحه هو دائماً الشعلة التى تضىء له السبيل والعزم الذى يدفعه إلى القيام بعد الكبوة ، والعمل من جديد بعد فقدان الأمل .

وهكذا يجدد الإسلام فى نفوس المؤمنين العزيمة الصادقة ، والإرادة القوية الصلبة التى تتكسر الأحداث عليها ، ويعود بعد الأحداث قوياً عزيزاً عاملا مشمراً عن ساعد الجد ، مندفعاً بروح الإقدام إلى إعادة البناء ، والثقة بفرج السماء .

سلام على العالمين

سلام .. بكل ما يتضمنه معنى السلام من أمن ورفاهية وإبداع وحرية وطمأنينة ، وحب وفضيلة وإيمان .

سلام على العالمين .. بكل أجناسهم وألوانهم وأممهم وشعوبهم وألسنتهم ومجتمعاتهم ..

سلام على العالمين .. شعار كريم ، ويا له من شعار .. شعار يدعو إلى ازدهار الحضارة ، وتقدم الحياة ، ورخاء الشعوب ، وإلى منع الحروب والمؤامرات ، والدسائس والفتن ، وإلى الاعتراف بحق الإنسان فى أى مكان ولد أو وجد فيه ويدعو إلى التعاون وتبادل المنافع والمتاجر ، وإلى المساواة والإخاء ، وكل فضائل الإنسان والحياة والحضارة .. وإلى الكف عن صنع أسلحة التدمير الفتاكة المهلكة للحرث والنسل وللحياة كافة .

سلام على العالمين .. إنه شعار الإسلام العظيم ؛ شعار فرضه الإسلام وطبقه، وجعله حقيقة من الحقائق المسلمة التى لا تحتمل جدلا ؛ وبه بلغت الحضارة الإسلامية ذروة ازدهارها فى عصور سالفة ماضية .

سلام على العالمين .. شعار يؤمن بواجب تعزيز العلاقات الإنسانية والدولية والروحية بين الدول ، ويؤمن بنشر الإيمان والتوحيد وفضائل الإنسان فى كل مكان ، ويؤمن بالعلم والمعرفة وبنشرهما فى كل مكان وزمان ، ويؤمن بحقوق الإنسان وبكرامته وبصيانة روحه وماله وعرضه ؛ من كل جنس ولون ولسان؛ ويؤمن بمساعدة الفقراء والشعوب النامية الفقيرة ، وبخاصة شعوب الإسلام .

سلام على العالمين هو شعار الإسلام ، الشعار الذى دعا إليه القرآن الكريم ، منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .. القرآن الكريم المنزل من السماء ، الذى يؤكد إجماع الأديان السماوية على الدعوة إلى الإيمان والتوحيد : « شرع لكم من الدين

ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه »(١) .

والذى يقول فى محكم آياته : « وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم »(٢) .

والذى يقـول موجهاً لرسـوله الكريم ولمن آمن به فى خطـاب المشركين الجاحدين : « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا : لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم ، لا نبتغى الجاهلين » .

سلام على العالمين .. شعار الإسلام فى كل عصر وكل مكان وكل زمان .. إنه شعار المسلمين بالأمس ، وشعارهم اليوم وغداً .. ينادون بالسلام .. لأنفسهم وللعالم كافة ..

يدعون إلى أن تكف الدول الملحدة عن حربها للإسلام وللمسلمين ، هـذه الحرب المعلنـة والخفية ، الحرب التى تلوث أيديها وأيدى أشياعها ممن ينفذون مشيئتها .

الإسلام دين سلام ، فلماذا تخافون منه ؟ أولى بكم أن تخافوا كل الخوف من الشعوب الوثنية ، من دعاة الشيوعية والصهيونية العالمية ، من دعاة الإلحـــاد والعقلانية الجاهلة المغرورة .

لا تخافوا من الإسلام .. إنه دين سلام ، دين أمانة ، وحق وواجب وفضيلة دين الإيمان والتوحيد ، دين الخير والبر .

سلام على العالمين .. هـذا الشعار الإسـلامى قاد العالم فى أكثر مجموعاته إلى وحدة حقيقية ، وحدة انتفت بينها المنافسة والتوتر والحرب ، والاستعداد للحرب ونعم الناس بالرفاهية والأمن والسلام .

بينما تحاول أوربا جاهدة أن تقيم بينها وحدة اقتصادية كاملة فى عام ١٩٩٢ م بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة من صنيع الإسلام .

الإسلام .. أيها الناس .. دين العالم.. دين الشعوب.. دينالتقدم .. دين العصر.

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١٣ (٢) سورة الشورى ، الآية ١٥

وجدان المسلم

الوجدان هو أعماق الشعور ، هو مخزون المشاعر ، هو أرق عواطف الإنسان هو السعادة والإحساس بجمال الحياة وجمال الفضيلة وجمال الكون .

ووجدان المسلم هو أنبل عواطفه ، وأرق أحاسيسه ، وأسمى مشاعره ؛ هو شيء فى رقة الزهر ، وجمال الفجر ، وشذى العطر .

هو الضمير الحى ، والروح المطمئنة، والنفس الراضية ، هو السعادة الكاملة التى ترفرف بأجنحتها البيضاء على كل آفاق الإنسان وتفكيره وروحه .

ووجدان المسلم هو الإنسانية النبيلة المهذبة الرفيعة ، الساعية إلى خير الدنيا والآخرة .. هو الألم والأمل ، الألم لعذاب المعذبين ، وأنين الثكلى ، وصوت المحرومين ، والأمل فى سعادة شاملة تعم الناس جميعاً ، وفى سلام شامل يجمع البشر كلهم على كلمة سواء من الحب والتعاون والرغبة الصادقة فى نشر الرفاهية على الأرض .

وجدان المسلم يتمثل لك فى دموع الشوق الروحى لرضاء الله ، ودموع الحزن الشديد كلما ألم الإنسان بمعصية أو فكر فيها .

وهذا الوجدان هو الذخيرة ، التى تقى الإنسان عذاب الدنيا والآخرة ، والسلاح الذى يدافع به عن نفسه عذاب الحياة وأشرار الحياة ولنقرأ قوله تعالى :

« وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين * الذين ينفقون فى السراء والضراء، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ونعم أجر العاملين » [1].

---

(٢) سورة آل عمران ، الآيات ١٣٣ – ١٣٧

هذا الوجدان الرقيق ، الذى يشعر بالذنب ويحاسب النفس عليه ، والذى يحفز صاحبه على عمل الخير ، وصنع المعروف ، والعفو عن المسيء .. هو ضمير المسلم ، هو الدين الكامن فى أعماق نفسه ، هو ثمرة الإيمان العميق الذى امتزج بكل ذرة من ذرات النفس والروح والبدن .. هو المسيطر على كل شيء فى الإنسان ، هو الآمر الناهى والحاكم على كل عمل يعمله .

وجدان المسلم يدفعه إلى العمل الصالح ، إلى حب الخير ، إلى صنع المعروف إلى الانتماء الحقيقى لله ، إلى الالتزام الكامل بأحكام الشريعة ، إلى طهارة الروح والبدن ، إلى مراقبة الله عز وجل فى السر والعلن ، مراقبة دقيقة تتطلب المزيد من صنع الخير وإسداء المعروف والبر بالناس وبالفقراء والمحرومين .

وجدان المسلم قطعة من روحه ، إنه الذى يملؤه سعادة ، وفرحاً حينما يقدم عملا نافعاً ، أو معونة شريفة لإنسان محتاج .

إن الإسلام يملأ وجدان المسلم بالأشواق الروحية الصادقة السامية الداعية إلى حب الفضيلة ، والمحافظة على الأمانة ، والوفاء بالعهد ، والوقوف عند الوعد ، والعطف على اليتامى والمساكين والفقراء والمحرومين .

الإسلام يغذى عاطفة الخير فى الإنسان المسلم ، ويدفعه إلى كل عمل نافع ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وهنيئاً للعاملين ، وبشرى للأوفياء بعهد الله والناس .

الضمير الديني

الضمير الديني هو الذي يقف دائماً حائلا بين الإنسان والشر ، وهو الذي يدفعه دائماً إلى عمل الخير ، وإلى احترام الغير ، وإلى رعاية الضعيف والفقير والمسكين ، وإلى مساعدة كل محتاج ، والمحافظة على كرامة كل إنسان وعلى حقوقه كاملة .

هو الذي يذكر الإنسان دائماً بربه ، ويشعره بأنه مسئول عن كل عمل يعمله وعن كل هم يهم به ؛ وهو الذي يدفعه على الدوام إلى الصراط المستقيم ، وينأى به عن سبل الشيطان .. وفي إيجاز شديد هو الرقيب على الإنسان يسأله دائماً : هل أديت حقوق الله والناس ، وإذا هم بمعصية حذره وزجره ، وإذا هم بمعروف حضه عليه ، ودفعه إليه .

الضمير الديني هو الذي وقف حائلا بين يوسف والمعصية ، فهو برهان الله الذي حدثنا عنه القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه كان من عبادنا المخلصين »[1] .

الضمير الديني هو الذي دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يقول لعمه وقد عرضت قريش على محمد صلى الله عليه وسلم الملك والمال والجاه والشرف والسيادة والعزة والأمر المطاع : (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته) .

الضمير الديني هو الذي يذكر الإنسان دائماً بربه ويجعله يشعر بقدرة الله عليه ، فينأى عن المعصية ، ويقوده إلى رحاب الطاعة ، كما قال تعالى : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٤

من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين »[١] .

ومن أجل ذلك نوّه الله عز وجل بالذاكرين الله كثيراً ، وليس الذكر هو ترداد اسم الله باللسان فحسب ؛ إنما هو استحضاره وعظمته وقدرته فى القلب ؛ يقول الله عز وجل : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون »[٢] .

وكما نوّه الله عز وجل بالمسلمين والمؤمنين والقانتين والصادقين والصابرين والخاشعين والمتصدقين والصائمين والحافظين فروجهم ، نوّه بالذاكرين الله كثيراً ، فقال : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً »[٣] .

ومن أجل ذلك عاتب الله رسوله فقال : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه »[٤] .. وقال الله تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشون »[٥] ، وقال عز وجل لصحابة رسول الله : « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين »[٦] .

إن الذى ينقصنا فى حاضرنا اليوم كمسلمين وكعرب هو الضمير الدينى ، فهو الذى يحول بين الإنسان والخيانة والجشع والعدوان والشر والمعصية ، ولوكان الضمير الدينى يقظاً فى نفوسنا لما رأينا المآسى المفزعة تقع فى مجتمعاتنا وبيوتنا ، ولما رأينا الحوادث المفجعة المذهلة تحدث فى وسطنا ونقف حيالها فزعين ..

ومن أجل ذلك فإن تربية الضمير الدينى فى نفس كل إنسان ضرورة قومية ووطنية وإنسانية ، وهى تكون فى المقام الأول من اهتمام الحكومات والأمم والشعوب ، وهذه التربية تأتى عن طريق البيت والكتاب والمدرسة والصحيفة ، والمجلة والسينما والإذاعة والتليفزيون ، وعن طريق المجتمع ، وعن طريق القدوة ، وعن كل طريق ممكن .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان ١٣٥ و ١٣٦

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٠

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٣٥

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧

(٥) سورة المائدة ، الآية ٤٤

(٦) سورة آل عمران ، الآية ١٧٥

وبدون هذه التربية للفرد سوف تذهب جهودنا بدداً ، وتضيع هباء ..

ولقد حاولت الإنسانية على مر العصور الاستغناء عن الضمير الدينى بغيره من الأشياء ، ففشلت .

حاولت الاستغناء بالعقل ، وبالفلسفة ، وبالمصلحة ، وباسم الأخلاق ، وباسم الإنسانية ، وبكل وسيلة .. ففشلت .

لابد إذن أيها الناس من تربية الضمير الدينى فى نفس كل طفل ، وكل شاب وكل رجل ، وكل امرأة ، وكل عامل ، وكل صانع وتاجر وزارع وموظف ، وكل مسئول ، وكل حاكم ، ليحكم بما أمر الله ، ويسير بالعدل بين الناس ، رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته) .

فى الغرب يصطلح الناس على أسس المعاملة بين الناس يلتزمون بها من الصدق والأمانة والوفاء بالعهد ، وترك الغش والخيانة والغدر والطمع .. وفى الشرق ترك الناس قيم الإسلام ، وضعف فيهم الضمير الدينى ، فضاعت مساعينا من أجل البناء والتقدم والنهضة والازدهار .. ونصبح فى أمل لنقول : أما لهذا الليل من آخر؟

دعوة خير للانسانية

— ١ —

دعوة الإسلام دعوة خير للإنسانية جمعاء ، هكذا كان الإسلام وكانت دعوته حقاً .. إنها دعوة إلى الفوز والفلاح والرشاد وفضائل النفس الإنسانية ، دعوة ترتفع بالإنسان ولا تهبط به ، دعوة تجمع الصف ولا تفرقه ، دعوة تبنى دائماً وأبداً ولا تهدم بحال من الأحوال ؛ دعوة لعزة النفس لا لذلها ، دعوة للكرامة الإنسانية ولحقوق الإنسان لا للضعف والمهانة والانتقاص من حقوق الفرد .

— ٢ —

وأمامنا المثل من تاريخ نبي الإسلام ، فتحت مكة ، وسقط حصن الشرك ، ومعقل الوثنية ، وفرّ حماة الأصنام إلى كل جهة ؛ خائفين مذعورين ، وكان ممن فرّ من مكة بعد الفتح صفوان بن أمية بن خلف ، حيث انطلق إلى جدة ليركب منها سفينة ، تحمله إلى اليمن ، ليعيش هناك ، بعيداً عن مكة وعما آل إليه أمر مكة يومئذ .

وجاء عمير بن وهب بن خلف إلى رسول الله يقول له ! يا رسول الله ، إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ، ليركب البحر إلى اليمن فراراً وذعراً ، فهلا أمنته !! فإنك قد أمنت الأحمر والأسود ، فأمنه يا رسول الله .

وصفحات صفوان مملوءة بالشرك وتعذيب المسلمين .

وكانت إجابة رسول الله لعمير ! هو آمن . ورد عمير ! يا رسول الله ، فأعطنى آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله عمامته التى دخل بها مكة ، فخرج عمير إلى جدة حيث صفوان بها ينتظر سفينة تحمله إلى اليمن .

وقال عمير لصفوان : ياصفوان ، فداك أبي وأمى ، الله فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله ، قد جئتك به .

ويرد عليه صفوان : ويحك ، دعنى ، اغرب عنى ، فلا تكلمنى ، فيقول له عمير : أى صفوان ، فداك أبى وأمى . . لقد أمنك محمد ، وهو أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك . . عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك .. عد معى إلى مكة .

ويرد صفوان : إنى أخافه على نفسى .

ويقول له عمير : هو أحلم من ذاك وأكرم .

فيعود صفوان مع عمير إلى مكة ، فلما قدما مكة ، ذاهبا إلى المسجد الحرام ورسول الله به ، فوقف عليه صفوان ، ومعه عمير ، ورفع صفوان صوته ! يا محمد ، إن هذا — عمير — يزعم أنك أمنتنى ، فإن رضيت أقمت ودخلت فى دينك ، وإلا خرجت فى مدة شهرين لا أتجاوزهما .

فيرد عليه رسول الله : أنزل أبا وهب .

ويقول صفوان : إلا والله حتى تبين لى .

فيقول رسول الله : لك أربعة أشهر .

وبعد قليل خرج رسول الله إلى حنين فى شوال من العام الثامن للهجرة ، ورسول الله محتاج إلى سلاح ، وبعض الصحابة أخبره أن لدى صفوان سلاحاً كثيراً ، فبعث رسول الله إليه ، وصفوان ما يزال على شركه ، فقال له الرسول : يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً .

ويرد صفوان : أغصباً يا محمد ؟

فيقول له الرسول : بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك .

ويقول صفوان : ليس بهذا بأس .

وأعطى صفوان رسول الله مائة درع وما يكفيها من السلاح .

وانتصر رسول الله فى حنين نصراً مؤزراً ، وعاد ومعه الغنائم ، ونظر صفوان إلى الوادى وهو مملوء غنماً ، فالتفت إليه رسول الله قائلا : أيعجبك هذا يا أبا وهب ؟

ويرد صفوان : نعم .

فقال له الرسول : هو لك .

فقال صفوان : ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبى ، وأعلن إسلامه يومئذ ، وهو يقول : أتيت محمداً فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الخلق إلى . .

ورد الرسول الأكرم السلاح الذى استعاره من صفوان ، ووفت ذمته ، وهكذا أسلم صفوان قبل أن تنتهى الأربعة الأشهر .

— ٣ —

هذا المثل دليل ما بعده من دليل على عظمة الرسول ، وجلال الدعوة المحمدية ، الدعوة المثلى ، الدعوة المضيئة ، الدعوة السلام ، إنها دعوة لخير العالم والشعوب والأجناس والطوائف والجماعات والأفراد .

دعوة سلام للإنسانية .

موازين عادلة

الإسلام موازين عادلة .

لا شيء يجور على غيره .

لا أحد يخرج عن ميزان العدالة .

لا صغير ولا كبير يمكن أن يدعى أنه فوق موازين السماء .

وكما رفع الله عز وجل السماء وضع الميزان، لاطغيان ولا عدوان، ولاخروج على منهج الله : « والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان »[1] .

ويقول الله عز وجل : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » .

عدالة كاملة ، عدالة الله فى الدنيا وفى الآخرة ، لا ظلم لأحد ، ولا جور على مخلوق .

والميزان رمز للعدالة ، ولذلك أكمل القرآن الكريم الحديث عن الميزان فقال : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » .

والميزان هو منهج السماء، فما فوقه عدوان على الإنسان، وما تحته ظلم للإنسان.

يجب أن يكون هناك ميزان فى معاملة المرء لنفسه ولزوجته ولأولاده ولأسرته ميزان فى معاملته للناس ، ميزان فى كل التزام ومسئولية تناط به ، فالميزان يرد الإنسان إلى العدالة ، يقول له : لا تظلم ولا تظلم .. وليس هناك ميزان أعدل من منهج السماء .. إنه الرحمة ، إنه العدالة ، إنه الحق ، إنه الواجب ، إنه المسئولية .. إنه الضمير الحى النقى الذى يخاف الله ويخشاه .

وكل شىء أقامه الله عز وجل بميزان ، السماء مرفوعة بلا عمد ، والأرض

---

(١) سورة الرحمن ، الآيات ٧ — ٩

مبسوطة بلا انتهاء ، والكون ممدود بلا نهاية ، لايدخل نجم فى مدار نجم آخر ، ولا يتجاوز كوكب مساره المحدود .

القوانين الإلهيـة كلها موازين ، وموازين عادلة ، سواء كانت هذه القوانين قوانين تشريعية أو كونية .

ووضوح الرؤية فى قانون السماء شيء لا يشك فيه إنسان ، لأن الإسلام نور لا ظلام .. إنه يحب النور ويكره الظلام ، يحب الصدق ويكره الكذب والالتواء والنفاق والرياء ، يحب الأمانة ويكره الخيانة ، يحب المروءة ويكره لؤم النفوس والطباع ، يحب الخير ويكره الشر فى كل صوره وألوانه ، يأمر بالتوحيد ، وينهى عن الشرك ، لأنه يقود إلى المتاهات والحيرة ..

الإسلام أمل لا يأس .. رحمة لا عذاب .. حب لا كراهية . . سلام لاحرب هدى لا ضلال .. مروءة وأريحية ، لاغلظة ولا عنجهية .

ومن الذى يحب الشر إلا الشيطان . كل فساد فى الحياة معناه الخروج على قوانين السماء .. كل وحشية فى الأرض معناها عدم الالتزام بمنهج القرآن .

الإسلام ميزان عدالة ، وقانون خير ، ومنهج بناء ، وأساس تقدم ورخاء .

وما أكرم الإسلام وقوانينه وموازينه العادلة المنصفة لكل من تظلهم السماء .

مبادىء واحدة

حكم المسلمون الدنيا ، وساسوا الشعوب ، ودخل تحت سلطانهم أجناس وأديان كثيرة ، فهل فرقوا فى العدالة بين مسلم وغير مسلم ؟ هل استباحوا أعراض غير المسلمين أو أموالهم أو دماءهم ؟ . . كلا . . كلا . .

إن مبادئ الإسلام ثابتة واحدة لا تتغير بتغير الناس ، ولا تتبدل بتبدل الألوان والمعتقدات . . لاحكم إلا حكم الله ، ولا شريعة إلا شريعته ، ولا سلطان لأحد على أحد إلا بأمره ، ولا امتياز لإنسان على إنسان إلا بالتقوى والعمل الصالح .

لم يعط الإسلام لأحد سلطاناً على أحد إلا بإذنه ، ولم يجعل شخصاً أو فئة أو جنساً أو شعباً فوق القانون ، وحتى يوم القيامة لم يعط لنبى أو رسول الشفاعة لأحد إلا بإذنه : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه »[1] .

شرب الخمر فى الإسلام مثلا لم يبحها الله عز وجل لساكنى أقاليم الشمال دون ساكنى أقاليم الجنوب ، والزنا لم يبحه الإسلام لمسلم فى الذميات مثلا .

أحكام واحدة ثابتة لا تتغير ، عدالة تامة ، إنصاف كامل ، وضوح ما بعده من وضوح ، وسلام عام للجميع ، وأمان مطلق لكل الناس ، الدماء والأعراض والأموال مصانة ، الظلم محرم على الناس ، الإحسان والرحمة شعار الدين ، والعبودية لله وحده ، فهى العز الأكبر ، والحرية المثلى ، سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت إذا صليت المكتوبات ، وصمت رمضان ، وأحللت الحلال ، وحرمت الحرام ، ولم أزد على ذلك شيئاً ، أدخل الجنة ؟ فقال صلوات الله عليه للرجل : نعم .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى حديث قدسى يرويه عن ربه ، تأكيداً لمعنى العدالة فى الإسلام : يقول الله عز وجل : (يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥

ومن أجل العدالة التامة فى الإسلام أمر عمر بن عبد العزيز بهدم مسجد لأنه بنى فى أرض غير مملوكة للدولة ، بل لواحد من عامة الشعب .

ومن أجل ذلك كله أقبل الناس على الدخول فى الإسلام من كل صوب وحدب ، حاكمين ومحكومين .

الملك البريطانى « أوفا » (٧٥٧ — ٧٩٦ م) الذى عاش فى عصر المنصور العباسى ، اعتنق الإسلام وسك نقوداً عليها شهادة التوحيد ، مع اسمه ، بتاريخ ٧٧٤ م أى ١٥٧ هـ (راجع المجلة العربية عدد ربيع الثانى ١٤٠٩ هـ — نوفمبر ١٩٨٨ م) .

وأرسل ملك إنجلترا فى عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله بناته إلى قرطبة ليتعلمن فى معاهدها ، فأنزلهنّ فى قصره ، وأشرف بنفسه على تعليمهن .

وأخذت الشعوب تدرس الإسلام وتفكر فى اعتناقه ، وطلب الملوك من الخلفاء علماء يشرحون لهم مبادئه .. والأمثلة على ذلك كثيرة .

الإسلام لا يمنح لأحد سلطاناً فوق سلطان القانون ، لا يرفع إنساناً إلى منزلة أعلى من منزلة الناس إلا بإذنه ومشيئته .

جلّ وعزّ ربى ..

وعظمت رسالة نزل بها الوحى على رسولنا الكريم فى حراء .

وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلا ، لا مبدل لكلماته .

يارب الأرض والسموات ، اشملنا بفضلك وعلمنا مالم نكن نعلم ، وأرشدنا إلى سواء السبيل .

القرآن أعظم سند لشريعة الحق

الحق هو الله عز وجل ، والحق هو كتابه الحكيم ، وهو شريعته الخاتمة ، وهو دينه الكامل ، وهو كل ما أمرنا به الله عز وجل ، وهو اليوم الآخر ،وهو الحساب ، والثواب أو العقاب فى الآخرة وهو الجنة أو النار فى يوم الفصل .

والحق هو قانون السماء ، وهو العدل ، وهو الميزان القسط ، وهو شريعة الإنصاف ، وهو كل مثل رفيع ، وسلوك شريف يأمرنا به الله جل جلاله .

ولقد نزل القرآن الكريم مؤيداً للحق منتصراً له ، مدافعاً عنه ، يعلن أنه لا شيء أرفع من الحق ، ولا شيء أعظم منه ، ولا صوت يعلو فوق صوته .

ووقف الإسلام مؤيداً للحق ، داعياً إليه فى شتى مظاهره ، لأنه الحق ، ولأنه شريعة الحق ، ولأنه دين السماء ، ولأن الحق منزل من الله الخالق العظيم ، ولأن فيه تكريماً للفرد وللجماعة وللأمة وللإنسانية ، ولأنه لاحياة للناس ولا للعالم بدون الحق والإسلام ولا أمان ولا خير بدون الحق .

أمر الإسلام الإنسان بالإيمان بالحق فى العقيدة ، فنهى عن الشرك والوثنية والكفر والضلال ، ونبذ التقليد ، وطالب بالرجوع إلى العقل والمنطق ، وناشد العقل أن يفكر فى الدين . وفى الخالق ، وفى السماء والأرض ، وفى كل مظاهر قدرة الله العلى العظيم ، رب القدرة فى هذا الكون العظيم ..

وأمر بالحق فى كل العبادات والطاعات والمعاملات والحقوق والواجبات والمسئوليات ؛ فأحل البيع وحرم الربا ، وأبطل الغش والزور والباطل والفحشاء وأكل أموال الناس بغير الحق ، وحرم الاعتداء على مال الغير وعرضه ونفسه، ونهى عن الجور والطغيان والفساد فى الأرض ، واحترام الملكية الفردية وحماها وأحاطها بسياج من الحرية والكرامة .

وقرر حق الإنسان الشخصى فى جميع أموره الشخصية من مأكل وملبس ومسكن ، وتكوين أسرة ، وغير ذلك .

ونادى بالسلام لا الحرب ، إلا للدفاع عن العقيدة أو الوطن أو النفس أو العرض أو المال ، ونادى بتحرير الأرقاء ، وضيق منافذ الرق ، وجعل تحرير الرقيق أشبه بالفريضة المفروضة .

وقدس حق الفقير والمسكين واليتيم والعامل والمرأة والطفل والمريض والعاجز وجعل التعلم فريضة والتعليم واجباً وحقاً للإنسان .

وشرع كل الحقوق العادلة للأمم ، وساوى بينهما فى الحقوق والواجبات وفى كل الالتزامات والمسئوليات ؛ ومنحها الحرية والعدالة ، وأمر الحاكم بالتزامها ، ولم يجعل له امتيازاً على غيره من المحكومين ، وجعل الحاكم العادل من الذين يشملهم الله برضائه وثوابه يوم القيامة .

الحقوق الشخصية والعامة مكفولة ومصانة فى الإسلام ، والتزام العمل بها فريضة على الناس كافة ، القوى والضعيف ، الغنى والفقير ، الكبير والصغير ، الحاكم والمحكوم ، كل الناس سواء عند الله وأمام القانون .

لقد أبطل الإسلام منطق القوة ، وأحل محله منطق الحق ، وجعل كل كرامة للحق وحده وإذا كان كل حق للإنسان لابد أن يقابله واجب مفروض عليه ، فقد حمل الإسلام الإنسان المسلم المسئولية ، وألزمه بها ، وفرضها عليه ، وهى أمانة فى عنقه يطالب لسببها أمام الله يوم القيامة .

إن القرآن الكريم أعظم سند للحق ، وأقوى قوة يستمد منها الحق قوته وقدسيته وروعته . وإذا كان الحق فى كثير من النظم الوضعية يستمد قوته من دساتير مكتوبة فإن الحق فى الإسلام يستمد جلاله وقوته من كتاب مقدس نزل به الوحى الأمين من السماء إلى الأرض ، من القرآن الكريم كتاب الله الحكيم ، الذى بلغه محمد صلوات الله عليه إلى الناس كافة .

إن الحق فى الإسلام هو القوة ، هو الخير ، هو السلام ، هو الأمان ، هو شريعة المجتمع الإسلامى كله .

والإسلام هو الحق ، الحق العظيم ، والعادل ؛ الحق الذى ينشر السعادة للناس كافة .. إنه دين الإنسانية فى أمسها وحاضرها وغدها ، وفى كل زمان ومكان ، وفى كل وقت وجيل .

وبالحق هدم الإسلام مدنيات الوثنية والطغيان والاستعباد وتمجيد القوة التى كانوا يعطونها كل مظاهر الحق وقدسيته ، ومنطق القوة لا يزال هو السائد فى الغرب ، وفى الحضارة الأوربية ، وفلسفة نيتشه وهيجل معروفة يتدارسها الناس .

وكان رسول الله صلوات الله عليه ، قبل البعثة النبوية ، قد اشترك فى (حلف الفضول) ، وهو أكرم حلف سمع الناس به ، وأشرف اجتماع على الحق عرفته العرب قبل الإسلام ، وقد دعا إليه الزبير بن عبد المطلب بعد أن ذاقت قريش من حرب الفجار وأهوالها ماذاقت طيلة أربع سنوات أصيبت فيها بالجدب والقحط ، فتحالفت قريش على ألا يجدوا مظلوماً إلا قاموا معه وأنصفوه وتم ذلك الحلف فى دار ابن جدعان ، وشهده الرسول شاباً ، وقال فيه : (لقد شهدت مع عمومتى حلفاً فى دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لى به حمر النعم ولو دعيت لمثله فى الإسلام لأجبت) .

ولما نزل القرآن الكريم فرض الحق فى جميع صوره على كل مسلم : من الأمانة والوفاء بالعهد ، والالتزام بالوعد ، والحرص على الصدق ، والنهى عن الظلم ، والأمر بالعدل أو التحريم للعدوان وللفساد وللباطل ، ولكل قبيح من الفحشاء .

وكان الحق هو الميزان ، « والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان »[1] .

وكان الميزان هو الحق ، وهو العدل ، وهو شريعة السماء ، وكان الله على كل شيء رقيباً .

(١) سورة الرحمن ، الآيتان ٧ و ٨

الاسلام ضمان لسعادة المجتمع

مبادئ الإسلام العظيم خير ضمان لسعادة المجتمع ، حقاً .. وهى خير معاون للحاكمين على سلامة المجتمع ، وسعادة الشعب ، ورفاهية الأمة .

فالإسلام الكريم يضمن حفظ الأمن ، بما أمر به من صيانة أموال الناس وأعراضهم ودمائهم ، وبما حرم من أكل أموال الناس بالباطل ، ومن الفساد فى الأرض ، ومن السرقة والغصب والزنا والقتل والنهب ، وشهادة الزور ، والغيبة والنميمة وسوى ذلك .

وفى حفظ الأمن الأمان الشامل للناس كافة ، وفى الأمان الاطمئنان والعدل والتكافل الاجتماعى ، وسلامة الفرد والمجتمع من كل انحراف .

ومع الأمان والاطمئنان العمل والإنتاج الذى هما أهم عناصر الرفاهية والرخاء والسعادة للناس كافة ؛ ولذلك يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذى خبث لايخرج إلا نكداً ، كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون »[1].

ويقول الله عز وجل فى موضع آخر من السورة نفسها : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون .. »[2] .

إن الرزق والرفاهية والخير ، مرتبطة بالإنتاج والإنتاج مرتبط بالأمان ، والأمان مرتبط بتعاليم الإسلام، وشريعة القرآن ، ورسالة السماء إلى محمد بن عبدالله خاتم النبيين ، وسيد المرسلين .

ولذلك كان تطبيق أحكام الدين كاملة غير منقوصة أعظم خطة لإصلاح الأمة ، ورفاهية الشعب ، وسعادة المجتمع .

(١) سورة الأعراف ، الآية ٥٨ (٢) سورة الأعراف ، الآية ٩٦

وتطبيق أحكام الدين فى أى مجتمع هو التزام بالعبادات ، وعمل بأحكام المعاملات وعدم تفريط فى الحدود .. ومعناه أن نلتزم أوامر الدين وتعاليمه فى كافة جوانب حياتنا : من اقتصاد وشئون اجتماعية ومدنية وتجارية وصناعية وزراعية وغيرها ؛ وأن نلتزم تعاليم القرآن فى السلم والحرب ، وفى أحكام الأسرة والمجتمع ، وفى كل مرفق من مرافق حياتنا، صغر أم كبر ، وفى شئون الأفراد والجماعات ، وفى كافة أمور الناس .

ومع تطبيق الشريعة يعم الأمن ، ويعم السلام فى المجتمع ، وتتحسن أحوال الناس ومعايشهم وتصير الأمة إلى خير وتقدم ورفاهية وقوة .

وتطبيق أحكام الشريعة فى المملكة العربية السعودية حفظ المجتمع من غوائل اللصوصية والنهب والعدوان والفساد ، وضمن للناس حقهم فى العدل والإنصاف والنزاهة ، وجعل العمل فريضة وشريعة ، وبعث على الحياة الكريمة الهادئة ، وعلى الرخاء والرفاهية بين الناس .

إن التقدم مرتبط بالتزام أوامر الدين ، والإسلام دين العصر وما بعد العصر ، فهو دين متجدد متقدم بكل معنى الكلمة ، وهو دين الإنسان الذى يتطلع اليوم ببصره إلى السماء حائراً ينشد الهدى والنور والرحمة والطمأنينة والسلام، فلا يجدهما إلا فى الإسلام العظيم ، وفى القرآن الكريم ، وفى تعاليم الحنيفية البيضاء ، وفى مبادئ الشريعة السمحاء « ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

الأمـــانة

« إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولا »[1] .

أمر الأمانة عظيم ، وشأنها جليل ، ومقام الالتزام بها كبير ، عرضها الله عزوجل على السماء والأرض والجبال ، فامتنعن عن حملها ، وأشفقن على أنفسهن من حملها ، ولكن الإنسان حملها ، استخفافاً بها ، وجهلا بشأنها ، وظلماً لنفسه بحملها .

والأمانة هي كل ما ائتمن الله عباده عليه من واجبات ومسئوليات والتزامات من طاعات وعبادات ، من حقوق وارتباطات ؛ نحو نفسه ، ونحو أهله وعشيرته ومجتمعه وأمته ، ونحو الإنسانية كافة ؛ كل ما ائتمن الله الإنسان عليه من مال أو عرض أو روح ؛ من شرائع ورسالات ودعوات صالحات إلى الله وإلى الإيمان والتوحيد وعبادة الله الواحد القادر المهيمن .

الأمانة تدخل فى كل شىء ، فى أداء العامل لعمله بنزاهة وشرف ، فى رعاية الشاب لأبويه دون ضجر أو ملل ، فى تهذيب الأب لأبنائه ودعوتهم إلى الالتزام بعبادة الله وطاعته ، فى قيام كل إنسان بعمله على الوجه الأكمل دون ضجر أو ملل فى حرص الأم على مال الزوج وعدم التبذير فيه .. فى قيام الابن بمذاكرة دروسه دون إهمال أو كسل .. وعلى الجملة فإن الأمانة تدخل فى كل شىء ، والالتزام بها واجب فى كل موقع ؛ وهى فرض على الحاكم والمحكوم ، على الكبير والصغير ، على الرجل والمرأة ، وغير ذلك من شتى طبقات المجتمع الإسلامى .

ويتضاعف شأن الأمانة خطراً فى الحروب والمحن التى تنزل بالأمم ، وكذلك

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢

كلما كان الإنسان فى يده مصالح الأمة والشعب ؛ عندئذ تصبح الأمانة مسئولية ، وتصبح المسئولية التزاماً أدبياً لا مفر منه .

وإذا كان إنسان قد اؤتمن على أسرار الأمة ، فعندئذ تصبح مسئوليته كبيرة ، وتصبح أمانته ضرورية الوفاء ...لأن التفريط فيها قد يفقد الأمة مستقبلها السياسى ، بل وحاضرها أيضاً .

الأمانة جزء مقدس من واجب أسمى ، وفرض محتوم ، والإسلام يطالب المسلم بأداء الأمانة ، والوفاء بها ، ويجعل ضياع الأمانات من علامات قيام الساعة ، وفى الحديث الشريف : (إذا رفعت الأمانة فارتقب الساعة) .

من أجل ذلك نهيب بالمسلم الحقيقى أن يلتزم بتعاليم الإسلام ، وأن يحافظ على أمانات المسلمين عنده ، وأن يقوم بأدائها من غير مطل أو تسويف .

الأمانة وما أدراك ما الأمانة ، هى التى أوصى الأنبياء والرسل وكتب السماء بالمحافظة عليها ، وبأدائها لأصحابها ، فذلك دليل على الإيمان العميق ، والعمل الجليل الصالح ، وعلى الأخوة الإسلامية الحقيقية ، وعلى الإخلاص لله رب العالمين .

الأمانة أمر مقدس ، وواجب مفروض من ديننا ومن كتابنا ورسولنا ، من الله عز وجل والملائكة ، والنار أجمعين . .

وجواسيس الأمم فى الشرق والغرب تتعقبهم الدول والمجتمعات ، لأنهم خانوا الأمانة وشريعة الوفاء ؛ وليس هناك أخطر من الأمانة وحملها والالتزام بها ؛ إن شأنها الجليل وأمرها الخطير ، وإن الإنسان حقاً لقد ظلم نفسه وهو يحمل أمراً مقدساً بالوفاء بأمانات الله ورسوله والناس أجمعين .

أمانة الكلمة

أمانة الكلمة فريضة يلزم الإنسان بها فطرته وإنسانيته وكرامته وضميره ، ويلزمه بها دينه أولا وقبل كل شيء .

أما الكلمة تستلزم الصدق ، والصدق هو شعار النجاح فى الحياة ، والتوفيق فى العمل ، والنصر فى معارك البناء ، فالصدق يهدى إلى البر ، والكذب يهدى إلى الفجور ، والفجور فى النار ، والصدق يرضى عنه الله والملائكة والناس أجمعون ؛ والكذب يغضب كل شريف ، ويعيب كل فاضل وكل لئيم ؛ والصدق يرضى الله وكل إنسان كريم وليس وراء ذلك غاية .. وفى الحديث الشريف : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان) .

وأمانة الكلمة تقتضى الوفاء بالوعد ، والالتزام بالعهد ، وما أجل أن تكون مواعيد الإنسان دقيقة حاسمة ، لايتقدم فيها ولا يتأخر ، فإذا أعطى موعداً لإنسان التزم به ، وكان دقيقاً فيه ، وتحمل المسئولية عنه .

وأمانة الكلمة تقتضى البعد عن الغيبة والنميمة والوشاية ، والكلمة التى تثير العداوة ، أو تدعو إلى الخصومة والبغضاء بين الناس .. فليس أجدى على المجتمع من أن يسوده السلام الاجتماعى بين الناس .

وأمانة الكلمة تقتضى كذلك البعد عن الزيف والغش والرياء والنفاق ، وعن الكلمة الماجنة ، وعن كلمة الفاحشة ، وعن كل ما يثير الغرائز ، أو يدعو إلى الرذيلة .

إن الإنسان المؤمن بالقرآن ، والذى يردد كلماته الطاهرة على لسانه صباح مساء ، لايمكن أن يقبل النطق بكلمة سيئة ، وفى القرآن الكريم : « لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس »[1] .

---

(1) سورة النساء ، الآية ١١٤

ومن أقبح القبيح ما صرنا نسمعه من شبابنا من كلمات سيئة ينطقون بها ضلالا وإثماً ، ويظنون أو يتوهمون أنهم يحسنون بذلك صنعاً ، وأنهم يرفعون الكلفة فيما بينهم ، وهم فى ذلك ضالون مضلون ، أو واهمون مخدوعون .

فى الجيل الماضى كانت الكلمات التى تخرج من فم الناس دعوة إلى الخير والصحة والشفاء ، أما اليوم فصرنا نسمع منهم سباً للآباء ، ولعناً للأمهات ، وتزييناً للرذيلة ، وحضاً على الشر ، وكراهية للفضيلة .

ويتعلم الطفل ذلك فينشأ على فاحش القول ، وسيئ الآداب ، وذميم الأخلاق وأولى بنا أن تستقيم الكلمة فى أفواهنا ، وأن تكون كلمة خير يرضى عنها الله ورسوله ، لننال الثواب عليها ، والأجر فيها .

إن الإنسان الملتزم بقيم الإسلام ومثالياته عليه أن يكون المثل الكامل لشخصية المسلم الملتزم بما أمر الله ، إيماناً بفكر الإسلام وقدسية مبادئه وكتابه الحكيم ، وعملا بما فرض الله ، وتركاً لما نهى عنه ، وقولا صالحاً يردده فى فمه ليرعو به إلى الفضيلة ، وليحذر به من الرذيلة ، وتلك هى أمانة الكلمة فى فم الإنسان المسلم . الكلمة التى تعبر عن الالتزام ، وتنطق بالحق وتدعو إلى الخير ، وتلتزم الصدق .

وما أكثر ما يجب أن يتحلى به الإنسان المسلم ، الذى يردد كتاب الله الخالد العظيم على فمه وينطق به كل وقت ، ويترنم به كل لحظة .

وليس كأمانة الكلمة شئ ، وليس مثلها دعوة إلى كل كمال ، ودعوة إلى كل فضيلة .

وأمانة الكلمة تقتضى إعلاماً إسلامياً نزيهاً نظيفاً ، يتحرى الحقيقة ، ويدافع عنها ، وينطق بها ، ويدعو إليها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وأمانة الكلمة تقتضى صحافة نزيهة ، وأناشيد تدعو إلى الرجولة والخير ، ومسرحاً متقدماً ليس فيه ما يثير الغرائز ، أو يدعو إلى الشر ، وتقتضى تربية جادة لأبنائنا وشبابنا ليستقيموا على الجادة ، وليدافعوا دائماً عن الحق ، وليكونوا أبداً نماذج حية للصدق والخير والدعوة الصالحة .

قمة الحضارة

عندما يجتمع مليونان من الأنفس فى صعيد واحد ، يجمعهم فكر واحد ، ودين واحد ، وشعائر واحدة ، وعبادة ونسك واحدان ، ثم لايحدث بينهم — مع اختلاف ألسنتهم وأجناسهم وأممهم وأفكارهم — شيء واحد يثير التساؤلات ، أو يبعث على الأسى ، يكون ذلك ولاريب مظهراً حضارياً لا مثيل له ، فى عالم اليوم ، مع ما نراه فى مجتمع مشاهدى الكرة مثلا من صراع واقتتال ودماء .

وعندما تتوجه أفواج حجاج بيت الله الحرام إلى عرفات ، ويصعدون على هذا الجبل يدعون دعاء واحداً ، ويقومون بشعائر واحدة ، ويقفون فى حضن هذا الجبل العظيم ، عابدين متبتلين ، مكبرين ومهللين ، يكون ذلك ولا ريب مشهداً من أعظم مشاهد الإنسانية ، التى يحلم بها الإنسان ، ويمجدها العقل ، ويعجب بها البشر أجمعون .

ومن ثم نرى الحج يرتفع ، بعظمته وسمو معناه ، وجلال قدسيته ، إلى مستوى الروح الإنسانية المبدعة الملهمة ، التى خلقها الله عز وجل من قديم الزمن لتبدع فى الحياة والأرض والعالم .

فى الاجتماعات العالمية ، فى مختلف المناسبات ، كالألعاب الأولمبية مثلا ، وككرة القدم ، وكالاجتماعات الدينية عند بعض الطوائف ، لا تجد مثيلا لهذا الاجتماع العظيم الكبير الجليل .

إن المسلمين فى مجتمع الحج يبدون وكأنهم أشبه بملائكة السماء ، يتنقلون من مكان إلى مكان ، ومن أداء نسك إلى أداء شعيرة ، ومن القيام بعبادة إلى القيام بأخرى ، ومن التوجه بأرواحهم وأشواقهم إلى رب الحياة والكون والبشر ، إلى الإله الواحد الأحد المعبود الخالق المهيمن ، توجهاً روحياً لاترى لها شبيهاً فى أى توجه من التوجهات .

ما معنى ذلك ؟

ما هذه الرحلة المقدسة ؟

ما هذه السفرة البعيدة القريبة ؟

يخرج المسلم لرحلة شهر كامل أو يزيد ، لأداء فريضة إسلامية مفروضة ، حيث يرى العالم الإسلامى كله مجتمعاً فى مكان ، متفاهماً بكل لغة ولسان ، متخطياً حدود الزمان والمكان ، يقضى وقته كله متبتلا زاهداً قانعاً عابداً صائماً ، هاجراً لكل المتع والملذات والشهوات وألوان الترف ، يرى الحياة بنفس المنظار الذى يراها به الآخرون ، فأى إبداع هذا الإبداع ؟ وأى عظمة وجلال هذه العظمة والجلال ؟ ، وأى روعة تلك الروعة العجيبة الفاتنة ؟

ويمر الحاج بكل مشاهد الإسلام ، ومواطن ذكرياته وأيامه وانتصاراته ، فيتذكر كيف جاهد أسلافه العظام ، من أجل تبليغ الدعوة ، وأداء الأمانة ، ويملؤه ذلك كله بالفخار والعزة والكرامة والإيمان والإخلاص لله رب العالمين فى السر والعلن .

إن الحج ، بكل مناسكه ومشاعره ، مظهر من مظاهر وحدة المسلمين ، وعمل كبير من أضخم أعمال الأخوة والمحبة الإنسانية ، وهو من قبل ومن بعد مشهد من أجل مشاهد الإسلام كل عام ، لايستطيع نسيانه أحد ممن شاهدوه .

وما أروع ما تعج الطرق والشعاب فى كل مكان من جزيرة العرب بوفود الحجاج القادمين من كل واد ، يهللون ويكبرون ويلبون ويدعون الله عز وجل ، دعاء الخاشعين الخائفين العابدين ، أن يعز الإسلام ، وأن ينصر المسلمين .

ليكاد الإنسان وهو يرى هذا المشهد العظيم يبكى من أعماق نفسه ، لأنه يرى الإنسانية كلها مجتمعة فى صعيد واحد ، تعبد الله وحده ، لاشريك له ، وكلها ضراعة ورجاء وأمل بأن يكون حاضر البشرية أفضل من ماضيها ، وأن يكون غدها أكرم من يومها ، وأن يبلغ الله عز وجل الإنسان إلى شاطئ الأمن والسلام والنجاة .

يا لعظمة الإسلام ، وياجلال مؤتمر الحج العظيم .

انتقال الحضارات

الحضارة العالمية القديمة ، كالحضارة الفارسية والإغريقية والرومانية والمصرية والصينية وسواها من مختلف الحضارات العالمية البائدة ، قد مثلت دورها على مسرح الحياة فترة من فترات عصور التاريخ ، ثم انتهت كأن لم تغن بالأمس .

وورثتها الحضارة الإسلامية التي ازدهرت في بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة والقيروان وأصفهان وجرد وبخارى وسمرقند وغيرها من عواصم العالم الإسلامي الممتد من الصين شرقاً إلى بحر الظلمات (أو المحيط الأطلسي) غرباً ، ومن أوربا شمالا إلى أواسط قارة أفريقية جنوباً ، وكانت هذه العواصم الإسلامية تسبح في نور العلم والمعرفة والتقدم والمدنية ، وفي ظلال الأمن والرخاء والرفاهية والسلام .

حضارة شريفة نجحت من أصول شريفة ، وقام عليها دولة جمعت كل أصول التقدم في السياسة والفكر والاجتماع والاقتصاد وكل جوانب الحياة الرفيعة ، وشهد لها العلماء والمفكرون والمشترعون في كل عصر وكل جيل .. حضارة هزت الدنيا ، ودوت بذكرها الآفاق ، وعاش فيها الناس أحراراً مكرمين ، ينعمون بشتى ألوان السعادة والثراء والرخاء والتقدم ، وكانت أوربا تنظر إليها ، وتذهل لهذا التفوق الحضاري الفريد ، ويصيح شاعر كبير مثل (بترارك) الشاعر الإيطالي في العصور الوسطى في مدينة روما قائلا : يا لله ، لقد نفوق على كل الأمم إلا العرب ، الذين أذلونا بحضارتها السامقة ، فيا للخزى ، ويا للألم !!

وجاء دور أوربا الجاهلة الظامئة المجردة من كل شيء ، فنهلت من حضارة العرب وعلومهم وثقافاتهم حتى استطاعت أن تقوم على أقدامها ، ثم استطاعت أن تملك زمام المبادرة ، وتأخذ العنان بيديها من العرب ، وأن تنشىء لها حضارة جديدة تخالف الحضارات الأخرى ، ولا تتفوق على حضارة الإسلام في الروحيات ، بل في الماديات وحدها .

تقول (هونكة) المستشرقة الألمانية فى كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب): كل موجة علم أو معرفة قدمت لأوربا كان مصدرها البلدان الإسلامية (٤١ د شمس العرب) .

ويقول غوستاف لوبون فى كتابه (حضارة الغرب) : أوربا مدينة للعرب بحضارتهم ، فالعرب هم الذين فتحوا لها ما كانت تجهله من المعارف الفلسفية والعلمية والأدبية ، فكانوا ممدنين للغرب ، وأئمة له فى ستة قرون . وعن طريقهم اهتدى الغرب إلى تراث الإغريق ، وكشف ماضيه ، فأخذ يبحث عنه .

إن الأصول العلمية والفكرية لحضارة الإسلام وللفكر الإسلامى قد أخذها الغرب وصاغ منها حضارته التى هى صدى كبير لحضارة الإسلامية ، فقد سرقت أوربا ، على غفلة منا كنوزنا ومواريثنا الثقافية والحضارية ، مثلما سرقت كذلك إمبراطورية المسلمين الكبرى الممتدة فى كل مكان ، وأقامت على كل هذه الأسس حضارتها الماثلة اليوم .

ولكن حضارة الغرب اليوم قد نال منها الهرم ، ودبت فيها الشيخوخة ، وأخذت تقترب من حافة الفناء ، يقول (بول فاليرى) شاعر فرنسا الكبير : فرنسا ، إنجلترا ، روسيا ، ألمانيا ، وياها من أسماء كانت جميلة ، كما كانت ، أسماء نينوى وبابل وعيلام جد جميلة ، ولحاق هذه الأسماء الراهنة بأسماء الأمس الغابر لم يعد شيئاً مستعصياً على الإدراك .

ويقول (فولنى) من كبار رجال الفكر الأوربى : ماذا أصاب تلك البدائع الراهنة التى حفظتها يد الإنسان ، أين هى حصون نينوى وجدران بابل ؟ ومن يدرى ؟ لعل مسافراً فى المستقبل يجد نفسه عند شواطئ السين والتايمز يجلس باكياً فوق بقايا الفتات الذى تحولت إليه معالم الحضارة حول هذه الأنهار .

ويعجب (دنيس دورجمون) من العدد الذى يتضاعف بصورة مستمرة من الأوربيين الذاهبين إلى انهيار الحضارة الغربية ، ومن المتنبئين الذين يفضلون الحديث عن كشوفها .

ويقول إقبال شاعر الإسلام : مثلت حضارة الغرب دورها ، وقد شاخت

وهرمت ، أينعت كالفاكهة ، وحان قطافها ، ولسوف تتمخض الإنسانية عن عالم جديد ، وهـذا العالم لا يحسن تصميمه إلا من بنى للبشرية البيت الحرام ، وورث محمداً وإبراهيم قيادة العالم .

ورأى إقبال يكاد يكون تفسيراً للآية الكريمة : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً ، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس »[1] ، فالمعنى على هذا : هو فناء حضارة عجيبة من حضارات الحياة الدنيا ، كانت قد بلغت غاية نمائها وازدهارها ، بأمر الله وقدرته ، فى لحظة من ليل أو نهار .

وما يقوله إقبال يقوله مفكرو العالم وفلاسفته فى كل لحظة ، ونحن نعلم أن ميزان القوة فى العالم متغير أبداً ، وعلى امتداد التاريخ ..

ولكنى أقول كما قال بعض المفكرين : إنه لن تجد الإنسانية يوم تتهاوى حضـارة الغرب عقيدة تؤمن بها ، وتؤمن بها مصيرها ، إلا الإسلام ، فالإسـلام وحده ، والإيمان به ، سوف يكون ضرورة بشرية ، لأن ذلك هو مسيرة الحياة والتاريخ ، وحتمية انتصار الحضارة ، وهو العلاج الوحيد لكل مشكلات العالم ، وهو النتيجة الأخيرة لقدرة الإنسان على مواجهة التحديات التى يتحداه بها عصره وقدره .

ويومئذ سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق الإسلامى عوداً على بدء : من المنطقة التى قامت فيها الحضارة الإسلامية ، وستثبت يومئذ هذه المنطقة وجودها وستنقلب موازين القوى ، لأن قوة الإسلام وحضارته قائمة على أسس لا تتوفر فى غيرها من تيارات القوى العالمية ، وقد أدرك مفكر إنجليزى ذلك حيث كتب يقول :

لايساورنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً ، وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الإسلام ، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب ، بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه[2] .

---

(١) سورة يونس ، الآية ٢٤

(٢) باول شمتز — فى كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية) .

كما يقول : إن قوة القرآن فى جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن .

إن سفينة العالم التى قد أصابها الخور اليوم تجد فى الإسلام المرفأ الأمين الذى يتقدم بالفعل سفينة الحضارة العالمية ، وهذا ما كان يقوله مستشرق مثل عبدالكريم جرمانوس ، وما يقوله اليوم رجاء جارودى (أو روجيه جارودى) الذى نادى بحتمية الرجوع إلى الإسلام لإنقاذ الإنسانية من المصير المهلك .

إن حضارة الإسلام هى ولا ريب حضارة المستقبل .

عود الى حضارة الاسلام

الحضارات الإنسانية دائماً هي ثمرة الرسالات السماوية المقدسة ، لأنها حضارة يبنيها العقل الإنساني الموجه بتعاليم السماء . فهي حضارة الروح والمادة ، حضارة العقل والفكر والضمير الحي والإبداع المتصل ، وحضارة الإنسان الملتزم بالقيم النبيلة الإنسانية .

وكلما أخذت الحضارة من النبعين : نبع الروح ونبع العقل ، ازدهرت وسمقت وازدادت ازدهاراً ورسوخاً ونماء .

الحضارة هي جزء من تراث الأمم والشعوب وهي زاد من مدخرات الدول ورصيدها القومي ، وهي الشعلة الوهاجة التي تضيء للأمم طريقها نحو الازدهار والرخاء والسلام ، فلا مفر إذن من العمل على السير بها نحو المستقبل الذي نبحث عنه ، والغاية التي ننشدها . ومن الواجب أن تزدهر الحضارة يوماً بعد يوم وأن يكون حاضرها خيراً من ماضيها ، وأن يكون مستقبلها أفضل من حاضرها .:.

الحضارة إبداع دائم مستمر ، فإذا ما فقد الإنسان القدرة على الإبداع ، وإذا ما فقد طاقته ، ولم يتسن له أن يصبح إبداعه مبهراً ، ووقف أمام قوة الآلة العظيم مشدوهاً حائراً ؟ وحالت الرهبة في قلبه بينه وبين العلم والعمل ، فإن الحكم القاسي الذي ينتظره سيكون رهيباً ، لأن معناه وقوف مسيرة الحضارة وهي في قمة الازدهار .

إن عجلة الحضارة ليبدو جلياً أنها تسير إلى الوراء ، وأنها صارت تعنى بالماديات دون الروحيات والمعنويات ، وأنها أصبحت مصدر عذاب للإنسان ، لا مصدر سلام وأمن وأن المواهب العظيمة صارت شبه مفقودة ، وصار الإبداع الحقيقي شبه معدوم ، وضعف أمر الفن والثقافة عند أجيال الشباب ، وذلك كله قد أدى بنا إلى ضعف ملموس في الصناعة ، بل وفي كل شيء : في الثقافة والتربية ، في الابتكار والتجديد ، في الفنون عامة ، وفي كل مجال للموهبة الإنسانية .

طالب الجامعة اليوم لم يعد هو طالب الجامعة بالأمس ، الموظف اليوم غيره بالأمس ، الفلاح والعامل والصانع ، والرسم والصورة والفن ، وكل عمل مبدع ، لم يعد كما كان بالأمس .

تغيرت الأمور كثيراً عن ذى قبل ، وكان تغيرها إلى الأسوأ لا إلى الأحسن ، وإلى الوراء لا إلى الأمام .. فى التعليم ، فى الصناعة ، فى الزراعة ، فى الفنون والآداب والفكر ، إلى غيرها .. ولم نعد نجد مثل عباقرة الأمس فى كل مجال .

قد يكون السبب فى ذلك السرعة التى يؤمن بفلسفتها اليوم عصرنا الحضارى ، وقد يكون السبب يكمن فى فقدان المعنويات والروحيات والمثل من عالمنا الحضارى وقد يكون السبب هو فى فقدان الإنسان لحريته وكيانه وشخصيته أمام جبروت الآلة العظيم .. وقد يكون غير ذلك من الأسباب .

أنا أفهم أن جيل اليوم من الحتم أن يكون أحسن من جيل الأمس ، وأن جيل الغد يجب أن يكون أفضل من جيل اليوم ، ولكن الأمر على العكس من ذلك تماماً ، ومعنى ذلك أن الميزان أصبح مقلوباً ، وأننا سوف نعيش عصراً مقبلا نرى فيه فناء الحضارة واندثارها ، أو عودة إلى حضارة أخرى ذات قيم ومعنويات ، وليست هى إلا حضارة الإسلام .

هل لابد أن تكون حياتنا دائماً مهددة بانقراض كل ما بنته الإنسانية لنا من قبل ، من مثل وقيم رفيعة طيلة العصور والأجيال ؟

قيام حضارة جديدة اليوم أمر أصبح مفروضاً ، أصبح شبه قريب ، بعد أن شاخت حضارة أوربا .

لابد إذن من أن يضىء آفاق الحياة البشرية نور جديد ، وليس هذا النور سوى أضواء حضارة الإسلام ، فالرجوع إليها أمر حتمى لابد منه .

وهذا مصداق قول الله عز وجل : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[1].

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٥٣

العلماء المسلمون يبحثون

عندما كانت أوربا فى العصور الوسطى تعيش فى الظلام والجهل والأميه والأساطير ، كان المسلمون يؤسسون الجامعات ، ويبنون المعاهد ، ويشجعون العلماء ، ويرعون الثقافة والفكر والمعرفة ، وكان العلماء يبحثون ويستنبطون ، ويصلون إلى نتائج مذهلة محيرة ، لأنها لم يصل إليها أحد من قبل .

وقد ضرب العلماء المثل العظيم فى تاريخ الثقافة الإنسانية،حتى ليقول المستشرق المجرى الراحل (عبد الكريم جرمانوس) : (إن على المسلمين أن يفخروا بأسلافهم ، ويستمدوا من مواهبهم وعياً يقودهم إلى مستقبل جديد) .

من بين علمائنا الأسلاف (أبو إسحاق الفارسى الإصطخرى) الذى ولد فى مدينة اصطخر (أوبرسيبوليس) القديمة ، الذى وصف فى مؤلفاته كل الأقاليم ، التى كانت تتكون منها الدولة الإسلامية الكبرى ، وصفاً دقيقاً ، الأماكن والسكان والثروات الطبيعية وغيرها ، وأهم كتبه هو كتاب (المسالك والممالك) .

وجاء المقدسى — نسبة إلى بيت المقدس أو القدس — فى القرن العاشر ، فوضع بين أيدينا وصفاً دقيقاً لتجاربه فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) الذى ألفه عام (٣٧٥ هـ — ٩٨٥ — ٩٨٦ م) .

ويعتبر ياقوت (المتوفى عام ٦٢٩ هـ — ١٢٢٩ م) أفضل الوصافين الجغرافيين وقد خدمت الإنسانية معلوماته فى كتابه النفيس (معجم البلدان) ، وأبدى مع ذلك اهتماماً كبيراً مماثلا بالأدب والأدباء ، فألف كتابه (معجم الأدباء) ، ومعجم البلدان خلاصة وافية للجغرافيا الفلكية والوصفية والرحلات التى تجمعت خلال ستة قرون .

وجاء الإدريسى — الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى — فعد جزر فارو أقصى نقطة فى شمالى أوربا ، وعرف الدانمرك والنرويج والسويد وفنلندة وإيرلندة ، واستمد معرفته بهذه البلدان النائية من بلاط روجر الثانى (١١٣٠— ١١٥٤ م) ، وهو أول ملوك صقلية ، الذين نسلوا من أصل عربى ، وقد وصف

الإدريسى أنابيب المياه التى يستعملها المغاربة والمضخات التى تزودها بالماء فى توليدها، وقدم بياناً مفصلا عن عملية فصل المعادن من الذهب، كما ذكر استخدام أسمدة الطيور فى زراعة العنب والنخيل .

وجاء (البكرى) الذى ألف كتباً عدة فى الجغرافيا ، وضمن كتبه جانباً من تقرير إبراهيم بن يعقوب الذى زار بلاط الإمبراطور أوتو العظيم (٩٦٢ — ٩٧٣) بأمر من خليفة قرطبة ، وضمن تقريره وصفاً دقيقاً لألمانيا والمناطق السلافية ، مما يدل على أن العرب قد عبروا بحر البلطيق ، وكان كتابه (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) عملا متميزاً بلا شك .

وقد قطع ابن بطوطة (ت ١٣٧٧ م) أطول مسافة من مسقط رأسه (طنجة) حتى بلغ الصين كما وضح بدقة بالغة أسباب طول النهار فى أشهر الصيف فى الشمال .

وعرف البحارة العرب اليابأن ومدغشقر ، وكتب علماء الجغرافيا العرب عن ولاية الزنوج الواقعة بين نهرى سنغال ونيجر ، وعرفوا جزر كناريا فى المحيط الأطلنطى ، وجزيرة تناريف أيضاً .

وكان العرب على اقتناع تام بأن الأرض كرة تطفو فى مركز الكون ، ويقول أبو الفدا (ت ١٣٣١م) : إنه إذا ابتدأ رجلان بالسير ، واتجه أحدهما شرقاً والآخر غرباً ، فإنهما يتلاقيان .

وقد كانت مراصد الفلك فى الرقة وبغداد وأنطاكية ودمشق تتبادل النتائج التى تتوصل إليها ، وقال الزركلى (من أبناء توليدو) عام ١٠٧٥ م : أن الظهر فى بغداد يسبق وقت الظهر فى توليدو بثلاث ساعات و ٢٦ دقيقة ، وقد تمكن الزركلى من قياس طول البحر الأبيض المتوسط بنظرياته ، كما تمكن العالم المراكشى (أبو الحسن) من تحديد مواقع ٤٤ مكاناً تقع فى غرب أفريقية حتى الإسكندرية ومن قياس أبعادها ، وتمكن فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى من قياس طول البحر الأبيض المتوسط .

وقد كان البيرونى (ت ١٠٣٨ م) أول من عرف الهند بأنها شبه جزيرة ، وكانت تبدو فى خريطة بطليموس جزيرة مسطحة ، ودرس البيرونى اللغة السنسكريتية ، كما درس عدداً كبيراً من المؤلفات العلمية والفلسفية الإغريقية

من الترجمات التى كانت قد ترجمت إليها باللغة العربية ، وقد أكد البيرونى أن أعلى قمم العالم هى التبت فى آسيا والألب فى أوربا .

وقد أوضح العلماء المسلمون أن سطح الأرض غير ثابت ، وسجلوا الفرق فى مستوى البحر بين جزر لاكاديف وملاديف ، وكان المسعودى أول من وصف الطواحين الهوائية فى سجستان التى لا ماء فيها . وكتابه (التنبيه والإشراق) له أهميته ، وذكر المسعودى أنه لاتوجد قارة واحدة تظل جافة أو مغمورة بالمياه ، وأن القارات قد تغوص تحت المياه أو تجف مياه البحر خلال تاريخ الأرض الطويل ، وذكر كذلك أن رواسب الأنهار تتجمع فى الدلتا ، وأن المدن تتراجع فى اتجاه البر نتيجة لاتساع الأراضى الجافة نحو البحر ، ولاحظ المسعودى هذه النتيجة الجغرافية فى رواسب دجلة والفرات كما رأى أن مدينة الحيرة قد أصبحت برية خلال ٣٠٠ عام، وشرح المسعودى السبب فى عدم سقوط الأبخرة من مياه البحر على صورة أمطار مالحة بقوله : إن عملية التبخر تخلف الملح وراءها .

ولاحظ القزوينى فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى أن الأنهار والرياح تنقل رواسب الهضاب إلى التربة الخصبة فى السهول ، التى تكون فى ارتفاع مستمر ، وهى حقيقة لم يعترف بها إلا فى السنوات القريبة ، كما كان القزوينى أول من أدرك أن الرياح الشمالية الآسيوية هى التى تحدث الجفاف ، وأن الرياح الجنوبية هى التى تشبع الجو بالرطوبة ، لأن الأولى تهب من المناطق الصحراوية ، بينما تهب الثانية من البحر ، وأكد أن الرياح المشبعة بالبخار لا تلبث أن تسقط أمطاراً إذا ما اصطدمت بالجبال ، وهذا هو سبب سقوط الأمطار الموسمية .

ولم يدرك الأوربيون قيمة ما أسهم به العلماء المسلمون فى مجال الجغرافية مثلا إلا بعد قرون عديدة، وكان أول من أدرك ذلك العالم(ولهم بوستل) الذى استمد بعض معلوماته فى كتابه (كوزموجرافيا) الذى ظهر فى بال عام ١٥٦١ م من أبى الفداء، ولأول مرة يذكر ياقوت كمرجع فى المحاضرة التى ألقاها فى ليدن عام ١٧٠٢ يعقوب جرتوفيوس ، وقد استطاع الأوربيون أن يتعلموا الكثير من مؤلفات الرحالة المسلمين .

وهكذا كانت بحوث العلماء المسلمين الجغرافيين ، كما كانت بحوثهم فى الفلك ، مصدراً عظيم الأهمية للباحثين فى الغرب وفى أمريكا حتى اليوم .

المسلمون اكتشفوا الكهرباء

- ١ -

الحضارة الإسلامية الزاهرة الخالدة حدث عنها ولا حرج ، وحدث عن البصرة والكوفة والفسطاط ودمشق وقرطبة وبغداد وغيرها من عواصم الإسلام ، وما قدمته للإنسانية وللحضارة من أياد جليلة اعترف بها كبار المفكرين فى كل مكان .

ولقد قدم المسلمون للفكر الإنسانى وللبشرية جميعاً كل وسائل التقدم ؛ وأسباب الرخاء والازدهار ، وعوامل النهضة فى شتى جوانب الحياة : فى الطب والهندسة والرياضة والفلك والفلسفة والصناعة والزراعة والتعدين والكيمياء وشتى جوانب المعرفة والثقافة والعلوم والآداب .

وإذا كانت حضارة الغرب هى السائدة اليوم ، فإن حضارة الإسلام بالأمس كانت هى الرائدة والساعية إلى كل خير وازدهار ورخاء للعالم . وقد نشأت أول ما نشأت فى منطقة الشرق الأوسط ، بيئة الحضارات . ومجتمع المدنيات العالمية القديمة ، ومركز الحضارات البشرية القديمة : العربية والمصرية والسبئية والآشورية والبابلية والفنيقية وغيرها . وكانت منطقة الشرق الأوسط على صلة بحضارات الهند والصين وفارس والروم .

وإذا كانت المواليد الحضارية فى المنطقة كانت قد انقطعت ، فإنها لم تفقد طاقتهـا الإبداعية التى ظهرت فى أجلى مظاهرها فى انبعاث الحضارة الإسلامية ، وهى أروع حضارة نادت العالم وهزته هزاً عميقاً حقبة طويلة من الزمان .

ويتجنى كثير من الكتاب والمؤرخين الغربيين على الإسلام ، فيصفونه بكراهيته للمدنية عامة ، وبمناهضته للفنون ومن بين هؤلاء كروبر .

ويرد على ذلك مؤرخ غربى آخر ، هو توينبى ، الذى أنصف الإسلام فى كتاباته إلى حد ما ، وكذلك فعل (روجيه جارودى) الذى أنصف الإسلام إنصافاً كبيراً ، ودان بالإسلام ، وقال عنه إنه دين العالم والمستقبل .

والعراق حين ظهور الإسلام كان دعامة الإمبراطورية الساسانية سياسياً وثقافياً ، وسوريا ومصر كانتا كذلك العمود الفقرى للإمبراطورية البيزنطية ، ومع ذلك فقد تجلت طاقات هذه البلدان الثلاثة — سوريا ومصر والعراق — الحضارية على يدى الإسلام ، واستعادت فى ظلاله مكانتها باعتبارها قلب العالم الإسلامى النابض بالحياة .

وكان نقل العرب للأرقام الهندية عام (١٥٤هـ - ٧٧٣ م) فى عهد المنصور العباسى ، وعلى يدى إبراهيم الفزارى ، من أهم مظاهر التحولات الفكرية العالمية . كما كانت ترجمتهم للثقافات العالمية من أجل مآثرهم على الحياة البشرية .

وكان فى بغداد عام (٢٧٩هـ - ٨٩١م) وحدها مائة دار كتب ، وفى عام (٣٠٩ هـ - ٩٢٢ م) كان فى بغداد ٨٨٦ طبيباً .

وقد قام سبعون عالماً جغرافياً من المسلمين فى عهد المأمون العباسى برسم خريطة الأرض . وكان قيام بيت الحكمة فى بغداد عام (٨٣٠ م - ٢١٤ هـ) من الأحداث الثقافية الكبرى .

ولو أردنا استعراض مظاهر التحولات الحضارية على أيدى المسلمين لما وسعنا الحديث عن ذلك المجد الباذخ الذى ورّثه الإسلام للشعب المسلم فى كل مكان ، بل وللشعوب العالمية كافة .

— ٢ —

والكهرباء التى تقود حضارة العالم اليوم والتى كشف عنها الغرب ، هل عرفها العرب فى ظلال حضارة الإسلام ؟

قد يبدو أن من المجازفة أن نؤكد للقارئ أن الكهرباء قد عرفها المسلمون واستخدموها أيضاً فى ظلال الحضارة الإسلامية التى أظلت العالم من مشرقه حتى مغربه حقباً طوالا خالدات .

والأمر هو كذلك صدقاً وحقاً ، فنى يونيو عام ١٩٣٦ عثر عمال مد الخطوط الحديدية ، فى بغداد ، على أوان فخارية وعلى أسطوانة نحاسية وقضبان حديدية يعلوها صدأ كبير ، وكانت موضع فحص طويل أكد بعده متحف الآثار العراقية أنها بطاريات كهربائية بدائية ، وجاء فى تقرير المتحف : وجدنا شيئاً غريباً إلى حد بعيد : وعاء فخارى مثل آنية الزهور ، لونه أبيض يميل إلى الصفرة ، وكانت قد انتزعت فوهته ، وبالوعاء الفخارى أسطوانة نحاسية جرى تثبيتها بالزفت ، وبداخل الأسطوانة ومعزول عنها بطبقة من الزفت قضيب حديدى يعلوه الصدأ تماماً .. ومن الواضح أنه عبارة عن جهاز كيميائى ، يمكن أن تضيف إليه محلولا حمضياً أو قلوياً حتى يشرع فى العمل .

وهذا الأثر التاريخى دليل على أن أهل بغداد كانوا يستخدمون الكهرباء ، وأن العالمين (فولتا وجالفانى) اللذين نسب إليهما اختراع أول بطارية كهربائية ، هما مسبوقان بمخترع مسلم قديم ، وهما كذلك قد كشفا عن صنيع هذا المخترع المجهول ، وقدما هذا الصنيع للعالم على أنهما المبتكران له .

ودليلنا على أن هذه البطارية من اختراع مسلم عربى أن بغداد مدينة إسلامية المولد والنشأة ، فما يقال من أن الفرس كانوا يسكنون تلك المنطقة قبل ظهور الإسلام هو مجازفة فى القول ، أو كلام بغير دليل . والباحثون الغربيون دائماً لا يرضون أن ينسب شىء إلى حضارة الإسلام .

وفى تقرير المشرف على متحف الآثار العراقى فى بغداد ، وهو ألمانى ، واسمه (ولهلم كوينيج) أن هذه البطاريات الكهربائية كان يتم توصيلها بعضها ببعض لمضاعفة قوة التيار الكهربائى الصادر عنها ، وكان الغرض من هذه البطاريات طلاء الحلى بالذهب عن طريق الترسيب الكهربائى .

ويقول العالم البريطانى (والتر وينتون) لما قام بزيارة لبغداد عام١٩٦٢ : قل لأى عالم طبيعى إن التيار الكهربائى كان يستخدم قبل جالفانى بحوالى خمسة عشر قرناً وهذه الواقعة الأثرية إذا ثبتت علمياً فإن ذلك سيعد أكبر حدث فى تاريخ العلم . . على أنه لم يملك إلا أن صاح بملء فيه :

إنها خلية كهربائية بدائية ، ولقد نظرنا إلى قدرات البشرية القدماء بكثير من من الاستهانة .

ويؤكد عالم ألمانى آخر ، هو (آرن ايجبريشدا) أنه لا يمكن أن يعنى هذا لأى عالم سوى أنه عمود كهربائى أو بطارية ، ووجود مثل هذه البطارية فى ذلك الوقت يمكن أن يساعد على كشف ألغاز فشل علماء الآثار فى كشفها .

على أن استخدام الكهرباء فى القديم كان هو من أهم عناصر علم الكيمياء القديم ، الذى كان يسعى إلى تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة .

هذه الحقيقة التى أكدها العلماء والأثريون قرأت عنها فى كتاب بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام جملة صغيرة ، ثم قرأت عنها ضمن مقال نشره راجى عنايت فى (المصور) عدد ١٩٨٣/١/٢٠ بعنوان (أسرار حيرت العلماء) ص ٣١

والمقال ينسب البطارية إلى سكان منطقة بغداد من الفرس ، وهو كلام مردود لسبب بسيط ، هو إسلامية مدينة بغداد مولداً ونشأة وحضارة .. وهذا إنصاف للتاريخ .

مدنيتنا ومدنيتهم

المدنية هى التقدم المادى للشعوب ، والحضارة هى التقدم المادى والروحى للعالم .. إن المدنية جزء من الحضارة ، والحضارة أشمل ، فهى صياغة فكرية للعلوم والثقافات والمعارف والآداب والفكر ، وهذه الصياغة يدخل فى أنسجتها كل ما يحرزه العالم من تقدم ورخاء مادى .

فالحضارة ، كما يعرفها الفلاسفة ، هى القيم الروحية والمادية ، والتقدير الروحى والمادى للأفراد والجماهير على السواء .

وقد تطلق الحضارة مرادفة للمدنية فى عرف بعض المفكرين ، فالحضارة والمدنية شىء واحد ، أو قل ، على الأقل ، إنهما وجهان لعملة واحدة هى التقدم .

مدنية المسلمين ، سبقت فابتكرت الكثير والكثير فى العلوم والفنون والآداب وعاش عليها العالم وسكن فى ظلها عصوراً طويلة .. أما مدنية الغرب فأخذت عن الإسلام المنهج والتطبيق ، والكثير من الأصول والفروع ، وغزت الفكر والآفاق فى سرعة وتجرد من كل القيم الروحية ، وجحود لكل ما يمت إلى الدين بصلة ، وأرهقت الأمم والشعوب والجماعات والأفراد إرهاقاً شديداً ، مؤمنة فى مسيرتها بفلسفة القوة ، والتفرقة العنصرية ، وبأن الغاية تبرر الوسيلة ، وبأن الشعب الأوربى هو سيد الشعوب ومالك زمام العالم وحضارته ، وقسمت البشر إلى طبقات ومنازل ووضعت العرب والمسلمين فى آخر الدرجات .

مدنية تجمع كل الموبقات فى أثوابها المرقعة ، الجنس ، والخمر ، والغلمان ، ومراقص الليل ، وملاهى المجانين ، وعرى الشواطئ ، وحلبات المصارعة ، وأندية القمار ، وخرافات العلمانيين والماديين والإلحاديين والوجوديين .. كل ذلك هو بضاعة مدنية الغرب التى يصدرها إلى مختلف شعوب العالم ..

ويعتقد الغرب أن الشرق لايمت إلى المدنية بصلة ، وأن ما وصل إليه هو عالة فيه على حضارة الغرب اليوم ، كما أن ما وصل إليه من قبل من مدنية كان عالة فيه على الإغريق وحضاراتهم . . منطق عجيب ، وتفكير غريب حقاً .

نحن والغرب ، شعوب الإسلام وشعوب أوربا فرسا رهان ، يسيران معاً فى مضمار الحياة والمدنية ، ويعملان من أجل سعادة العالم ورخائه ، سبقنا هيناً ثم سبقنا الغرب وما زال يسبقنا بزمن طويل ، لكن ليس معنى ذلك أن تستمر المسيرة إلى غد وإلى ما بعد غد ، كما تسير اليوم .. فقد يكبو الجواد السابق ، وقد يسبق الجواد المتأخر الهزيل .. ولله فى خلقه شئون .

إن مدنية الغد هى مدنية الحرية المادية والروحية معاً ، وهى مدنية الإسلام ، التى يفتقدها الغرب وحضارته ، ففى مدنية الإسلام يتحرر الإنسان من عبودية العبيد للعبيد ، ويحتفظ بكرامته على اختلاف مركز المادى والدنيوى ، ويرفع جبهته فلا تنحنى إلا لله ، ويبتعد عن الاستكبار فى الأرض بغير الحق ، وعن الغلو فيها والفساد ، ومن ثم فلا تعارض فى مدنية الغد ، مدنية الإسلام التى ستشرق على العالم ، وسيعم نورها الآفاق بمشيئة الله بين رفعة الإنسان وعظمته وكرامته وفاعليته وإرادته ، وبين عبوديته لله سبحانه ، وتفرد العظمة الإلهية وحدها بالربوبية للبشر أجمعين .

إن مدنية الإسلام عرفت الحرية والمساواة والإخاء ، وطبقتها تطبيقاً شريفاً عاماً نبيلا على البشر أجمعين ، وعرفت العدالة وحقوق الإنسان ، وأدخلتهما فى كل تشريعاتها الفردية والاجتماعية والقومية والدولية ، وكما قال رسول سعد بن أبى وقاص — وهو ربعى بن عامر — لرستم قائد جيش الفرس عن الإسلام والمسلمين لقد ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

إن مدنية الغرب اليوم صارت تؤله الفرد ، كما تؤله الذهب والجنس ، وصارت غارقة فى عبادة العباد .. ومن ثم لابد من أن ترجع إلى مدنية الإسلام الشريفة التى تخرج الناس جميعاً من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن الظلمات الى النور الشامل المضىء .

الإنسان اليوم قد فقد حريته ، وهو مفتقر إلى قوة التركيز الذهنى ، وإلى فرصة التأمل والتطور الشامل ، إنه فى خطر داهم أن يفقد إنسانيته .. ومن ثم فلا بد له من أن يرجع إلى مدنية الإسلام وحضارته .

إن تطور الحضارة — كما يقول (اشفيت) إنما يقوم به عامة أفراد من الناس يفكرون فى المثل التى تهدف إلى تقدم المجموع ، ويكيفوها مع وقائع الحياة على نحو يجعلها قادرة على التيار الأقوى فى ظروف العصر ؛ ولهذا كانت مقدرة الإنسان على أن يكون رائداً للتقدم ، أى أن يفهم ماهية الحضارة ، وأن يعمل لها متوقفاً على كونه مفكراً وعلى كونه حراً ، إذ يجب أن يكون مفكراً ليكون قادراً على فهم مثله وتصورها ، ويجب أن يكون حراً ليكون فى وضع يتهيأ له منه أن يدفع بمثله العليا فى خضم الحياة العامة ؛ وكلما ازداد نشاطه فى الكفاح من أجل الوجود ازداد عنده الدافع إلى إصلاح أحواله طلباً لنصيبه مثل المثل الفكرية ، وحينئذ تختلط مثل الحياة الذاتية ومصالحها مع مثل الحضارة وتفسدها ، والحرية المادية مرتبطة بالحرية الروحية ارتباطاً وثيقاً ، فالحضارة تفترض أناساً أحراراً ، لأن بالأحرار وحدهم تتحقق الحضارة .. وهذا التشخيص الدقيق لحضارة العصر ، كما يذهب إليه فلاسفة الحضارة الأوربية ، يؤدى بسفينة المدنية الإنسانية إلى الإسلام ، الذى يجعل الإنسان فى أرفع مقاماته ومنازله ، وفى أحسن حالات مدنيته ، حين يحقق مقام العبودية لله وحده، إذ أنه وهو يصنع الحضارة يكون فى أقوى حالات فطرته .

ولا ريب أن العالم يسير رويداً رويداً إلى مدنية الإسلام وحضارته ، والمستقبل كفيل بالبرهان على ذلك ، وبحتمية الحل الإسلامى لإنقاذ المدنية من الهلاك والدمار.

النبع العظيم

الإسلام .. ديننا الخالد الكريم ، رصيد ضخم من القيم الإنسانية ، ومن الدفاع عن حقوق الإنسان وحريته .

فحق الإنسان فى الحياة حق طبيعى ، وهو من أبسط مبادئ العدالة ، ولكن بعض الأمم القديمة حرمت من هذا الحق بعض الناس . وقد جاء القرآن ينهى عن القتل وسفك الدماء ، وشرع شريعة القصاص : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص » . وقال صلى الله عليه وسلم من خطبة حجة الوداع : (أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا) .

وحق الإنسان فى الحرية ، كفله الإسلام وأيده ودعا إليه :

رعى الإسلام الحرية السياسية ، فجعل لكل فرد عاقل رشيد الحق فى أن يشترك فى إدارة شئون الدولة ، حتى قال عمر من خطبة له : (إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن استقمت فتابعونى ، وإن زغت فقومونى). وقال عثمان : (إنى أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإذا نزلت من منبرى فليأتنى أشرافكم ، فليرونى رأيهم . فوالله لئن ردنى الحق عبداً لأذلن ذلة العبيد) .

ورعى الإسلام حرية الفكر والرأى . وفى القرآن الكريم نعى شديد على المقلدين والجامدين ، ودعوة إلى تحرير العقل من شتى القيود .. حتى حرية العقيدة والدين نص عليها القرآن الكريم : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . وعهد رسول الله للنصارى فى جزيرة العرب ، خير ميثاق يؤكد ذلك .. وكتب عمر إلى أهل بيت المقدس عقب فتحه له أماناً تعهد فيه بالمحافظة على حرياتهم وأموالهم ودمائهم وكرامتهم وحرياتهم الدينية ، وذكر أن النصارى أكثر أهل الأديان قرباً ومودة للمسلمين : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين

آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » .

ورعى الإسلام الحرية الشخصية ، ونهى عن الاعتداء عليها ، بل أوجب على الحاكم الرفق بالمسلمين ، وفى ذلك يقول الرسول الأكرم : (اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق عليه) . وكان هدف الإسلام فى تعاليمه فى ذلك رفع القوة المعنوية للمسلمين ، والمحافظة على كرامتهم ، وإشعارهم بالعزة والسيادة والقوة والحياة .

وحق الإنسان فى الأمن ، أشد التزاماً فى الإسلام ، فقد حارب الإسلام الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم ، وأوجب القصاص والحدود وإلزام المؤمن بأن يعامل أخاه برفق ، وفرض عليه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وجعل الحاكم مسئولا عن الأمن والنظام .

ديننا الإسلام بكل قيمه ومثالياته ، هو خير رصيد لنا فى حياتنا التى نحياها وسط أمواج عاتية من صراعنا مع الاستعمار والإلحاد .

والإسلام هو دعوة جميع الرسل والأنبياء قبل محمد عليه الصلاة والسلام ..

يقول د . محمود مزروعة ، من مقال له نشر فى جريدة (الرأى العام) :

(دين الله واحد ، وذلك الدين الواحد جاء به رسل كثيرون وجاءت به رسالات كثيرة . وكل الرسل وكل الرسالات إنما كانت فى إطار ذلك الدين الواحد . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بناء فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فصار الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت اللبنة ، يقول صلى الله عليه وسلم : فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء) .

فالحديث واضح فى أن دين الله واحد ، وأن رسل الله جميعاً — صلوات الله عليهم — قد أتوا برسالاتهم جميعها فى إطار ذلك الدين ، وأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يأت منشئاً ديناً جديداً ، ولكنه قد أتى مكملا ما أتى به الرسل السابقون — صلوات الله عليهم أجمعين — والقرآن المجيد قد نص على أن رسل الله جميعهم قد بعثوا مسلمين يدعون إلى الإسلام .

فهذا نوح — عليه السلام — يقول لقومه : « فإن توليتم فما سألتكم من أجر ، إن أجرى إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين » .

وهذا خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل — عليهما السلام — يدعوان ربهما قائلين : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا » .

وهذا يوسف عليه السلام يبتهل إلى ربه قائلا : « توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين » وهؤلاء السحرة حين آمنوا بموسى عليه السلام دعوا ربهم قائلين : « ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » .

وحواريو عيسى عليه السلام قالوا : « نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » .

ونصل إلى خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم الذى يقول له ربه : « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

ووحدة دين الله لدى رسل الله أجمعين وردت فى آيات كثيرة من كتاب الله تعالى من ذلك قوله سبحانه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

وصدق الله العظيم .

الكلمة الخاتمة

هذا الكتاب (الإسلام .. والعصر) هو بقسميه :

ـ الإسلام دين الحياة .

ـ الإسلام وأحلام العصر .

يعطينا تفسيراً واضحاً لقيم الإسلام ومبادئه وأصوله وأهدافه وغاياته ، ويشرح لنا الكثير مما كان غائباً عن تفكير الكثير من الناس ، ويوضح لنا الأمد البعيد الذى سار إليه الإسلام فى طريق العلاج الناجع لكل أمراض الإنسانية ، وفى طريق التصحيح لخطواتها الوانية من أجل التقدم والازدهار .

إن القرآن ـ كتاب الإسلام الخالد ـ يعطينا كل التفسير لغوامض الحياة ، وأسرار الكون ، ونشأة الوجود ، وتاريخ الحضارات .. كما يوضح لنا أحلى إيضاح كل ما جاء به الإسلام من سمو فى المبادئ والغايات .

وعظمة الإسلام لا تنتهى عند نهاية ، إنما هى فصل ممتد متصل الحلقات ، يسلم بعضها إلى بعض ، وبحق هو دين الله ، دين السماء ، دين الخير والحق والعدل والسلام .

والكتاب بقسميه أوضح دليل على أن القرآن رسالة منزلة من السماء ، وأن محمداً الرسول تلقى الرسالة بكلتا يديه ، وبكل قوته ، وأداها وبلغها للناس .. ونحن لايمكن أن نكون بمعزل عن هذا النور السماوى العظيم .

إننا فى وجودنا وحياتنا وكل شئون المجتمعات من حولنا .. لاغنى لنا عن هذا النور السماوى العظيم ليضىء لنا الطريق فى دروب الحياة ، وعندما يضاء أمامنا الطريق ندرك حينئذ أننا فى طريق الخير سائرون ، وإلى الفوز بمرضاة الله واصلون.

والسلام على من اتبع الهدى .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
هذا الكتاب	٣
إنسان العصر	٥
القسم الأول : الإسلام دين الحياة	
الدين ضرورة إنسانية	٩
خصوم الدين	١١
سقوط النظريات اللادينية ...	١٤
الدين والمجتمع	١٦
الدين حماية للمجتمع	١٨
الطريق إلى الدين	٢١
كل الطرق تؤدى إلى الله ...	٣٠
الإسلام وتحديات العصر ...	٣٨
الإسلام ملاذ الإنسانية ...	٤٤
الإسلام رسالة السماء للإنسانية	٤٦
الإسلام رسالة وأصول حضارية	٤٩
إنسانية الإسلام	٥٧
الإسلام يبنى ولا يهدم	٦٠
منهج الإسلام	٦٣
حقوق الإنسان فى الإسلام ...	٦٩
السلام الاجتماعى فى الإسلام ...	٧١
العدالة الاجتماعية فى الإسلام ...	٧٣
المرأة فى ظلال الإسلام	٧٥
اقتصاديات الإسلام العادلة ...	٧٧
النظام الاقتصادى فى الإسلام ...	٨٠
منهج القرآن فى بناء المجتمع ...	٨٨
ديننا الإسلام لا الإلحاد ...	٩٠
شريعة السماء	٩٥
الإسلام وأوهام المخدوعين ...	٩٨
الإسلام لا المادية	١٠١
العمل عقيدة الماديين	١٠٦
القسم الثانى : الإسلام وأحلام العصر	
أحلام العصر	١١١
إنسان الحضارة	١١٣
النبع الدافئ	١١٥
إرادة الحياة	١١٨
جوهر الإسلام	١٢٠
أنا مؤمن	١٢٣
الإسلام الدين الوسط	١٢٦
عالمية الإسلام	١٢٨
الإسلام .. ومابعد القرن العشرين	١٣١
الإنسانية تعود إلى الإسلام ...	١٣٤
العقيدة والشريعة	١٣٧
الأمل المتجدد	١٣٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
سلام على العالمين	١٤١	أمانة الكلمة	١٦٢
وجدان المسلم	١٤٣	قمة الحضارة	١٦٤
الضمير الديني	١٤٥	انتقال الحضارات	١٦٦
دعوة خير للإنسانية...	١٤٨	عود إلى حضارة الإسلام ...	١٧٠
موازين عادلة	١٥١	العلماء المسلمون يبحثون	١٧٢
مبادئ واحدة	١٥٣	المسلمون اكتشفوا الكهرباء ...	١٧٥
القرآن أعظم سند لشريعة الحق...	١٥٥	مدنيتنا ومدنيتهم	١٧٩
الإسلام ضمان لسعادة المجتمع ...	١٥٨	النبع العظيم	١٨٢
الأمانة	١٦٠	خاتمة الكتاب	١٨٥

• المؤلف فى سطور •

- الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى .
- عالم وأديب وكاتب ومؤلف ومحاضر ورجل فكر .
- فى الخامسة والسبعين من عمره .
- طاف بالعالم العربى والإسلامى شرقاً وغرباً ، وتخرج على يديه أجيال من العلماء والباحثين وحملة الماجستير والدكتوراه .
- عمل أستاذاً فى جامعة الأزهر وفى العديد من الجامعات العربية ، والإسلامية ، وكتب عنه عشرات الكتب ، وعدة رسائل جامعية فى الجامعات العربيـة والإسلامية .
- حضر العديد من المؤتمرات والمهرجانات والحلقات العلمية فى مصر وغيرها :
- عضو فى عشرات الأندية والروابط والجماعات الأدبية ، ويرأس رابطة الأدب الحديث منذ نحو العشرة الأعوام .
- درس فى الأزهر ، وتلقى العلم على أيدى كبار الشيوخ .
- عمل فى مختلف الوظائف العلمية فى جامعة الأزهر .
- له صلات وثيقة بالجامعات فى مختلف أنحاء العالم ، وبالمستشرقين والأدباء والشعراء والنقاد والكتاب ورجال الإعلام والصحافة فى مصر والعالم العربى .
- يمثل مدرسة علمية من المدارس الحديثة فى الأزهر الشريف وجامعته الكبرى .
- ينتمى إلى أسرة عربية كبيرة ، كتب عنها وعن أعلامها مؤلفات عديدة .

• مؤلفاته •

- كتب عن الأزهر كتاباً مشهوراً بعنوان : الأزهر فى ألف عام (٣ أجزاء) كانت جائزته الحصول على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .
- له فى الدراسات الإسلامية ما يزيد على المائة كتاب ، منها :
  - تفسير القرآن الكريم (٣ أجزاء) .
  - شرح على البخارى (عشرة أجزاء) .
- له كتب رائدة فى الفكر الإسلامى ، مثل :
  - خلود الإسلام .
  - الإسلام والحضارة الإنسانية .
  - الإسلام وحقوق الإنسان .
  - الإسلام ونظريته الاقتصادية .
  - فى ظلال الإسلام .
  - الإسلام دين الإنسانية الخالد ... وغير ذلك .
- هذا إلى موسوعته فى الأدب وعصوره المختلفة التى تقارب المائة كتاب ، وإلى كتب أخرى فى اللغة والأدب والنقد والبلاغة والتاريخ ، وغيرها .

● ظهر من هذه السلسلة حتى الآن ●

١ – الانتماء فى ظل التشريع الإسلامى : للدكتور عبد الله مبروك النجار .
٢ – السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة : للدكتور عبد المهدى عبد القادر .
٣ – وباء الفتنة والتعصب وعلاجه فى التوراة والإنجيل والقرآن :
للأستاذ السيد إبرهيم سليم
٤ – سعادة الأمة فى العمل بالكتاب والسنة : (كبار علماء الجمعية الشرعية) .
٥ – المنهاج الكامل فى بناء المسلم المعاصر : للدكتور فؤاد على مخيمر .
٦ – الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة والمدينة : للأستاذ محمد مهدى عامر .
٧ – أهمية الصلاة فى حياة المسلم : للدكتور السيد عبد الحكيم عبد الله .
٨ – فى ميزان الإسلام (الجزء الأول) : للدكتور محمد رجب البيومى .
٩ – أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها : للدكتور محمد طلعت أبو صير .
١٠ – فى ميزان الإسلام (الجزء الثانى) : للدكتور محمد رجب البيومى .
١١ – قبسات من نور الرسالة : للدكتور محمد أحمد على سحلول .
١٢ – أخلاقنا : للدكتور محمد ربيع جوهرى .
١٣ – التوازن النفسى والاجتماعى فى الإسلام : للأستاذ رمضان الحسنين جمعة .
١٤ – الرسول صلى الله عليه وسلم فى رمضان : للدكتور محمد سيد أحمد المسير .
١٥ – الدوائر الدعائية المعادية للإسلام : للأستاذ حسن على .
١٦ – الرسول صلى الله عليه وسلم – نشأته ودعوته : للدكتور إبراهيم على أبو الخشب .
١٧ – لكى تعود خير أمة : للدكتور السيد رزق الطويل .
١٨ – القرآن يتحدث عن محمد عليه الصلاة والسلام : للدكتور محمد أحمد على سحلول .
١٩ – منهاج الله فى هداية البشر : للدكتور فؤاد على مخيمر .
٢٠ – نحو منهج إسلامى فى الفكر الإدارى : للأستاذ أحمد عبد العظيم .
٢١ – الرسول صلى الله عليه وسلم حول الكعبة : للدكتور محمد سيد أحمد المسير .
٢٢ – صفحات هادفة من التاريخ الإسلامى : للدكتور محمد رجب البيومى .
٢٣ – الإسلام وأهمية التيامن : للدكتور السيد عبد الحكيم عبد الله .
٢٤ – الإنسان فى مرآة القرآن : للدكتور محمد أحمد على سحلول .

٢٥ – الرسول صلى الله عليه وسلم والوحى : للدكتور محمد سيد أحمد المسير .
٢٦ – مجالس العلم فى حرم المسجد : للدكتور محمد رجب البيومى .
٢٧ – من فيض القرآن : للدكتور إبراهيم على أبو الخشب .
٢٨ – نساء خالدات : للأستاذ مأمون يس عبد الله .
٢٩ – الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج : للدكتور السيد رزق الطويل .
٣٠ – منهج القرآن فى تربية الإنسان : للدكتور محمد عثمان خيمر .
٣١ – ردود إسلامية فى قضايا معاصرة : للدكتور إبراهيم عوضين .
٣٢ – الفتنة المعاصرة وموقف المسلمين منها : للدكتور فؤاد على مخيمر .
٣٣ – العقيدة فى الإسلام : للدكتور السيد رزق الطويل .
٣٤ – الصلاة فى القرآن الكريم : للدكتور فهد الرومى .
٣٥ – حقيقة الإنسان بين المسئولية والتكريم : للدكتور أبو اليزيد العجمى .
٣٦ – هذه دعوتنا : للشيخ عبد اللطيف مشتهرى .
٣٧ – التفسير القرآنى : للدكتور محمد رجب البيومى .
٣٨ – فى المحيط الإسلامى : للدكتور إبراهيم أبو الخشب .
٣٩ – أنت تسأل والإسلام يجيب : للشيخ عبد اللطيف مشتهرى .
٤٠ – عبادة الصيام : للدكتور السيد رزق الطويل .
٤١ – من منطلق إسلامى (الجزء الأول) : للدكتور محمد رجب البيومى .
٤٢ – عنصر الهداية فى القرآن الكريم : للشيخ معوض عوض إبراهيم .
٤٣ – الإسلام دعوة الحق : للدكتور السيد رزق الطويل .
٤٤ – من منطلق إسلامى (الجزء الثانى) : للدكتور محمد رجب البيومى .
٤٥ – موسى واليهود : للدكتور إبراهيم أبو الخشب .
٤٦ – ملامح من هذا الدين : للشيخ معوض عوض إبراهيم .
٤٧ – الرسول وقضايا المجتمع : للدكتور محمد سيد أحمد المسير .
٤٨ – طوبى للغرباء : للأستاذ رمضان الحسنين جمعة .
٤٩ – مع القصص القرآنى : للدكتور إبراهيم أبو الخشب .
٥٠ – اللسان العربى والإسلام معاً فى مواجهة المعركة : للدكتور السيد رزق الطويل .
٥١ – من المثل الإسلامية : للدكتور محمد رجب البيومى .

٥٢ – نظرات فى نظم الإسلام وثقافته : للدكتور مصطفى أحمد أبو سمك .
٥٣ – الإعجاز فى نظم القرآن : للدكتور محمود السيد شيخون .
٥٤ – الإسلام يتصدى لأباطيل المستشرقين والملحدين : للأستاذ سامى محمد شهاب .
٥٥ – من حديث القرآن إلى من نزل عليه القرآن : للدكتور محمود بن الشريف .
٥٦ – إلزام القرآن للماديين والمليين : للدكتور سيد أحمد رمضان المسير .
٥٧ – أخلاق إسلامية من القرآن والسنة : للدكتور الحسينى أبو فرحة .
٥٨ – الرسول والموافقات : للدكتور محمد سيد أحمد المسير .
٥٩ – المخدرات وباء الشعوب وسرطان العقول : للدكتور فؤاد على مخيمر .
٦٠ – النظام القضائى فى الإسلام (الجزء الأول) : للدكتور عبد العزيز عزام .
٦١ – الإسلام .. والعصر : للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى .

رقم الإيداع : ٤٧٥٤ / ١٩٨٨
الترقيم الدولى : ٦–١٩٢–١٦٣–٩٧٧

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
تليفون : ٨٢٦٢٨٠ القاهرة